الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

الصَّيدُ عند العَرب

أدواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد

مؤسسة الرسالة

دار النفائس

الطبعة الأولى
١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م

الطبعة الثانية
١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م

المقدمة

ما كنت أحسب أني سأكتب في يوم من الأيام في الصيد لبعد ما بيني وبين هذا الموضوع ؛ فما أنا بالصائد ولا أنا بالذي بينه وبين هذا الفنّ سببٌ أيُّ سبب .

غير أني حين ارتضيت أن أجعل مبحث « **شعر الطرد** » موضوعاً لرسالة « الدكتوراه » [1] التي تقدّمتُ بها لجامعة القاهرة قادني البحث إلى كتابة فصل عن الصيد وأدواته وحيوانه الصائد والمصيد ، ذلك لأن شعر الطرد لا تفهم معانيه حقّ الفهم ولا تتضحِ صوره تمام الوضوح ما لم يقف دارسه على الصيد ووسائله ويلمّ بجوارحه وضواريه ، فهذا الشعرِ في جملته وصف للصيد في حالاته المختلفة ، وكيف يستطيع المرء أن يدرك الصّفة وهو لا

---

(١) قامت مؤسسة الرسالة ودار النفائس في بيروت بنشر كتاب « شعر الطرد » المشار إليه .

يعرف الموصوف، ومن أين له أن يتذوّق النعت وهو خالي الذهن من المنعوت؟!

وما إن شرَعت في إعداد هــذا الفصل حق وَجدتُ في عالم الحيوان الصائد والمصيد من عجائب صنع الله وبدائع خلقه ما أغراني بــه إغراءً لا طاقة لي بدفعه .

فكم أدهشني وأثار عجبي أن يستطيع الإنسان بما وهبه الله من ذكاء وحيلة تأنيس الفهدِ – مثلاً – وهو حيوانٌ شرِس مفترس في مرتبة الأسد والنمر ، وأن يبلغ في تأنيسه حــداً يُمكّنه من أن يأمره فيأتمر ، ويزجره فيزدجر ، وأن يطلقه على الطريدة متى شاء فإذا ظفر بها أمسكها بكلتا يديه ولبث واقفاً في مكانــه ؛ ليقدّمها لصاحبه جية دون أن تحدثه نفسه بـأن يمسّها بكلمٍ ، أو ينال منها قطعة لحم ، مهما كان جائعاً .

بـل إن الفهّا دين بلغ من ثقتهم بتأنيس هذا الوحش الضاري ما جعلهم يُركبُونه على الخيل ؛ فإذا لم يجدوا جواداً يخصونه بــه ؛ أركبوه خلفهم وجعلوه رديفاً لهم .

وليس هــذا الذي ذكرته عن الفهد إلا صورةً واحــدةً من صور كثيرة رائعة بارعــة ؛ لذا عقدتُ العزم على أن أجعل من الصيد وأدواته وحيوانه الصائد والمصيد موضوعاً لكتابٍ مستقلٍ في الصيد لشعوري بـأن المكتبة العربية خالية من سفرٍ جامع لشتات هذا البحث مكتوب بلغة العصر يحقق اقارئه الفائدة والمتعة في وقت معاً .

ثم حالت المشاغل دون تحقيق هذه الأمنية لكنها لم تنل من صحة العزم على بلوغها ، حتى أذن الله ويسرَ فكان هذا الكتاب الذي آملُ أن أسدَّ به فراغاً في المكتبة العربية ظلَّ زمناً طويلاً ينتظر من يسُده .

فالكتب التي ألفها الأقدمون في هــذا الفن كُتِبت بلغةٍ غـير لغة هذا العصر وحُشيتْ بأشياء عفّى عليها تقـادم الزمن ، وشحِنت باستطرادات تذهب بوحدة الموضوع ، وتقضي على تسلسله .

ثم إن جُلّ هذه الكتب ما زال مخطوطاً راقداً في أقبية دور الكتب ومستودعاتها ينتظر اليد الحازمة العالمة لتوقظه من سباته وتبعثه حياً لينتفع به الناس .

وأما القليل الذي طبع من هذه الكتب ؛ فمنه ما مضى على طباعته نحو قرن من الزمان ، مما جعل العثور على نسخة منه ضرباً من المحال [1] ، ومنه ما حُشي بصنوف من التصحيف والخطأ المطبعي ؛ مما جعل الإفادة منه متعسّرة إن لم تكن متعذرة [2] .

ولم يكن إعجابي بالموضوع واستمتاعي به السبب الوحيد الذي دفعني إلى الكتابة فيه ، وإنما برزت إلى جانب ذلك أسبابٌ أخرى تجعل للكتاب وظيفة لا يقوم بها غيره من الكتب :

فنحن – اليومَ – أمةٌ كثيرةُ الأعداء مهدّدة بالمحو والإفناء ، محتاجة – أكثر من أي وقت مضى – إلى تنشئة أجيالها على الفتوّة، وطبعهم بشمائل البأس والقوّة ، وتعويدهم على شظف الحياة وخشونة العيش ، وليس مثل الصيد وسيلة لذلك ؛ فهو ضربٌ من ضروب الفروسية ، ولون من ألوان الحرب يقوم على الكرّ والفرّ ويُكتسَب النصرُ فيه بالمطاولة والصبر .

وفي الكتاب إغراءٌ للشباب بمزاولة الصيد، ودعوة غير مباشرة للاستمتاع بلذاته والانتفاع بثمراته ، وفي طليعتها تنشيط أجسامهم الذابلة وإيقاظ طاقاتهم المعطّلة ونقلهم – بين الحين والآخر – من نتن المدن وعفنها وما

---

(١) المراد به كتاب « أنس الملا في وحش الفلا » لمحمد بن منكلي من أهل النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، وهو مطبوع في باريس سنة ثمانين وثمانمائة وألف للميلاد .

(٢) المراد به « كتاب المصايد والمطارد » لكشاجم المطبوع في بغداد سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

اكتظت به من فاسد المغريات إلى سحر البراري وطهر الفلوات وما حفلت به من بديع صنع الله وجليل آلائه .

هذا بالنسبة للذين لم يزاولوا الصيد ولم يتذوقوا مسراته .

أما البقية الباقية من أبناء أمتنا الذين ما فتئوا يمارسون هذه الهواية النبيلة؛ فكم سيُمتِعهم وينفعهم أن يجدوا فيهذا الكتاب ما يقفهم على طبائع جوارحهم وضواريهم ويعرفهم من شئونها المختلفة ما يجهلون ، فيداووها بأنفسهم إذا مرضت ، ويعالجوها بثقافتهم إذا كلّت أو تعبت ، ويسلكوا في سياستها سبلاً علمية قويمة هي ثمرة تجارب الأقدمين وإرث الأولين للآخرين .

على أن الانتفاع بهذا الكتاب لا يقتصر على هؤلاء وهؤلاء وإنما يمتد إلى فئة ثالثة تتمثل في قراء الشعر العربي القديم ودارسيه ؛ ذلك لأن فقرة الصيد عنصرٌ أصيل من عناصر القصيدة الجاهلية مهما كان غرضها ، وهي فقرة قد تطول حتى تبلغ ثلث القصيدة أو نحواً من ذلك ، وفهم هذه الفقرة وتذوُّقها لا يتمان إلا لمن ألمّ بالصيد وأدواته وحيواناته ، ووقف على الدقيق من معاني ألفاظه ومصطلحاته .

وقد أخذ هذا الكتاب على عاتقه استيفاء ذلك كله وعرضه بأسلوب سهلٍ قريب التناول .

ثم إن الكتاب يعرّف القراء بطائفةٍ حسنة من كتب الصيد ، ويقفهم على ما وصل إليه الأقدمون في طب الجوارح والضواري ، وأطلقوا عليه اسم «البيزرة» ، ويمد الذين يبتغون التأليف في الطب البيطري بمئات المصطلحات العلمية التي نحن أحوج ما نكون إليها اليوم لترجمة العلوم الحديثة والتأليف فيها وتقديمها لأبنائنا في الكليات والجامعات بلغة القرآن سيدة اللغات .

هذا وقد جعلتُ الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً ؛ فخصصتُ الأول منها للكلام على

الصيد عند الأمم التي اتصلت بالعرب من فرس وروم ؛ وذلك للوقوف على ما أخذه العرب عن غيرهم في هذا الفن وما أعطوه للآخرين .

وجعلت الفصل الثاني للحديث عن الصيد عند العرب في الجاهلية والإسلام.

أما الفصل الثالث فقد تكلمت فيه على حاجة الصائد إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه .

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن معرفة العرب بالحيوان والبيزرة .

وجعلت الفصل الخامس للكلام على الصيد بغير الحيوان من قوس ورمح وغيرها من أدوات الصيد الكثيرة المتنوعة .

أما الفصل السادس فقد بسطت فيه القول في الجوارح كالبازي، والباشق، والشاهين ، والصقر ، والعقاب ، وغيرها .

وخصصت الفصل السابع للحديث عن الضواري ، فوفّيتُ الكلام على الكلب ، والفهد ، وعناق الأرض ، وتأنيس الوحشي منها وسياستها وطرق الصيد بها .

وجعلت الفصل الثامن للكلام على أمراض الجوارح والضواري وطرق علاجها والأدوية التي وصفها لها الأقدمون .

أما الفصل التاسع فأفضت فيه القول في المصيدات من الوحوش كالحمار الوحشي ، والبقر الوحشي ، والأيّل ، والظبي ، والأرنب ، وطريقة صيد كلٍّ منها .

وخصصت الفصل العاشر للكلام على المصيدات من الطير كالنعام ، والكُركي والإوز البري ، والحبارى ، والقطا ، وطرق اصطياد كلٍّ منها .

وجعلت الفصل الحادي عشر للكلام على آداب الصيد عند العرب قبل الإسلام وبعده .

أما الفصل الثاني عشر فجعلته للكلام على الصيد في العصر الحديث رغبة في وصل ماضي هذا الفن بحاضره .

وخصّصت الفصل الثالث عشر والأخير للحديث عن أهم كتب الصيد والبيزرة التي احتفظت بها المكتبة العربية لأقف القارىء على أبرز كتب هذا الفن ، ولأعرّفه بالمصادر التي اعتُمِد عليها في إعداد هذا الكتاب .

وقد حليت الكتاب بطائفة وافية من الصور الملوّنة لأهم الحيوانات الصائدة والمصيدة رغبةً في أن تتآزر الكلمة المكتوبة مع الصورة المرسومة في التعريف بهذه الحيوانات وتمييز بعضها من بعض .

وبعد فالله اسأل أن يهبنا الإخلاص في النية ، والصدق في القول ، والسداد في العمل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين .

الفصل الأول

الصَّيدُ عندَ الأمم التي اتصلت بالعرب من فُرسٍ ورُوم

اختلط العرب بالفرس والروم في جاهليتهم وإسلامهم ، وتـأثروا بهم وأثروا فيهم في كثير من المجالات وأخذ ملوك العرب وسادتهم ومترفوهم كثيراً مما لدى هؤلاء وهؤلاء من مظاهر الحضارة ووسائل الترف ، وكان في جملة ما أخذوه الكثير من معارف الصيد ووسائله وآدابـه ؛ لذا كان لزاماً علينا أن نلم إلمامة يسيرة بالصيد عند هاتين الأمتين قبل الحديث عن الصيد عن العرب.

الصيد عند الفرس :

الفرس ذوو قدمٍ راسخة في فن الصيد وآدابه ، ودرايةٍ واسعةٍ بضواريه وجوارحه ، وسبق ملحوظ في الاهتداء إلى وسائله وآلاته ؛ فقد رُوي أن أول من صاد بالبازي أحد ملوك فارس ، ذلك بأنـه خرج ذات يوم يريد النزهة واللهو بعتاق الخيل، فوصل إلى مكان من أنزه الأماكن بَسقتْ أشجاره وَوَرفت ظلاله ، وجرى في وسطه نهر متدفق الميـاه مُمْرع الجنبات ، فضُرِبت له فيه الخيام .

وفيما هو في مقامه هذا أبصر طائراً أقبل ، فاهتاجت الطيور لإقباله ، وطارت عند اقترابه ، وابتعدت عن مكان نزوله ، وجثمت بعيداً عنه ، وجعلت تنظر إليه ، فحط على شجرة باسقة الأفنان ، وقعد بين أغصانها الملتفة قعود الملك المتفرد في سلطانه برقب الطيور في هيبة وجلال ، حتى إذا عاين طائراً انقضّ عليه وكسره .

ثم حمله إلى ظل شجرة وجلس فوقه ، ونتف ريشه ، وأكل من لحمه ما شاء أن يأكل ، ثم تقدم إلى النهر فشرب منه وسبح في مائه ثم عاد إلى شجرته ، ولما كان آخر النهار فعل فيه مثل ما فعله في أوله ، فقال الملك لرجال دولته : لقد رأيت من هذا الطائر ما يحير اللبّ ، ويملأ القلب ، فهو عظيم السطوة ، شديد البأس ، كبير النفس ، طويل الصبر ، جليل القدر ، تخافه الطيور ولا يخافها .

ولقد علمني هذا الطائر كثيراً مما لم أكن أعلم من شؤون المملكة وسياسة الناس ؛ فقد أرشدني الى التزام الحرمة ، والاستتار من أوباش الناس ، وغضّ الطرف لاستمرار الهيبة ، ودوام الصمت للخديعة ، والسرعة في البطش لتخويف الأعداء ، وطول الأكل للاستمراء ، وتصغير اللقم للأمن من الغصة ، وتشمير الثوب للنظافة ، وعلى الجملة فقد جمع هذا الطائر ضروب الأدب مع العقل الكامل ، ثم أمر رجاله بالاحتيال له والقبض عليه ، فلما صار في يديه فرح به فرحاً شديداً ، وأمر بأن يُشد بين يديه .

غير أن الطائر لم يقرّ بعد ذلك ولم يهدأ ، فقال الملك لجلسائه : ما بال هذا الطائر ؟! لقد زال طربه ، وازداد شغبه فتأمله أحد حكمائه فوجده إذا فتح عينيه خاف وقلق ، وإذا أطبقهما اطمأن وأمن ، فأشار بأن تُغشّى عيناه ليألف الناس ويهدأ روعه ففعلوا .

ثم قالوا عن هذا الطائر : إنه ملك الطيور وُعرف البازي بهذا اللقب بعد ذلك .

ثم أمر الملك بأن يُحملَ إليه كل طائر من هذا النوع ، فاجتمع لديه من البزاة الشيء الكثير [1] .

ورُوي أيضاً أن كسرى أنو شروان [2] أُتي ببازٍ قد انكسر جناحه وهو لا يعرفه فسأل الذي أتاه به : كيف رأيت طيران هذا الطائر ؟ فقال: رأيته إذا علا صف [3] وإذا نزل دفّ [4] ، وإذا ضرب زفّ [5] ، وإذا وثب ذرق ، وإذا عاين سرق فقال : هـذا جبار لا يبقي إذا قدر ولا يؤمن إذا اشتهر ، ثم سلمه إلى ولده (داد) فكان يلعب بسائر أنواع الطيور ، وهو الذي سميت به « بغداد » . وبغداد في لغة العجم مؤلفة من (بغ) وهو البستان و (داد) وهو اسم ولد كسرى [6] » .

ويبدو أن (داد) [7] ابن كسرى هذا قد أولع بالبازي فأدّبه وضرّاه، فهو كما يقول المنكلي : « أول من صنع القفاز للبازي ، وأول من سن ركوب الخيل للصيد به ، وأول من أظهر الطبل له ، وأول من اختار الدستبان [8]

---

(١) انظر أنس الملا : ١١٢ .

(٢) هو المعروف بالملك العادل ولي الملك سنة ٥٣١ م (انظر تاريخ إيران ٦١٧/١) .

(٣) صف الطائر جناحيه : بسطهما ولم يحركهما .

(٤) دف الطائر : حرك جناحيه كالحمام .

(٥) زف الطائر : رمى نفسه .

(٦) انظر أنس الملا : ١١٥ وما بعدها .

(٧) داد : هو ابن كسرى أنو شروان الذي ولي الملك سنة ٥٣١ م (انظر تاريخ إيران : ٦١٧/١) .

(٨) الدستبان: كيس من ادم يحمله الصقار على يده تحت رجلي الصقر وهو فارسي وفي العربية يقال له : القفاز .

وأوجده ، وأول من أدب البازي على الإجابة ، وأول من حمله على الفرس ، وهو الذي رفع قدره فجعله يُحمل على يد راجل » [١].

والجاحظ يقول: « إن البازي أعجمي » [٢] والمنكلي يؤكد أولية العجم في تضرية البازي وتأديبه وحسن القيام عليه ؛ فيروى عن أصحاب التجربة قولهم : إن البازي لا يصلحُ له من الأشياء إلا القفاز وهو مما ابتكرته العجم [٣].

وهو يرفض ما رواه بعض الرواة من أن الروم أول من لعب بالبازي فيقول: والذي ترجح عندي – والله أعلم – أن أول من لعب بالبازي العجم، أما ما رُوي عن أولية الروم في هذا المجال فلم أجد له دليلاً ولم يترجح عندي [٤].

والفرس أيضاً هم أول من ضرّى الزمّج [٥] وكانوا يذمون من لا يصيد به ويقولون : إنه ناقص المعرفة بالصيد، وذكر الحكماء من العجم أن أحد الملوك وهو (أزدشير) [٦] نظر يوماً إلى صورة البازي وإلى الزمج فعرف الزمج بمشابهته للبازي فضرّاه على الصيد ولم يشاركه في تضريته وتأديبه أحد [٧] ،

---

(١) أنس الملا : ١١٥ .

(٢) الحيوان : ٦/٤٨٧ .

(٣) أنس الملا : ١٣١ .

(٤) أنس الملا : ١١٥ .

(٥) الزمج : طائر دون العقاب يصاد به .

(٦) أزدشير : هناك اكثر ملك من ملوك فارس يدعى أزدشير وهم : أزدشير الأول الذي ولي الملك سنة ٢٢٦ م ، وأزدشير الثاني الذي ولي سنة ٣٧٩ (انظر تاريخ إيران : ١/٥٢٥ ، ٥٨٤) .

(٧) أنس الملا : ١١٩ .

وقيل أيضاً : إن أول من ضرّى اليؤيؤ [1] على الصيد واصطاد به ملكٌ من ملوك فارس هو (بهرام جور) [2] وذلك أنــه شاهد يؤيؤاً يطارد قُبرةً ويراوغها ويرتفع وينحط معها ، فما تركها إلى أن صادها فأعجبه ، وأمر به فأدّب وضُرّي ثم جعل يصيد به [3] .

والجاحظ يتحدث عن ولع مـلوك فارس بالصيد فيقول : « وزعمـوا — وهو كذلك — أن ملوك فارس كانت لهجةً بالصيد إلا أن (بهرام جور) هو المشهور بذلك في العوام » .

ومن مظاهر ولع الفرس بالصيد ما رُوي من أن (فيروز بن قباذ) [4] الملك الفارسي ألحّ في طلب حمار وحشي أخدري [5] — وقـــد ذُكر له ووصف — فطاوله عند طلبه والتماسه وجدّ في ذلك فلجّ بـــه عند طلبه الاغترام ، وأخرجته الحفيظة إلى أن آلى ألا يأخذه إلا أسراً ولا يطارده إلا فرداً فحمل فرسه عليه فحطه في خَبار ثم [illegible] جراميزه — وهو على فرسه — ووثب فإذا هو على ظهره فقمص به فضم فخذيه فحطم بعض أضلاعه ثم أقبل به إلى معظم الناس وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه » [6] .

وبلغ من ولع مـلوك فارس بصيد الحمر الوحشية ومباهاتهم بذلك « أن

---

(١) اليؤيؤ : طائر من أصناف الصقور يصاد به .

(٢) هو ابن يزدجرد وقد ولي الملك بعد أبيه سنة ٤٢٠ م (انظر تاريخ إيران : ١/٥٩٠).

(٣) الصيد والطرد : ٥١ ونهاية الأرب ١٠/١٩٩ .

(٤) فيروز بن قباذ : ولي الحكم بعد أبيه قباذ وقتل في حرب القياصرة وكان الحكم قد آل إلى أبيه سنة ٩٣٦ (انظر تاريخ إيران : ١/٦٧٧) .

(٥) الحمار الأخدري : نسبة إلى أخدر وهو فرس كان لأزدشير فتوحش وخرجت من نسله حمر رائعة الشكل عظيمة الجسم .

(٦) الحيوان : ١/١٤٠ .

الملك منهم إذا أخذ عيراً أخدرياً أو غير ذلك ، فإذا وجده فتياً وسمه باسمه وأرّخ في وسمه يوم صيده وخلّى سبيله وكان كثيراً ما يصيده الملك الذي بعده فيسير فيه مثل تلك السيرة ويخلّي سبيله فيعرف آخرهم صنيع أولهم ويعرفون مقدار أعمارها » [1] .

هذا ولم تكن عناية العجم خاصة بالجوارح وإنما هي عامة تشمل الجوارح والضواري ؛ فقد جاء في أنس الملا « أن العجم أكثر الخلق معرفة بترويض الضواري » [2] .

بل إنهم اختصوا بأنواع من الضواري لا يعرفها العرب ولا يرتفقون بها في صيدهم فقد قال المنكلي عند حديثه عن عناق الأرض : « ولم أذكر عناق الأرض في هذا الكتاب إلا تظرفاً لأنه لا يكون في بلادنا ولا يوجد إلا في بلاد العجم » [3] .

«وكانت ملوك الأعاجم تجمع أصناف الحيوان في حظائر وتُدخل أولادها الصغار عليها وتعرّفها بها صنفاً صنفاً لكيلا يُنسبوا إلى الجهل إذا كبروا ولم يكونوا رأوها في صغرهم » [4] .

ومما روي عن ولع الفرس بالصيد وحذقهم فيه أنه « كانت لبهرام شوبين » [5] حظية مُفتنة في صنوف الآداب فاقترحت عليه حضور الصيد معه شغفاً منها به ورغبة في مشاهدة الطرد فأجابها إلى ذلك فبينما هي معه إذ عنّ لهما سرب ظباء — وكان بهرام شوبين من جودة الرمي على ما لم يكن

---

(١) الحيوان : ١/١٤٠ .

(٢) أنس الملا : ٧٤ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) البيزرة : ٢٢ .

(٥) هو قائد كسرى أبرويز الذي ولي الحكم سنة ٥٩٠ م (انظر تاريخ إيران: ١/٦٦١) .

عليه سائر الملوك – فقال لها : أراك مشغوفةً بالصيد مرتاحة إليه فكيف تحبين أن أرمي هذه الظباء ؟ فقالت : أريد أن تجعل ذكورها إناثاً وإناثها ذكوراً ؛ ففهم مرادها وقدّر أنها توهمت عليه العجز عما التمسته منه وأنها حاولت أن تظهر نقصه فتفتّ في عضده عند من كان معه من أهل مملكته ، فقال : ما سألت شططاً ، ثم رمى التيوس من الظباء فألقى قرونها فصارت كالإناث وجعل يرمي كل واحدة من الإناث بسهمين فيثبتهما في موضع القرنين فتعود كأنها تيس » [1] .

وكانت لملوك فارس رحلات صيد صاخبةٌ يحتّم عليهم العرف أن يقوموا بهـا ، فقد جاء في كتاب قصة الحضارة (لبول ديورانت) أن حياة الملك الفارسي كانت مثقلة بالواجبات والتبعات التي لا آخر لها فقد كان يُنتظر منه أن يخرج إلى الصيد والقنص بلا خوف ، فكان يخرج إليه في هودج مزركش تجره عشرة من الجمال وعليه ثيابه الملكية ، وكانت تحمل عرشه سبعة جمال وتُقل شعراءه ومنشديه مائة جمل ، وقد يكون في ركابه عشرة آلاف فارس ، وكان عليه – كما يبدو من النقوش الساسانية – أن يواجه بنفسه وعلاً أو نمراً أو أسداً » [2] .

وكانت للصيد آدابه عند الفرس ؛ « فكان الملك من ملوك فارس إذا عمد إلى الركوب للصيد دفع أصحاب ركابه سوطه إلى بطانته – وهم خاصته – ودفعته الخاصة إلى الخدم ، وأدخله الخدم إلى موضع نسائه فناولته إياه امرأة ثيب وخرج من عندها وهو بيده ، أما في أوقات ركوبه إلى سائر المواضع غير الصيد والحرب ، فيتناول السوط من المكان الذي يركب منه .

وكانت الجوارح تنصب على كنادرها [3] من ناحية وساده نحو رأسه ،

---

(١) البيزرة : ٣٠ .

(٢) انظر : قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الرابع : ٢٨٥ .

(٣) جمع كندرة وهي مجثم البازي يهيأ له .

أمّا الضواري —وهي الكلاب والفهود وبنات عرس— فمن ناحية مدّ رجليه، وأمّا الخيل فأمامه أو عن يمينه، وكان كل من يشهد معه الصيد يحوش عليه العانة [1] والسرب حتى يكون الملك هو الذي يتصيدها، أما هم فيتصيدون سائر الوحش والسباع ما لم يُنهَوا عن ذلك.

ولم يكن الملك من ملوك فارس يريد أن يخلو سمعُه من زقاء [2] جارح ونباح ضار، وصهيل خيل، وألحان قينة وطنين وتر » [3].

وكما كانت لهم آداب خاصة في تناول السوط عند الصيد كانت لهم آداب مرسومة في إمساك الجوارح، فصاحب المصايد يقول عند الحديث عن كيفية إمساك الجارح وإطلاقه: « إن ملوك فارس كانت تحمل البازي على اليسار وكان من الآيين[4] أن يأتي البازيار والجارحُ على يساره فيعارض الملكَ ورأسُ كل واحدٍ منهما إلى كفل الآخر فيحوله من يساره إلى يسرى الملك ثم أردف يقول: وهذا هو مذهب العرب في إمساك الجوارح » [5].

وكما كان ملوك فارس يخصون أنفسهم بصيد الأنواع العزيزة من الحيوانات كانوا يخصون بيوتهم بجلود الأسود والنمور « فلم يكن لأحد من غير طبقة الملوك أن يتخذ شيئاً من جلود السباع والنمور إلا بإذن » [6]

وكان ملوك فارس يتفاءلون ويتشاءمون لدى خروجهم إلى الصيد « فإذا توجه أحدهم للصيد تفاءل بأن يلقاه الرجل الصحيح الجسم المرضيّ الاسم والمرأة الوسيمة العوان — وهي الثيب — والغلام المنصرف إلى أهله من كتاب وموضع أدب، والدابة تحمل الطعام والتبن والرمل.

(١) العانة: القطيع من حمر الوحش، والسرب: القطيع من الظباء.
(٢) الزقاء: الصياح.
(٣) البيزرة: ٢٢.
(٤) الآيين: القواعد المتبعة.
(٥) المصايد والمطارد: ٦١.
(٦) المصايد والمطارد: ١٧٢.

ويتطير بالزّمِن والكريه الاسم والغلام الماضي إلى كتاب أو موضع أدب والثورين المقرونين بفدّان [1] والحيوان الموثق والدابة المقيّدة » [2] .

الصيد عند الروم :

كان الروم – وهم الأمة الثانية التي اختلط بها العرب – مغرمين بالصيد أيضاً، سباقين إلى تضرية بعض جوارحه وتأديبها فهم أول من لعب بالشواهين ولم يسبقهم إلى اقتنائها أحد [3] .

فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أن «قسطنطين» ملك عمورية خرج ذات يوم يتصيد بالبزاة حتى انتهى إلى خليج (نيطش) الجاري إلى بحر الروم فعبره إلى مرج فسيح مديد واقع بين الخليج والبحر فنظر إلى شاهين ينكفىء على طير ماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ... فأمر أن يُصاد له ، ثم ضراه ، فكان أول من لعب بالشواهين [4] ويبدو أن قسطنطين هذا قد أولع بالشواهين ولعاً بالغاً حتى إنــه راضها على أن تظلله من الشمس ، فكان إذا ركب حلّقت كوكبة منها فوق موكبه، وحامت فوق رأسه ، وسارت لمسيره فإذا نزل وقعت حوله [5] .

ثم إن أول من لعب بالعقاب الروم أيضاً ، فهم حين رأوا شدة أسر هذا الجارح وإفراط سلاحه قال حكماؤهم عنه : هذا طائر لا يقوم خيره بشره ، ثم ضرّوه وجعلوا يهدونه إلى ملوك الأمم الأخرى [6] .

---

(١) الفدان : أداة تجمع بين ثورين في قران للحرث ، والجمع أفدنة وفدن .

(٢) المصايد والمطارد : ٢٣٨ .

(٣) القانون في البيزرة ، الورقة : ٦ وما بعدها.

(٤) مروج الذهب : ١٦٠/١ وكتاب الطيور : ١٢ وما بعدها ، والقانون في البيزرة : ٦ وما بعدها .

(٥) انظر المصايد والمطارد : ٩٢ ومروج الذهب : ١٦٠/١ وما بعدها ونهاية الأرب : ٢٠٢/١٠ .

(٦) انظر المصايد والمطارد : ٩٩ ونهاية الأرب ١٨٣/١٠ .

بـــل إن هناك من يقول : إن الروم كانوا أسبق من الفرس إلى تضرية البازي والصيد به .

فقد روي أن قسطنطين [1] ملك الروم مرّ يوماً بجبلٍ فرأى بازياً يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الشوك ملتفة الأغصان فأعجبته صورته وراقه حسنه فأمر بأن يُصاد له جملة من البزاة ، فصيدت له وحملت إليه فارتبطها في مجلسه فعرض لبعضها أيّم [2] فوثب عليه فقتله ، فقال : هـذا ملك يغضبه ما يغضب الملوك ، ثم نصب له بين يديه كندرة [3] وكان هناك ثعلب داجن مما يُربى في البيوت ، فوثب عليه فما أفلت منه إلا جريحاً ، فقال : هـــذا ملك جبار لا يحتمل ضيماً ثم مرّ بـه طائر فكسره [4] ونهش منه فقال : هذا ملك نوعه ، لمـا جاع أخذ طعامه بسلطان وقدرة ثم جعل يحمله على يده ويصيد به [5] .

غير أن صاحب أنس الملا يؤكد – كما أشرنا من قبل – أن الفرس هم أول من عرف البازي وضراه حيث يقول: « والذي ترجح عندي – والله اعلم – أن أول من لعب بالبزاة العجم ، وما روي عن أولية الروم في هـذا المضمار لم أجد له دليلاً ولم يترجح عندي [6] .

وكان قياصرة الروم يتبادلون الهدايا من الجوارح والضواري مع أكاسرة الفرس ، فقد رُوي أن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً وكتب إليه أن يعلمها فإنها تعمل أكثر من عمل الصقور التي نالت إعجابه، فأمر بها كسرى فضُرّيت

---

(١) في نهاية الأرب : « لذريق » بدلاً من قسطنطين .

(٢) الأيم : ذكر الأفعى .

(٣) الكندرة : مجثم البازي .

(٤) كسره : وقع عليه وصاده .

(٥) نهاية الأرب : ١٠/١٨٨ ، وصبح الأعشى : ٢/٥٧ والقانون في علم البيزرة ، الورقة : ٦ وما بعدها ، والمصايد والمطارد : ٤٩ والصيد والطرد عند العرب : ٤٧ .

(٦) انظر أنس الملا : ١١٥ .

وأرسلت على ظبيٍ عرض لها فصادته فأعجبه ما رأى من شدة بأسها ثم جوّعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته ، فقال كسرى : غزانا قيصر في بلادنا بغير جيش ، ثم أهدى له نمراً وكتب إليه : قد بعثت إليك بما تقتل به الظباء وما قرب منها من الوحش ، وكتم عنه ما صنعت العقاب ، فأعجب قيصر بالنمر ، ثم غفل عنه ذات يوم فافترس بعض فتيانه، فقال : صادنا كسرى ، فإن كنا صدناه فلا بأس، فلما اتصل ذلك بكسرى قال : أنا أبو ساسان [1] .

(١) انظر نهاية الأرب : ١٠/١٨٣ .



الفصل الثاني

الصَّيدُ عند العرب في الجاهلية والإسلام

أ – الصيد في الجاهلية :

كانت العربُ أمةً متبديةً تعيش في جزيرتها عيش الإملاق ، ومن طبيعة أهل الوبر – إذا أملقوا – أن يعتمدوا في عيشهم على الصيد ، وأن يتخذوا من الحيوان مادة حياتهم الأولى ؛ فيقتاتوا بلحمه إذا عضّهم الجوع، ويصطلو بعظمه إذا مسّهم البرد ، ويستنيروا بدهنه إذا أظلم عليهم الليل ، ويتخذوا من أوباره غِطاءً وكساءً ، ويجعلوا من جلوده بساطاً وسقاءً .

وقد هدتهم الفطرة إلى أن يؤنّسوا وحشه ، ويروّضوا نافِره ، وأن يسخروه لمنفعتهم ، فسلّطوا بعضه على بعض ، وضربوا ضعيفه بقويّه ، وقنصوا غبيّه بذكيه ، وجنَوا ثمرات ذلك كله متاعاً لهم ولمن يعولون .

ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلة من وسائل الرزق فحسب ، وإنما كان متعةً من متع النفس ، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم ، وهم أشد ما يكونون حاجةً للرزق والمتعة والتدرّب الدائم على القتال .

لذلك أقبلوا على الصيد إقبالاً كبيراً فطعموا من جوع حين أكلوا لحوم

الطرائد ، واكتسَوا من عري حين ارتدوا جلودها وأوبارها ، وأمنوا من خوفٍ حين قتلوا الحيوانات التي تهدّد حياتهم وتروّع ماشيتهم .

ومن يتتبع الشعر الجاهلي يجده طافحاً بذكر الصيد وأخباره ، حتى غدت المعارك التي تدور بين القانصين والنعائم ، والطرادُ الذي يقع بين كلاب الصائدين وثيران الوحش وحميره تقليداً من تقاليد الشعر الجاهلي وركناً من أركان القصيدة العربية .

وكانت العرب تُعلي من شأن القنص وتمدح الرجل بأكله من صيد يده وتعتبر ذلك آيةً على أنفته ، وعلامةً على زهادته بما في أيدي الناس ؛ فها هوذا امرؤ القيس يصف قانصاً هَرِماً من بني ثُعَل لا يزال – على الرغم من شيخوخته وطعنه في السن – يعتمد الصيد وسيلةً وحدةً لكسب العيش فيقول :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ	مُتلِجٌ كفَّيه في قُترهْ[1]
فهو لا تنمي رميَّته ،	ما له لا عُدَّ من نفرهْ[2]
مُطعَمٌ للصيد ليس له	غيرها كسبٌ على كبرهْ[3]

وكان الصائد منهم يعود على أهل حيِّه بلحم صيده ، ويجد في ذلك مجالاً من مجالات الفخر ، يشير إلى هذا قول امرىء القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ حيّنا	تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب[4]

وقد كانوا يرون أن طعام الصيد أكرم طعام ، فقد روى كشاجم قول أحدهم :

---

(١) متلج كفيه في قتره: مدخل كفيه في القترة، وهي البيت الذي يكمن فيه الصائد للطرائد.

(٢) لا تنمي رميته : أي لا تنهض بالسهم وتغيب عنه وإنما تسقط في مكانها لإصابته مقتلها. وقوله : لا عد من نفره : دعاء عليه على وجه التعجب منه .

(٣) ديوان امرىء القيس ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٤) المصايد والمطارد : ١٠ والبيزرة ٢٣ .

ولقد أبيت على الطوى وأظلُّه حتى أنالَ بـــه كريمَ المآكل

ثم أردف يقول : « وفسره بعض الرواة بأنه الصيد »[1] .

وكان أبناء الملوك من العرب يفخرون بالصيد وأكل لحمه ، من ذلك قول امرىء القيس على الرغم من عراقته في الملك وأصالته في المجد :

وظلَّ طهاة اللحم من بين مُنضِجٍ صفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعجَّل[2]

وكان العرب يطلقون على الصيد اسم « اللذة » ويعرفونه بذلك ، فقد سمى الشاعر العربي الصيد لذة واستغنى بذلك عن أن يدعوه باسمه لعلمهم بـه واشتهاره فيهم وقدره عندهم فقال :

كأنّيَ لم أركب جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال[3]

ولم يقتصر الصيدُ عند العرب على ذوي الفاقة وإنمـــا مارسه الأغنياء والفقراء ، وأولع بـــه السادة والسوقة ؛ فعديُّ بن حاتم الطائي أحـد ملوك العرب في الجاهلية كان صياداً مولعاً بالصيد صاحب كلاب وجوارح وهو الذي جاء يسأل الرسول صلوات الله عليه عن أمر الصيد فيقول: «سألتُ رسول الله ﷺ فقلت : إنا قوم نتصيّد بهذه الكلاب فقال : إذا أرسلت كلابك المعلّمة وذكرتَ اسم الله فكل مما أمسكْن عليك إلا أن يأكل الكلبُ فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسَكَ على نفسه ، فـــإن خالطها كلبٌ من غيرها فلا تأكل »[4] .

وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول الكريم صلوات الله عليه كان صاحب صقور يصيد بها وكان « إسلامه عند مُنصرَفه من صيد وعلى يده صقر » فقد جـاء في السير : « أن حمزة كان صاحب قنص يرميه ويخرج له ، وكان أعز

---

(١) المصايد والمطارد : ١٠ .

(٢) البيزرة : ٢٤ وديوان امرىء القيس : ٣٥ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) متفق عليه .

فتىً في قريش ، فرجع يوماً من صيده فقالت له امرأة – كانت رأت ما نال رسولَ الله ﷺ من أذى أبي جهل – : يا أبا عمارة ، لو رأيت ما صنع أبو الحكم بابن أخيك ، فمضى على حاله ، وهو متعلّق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد فألفى أبا جهل ، فعلا رأسه بقوسه فشجّه ثم قال : ديني على دين محمد : أشهد أنه رسول الله » [1] .

وكما كان الفرس أول من ضرّى البُزاة ، وكان الروم أول من اصطاد بالشاهين والعقاب ، فقد كان العرب أول من ضرّى الصقور وصاد بها حيث أجمع الباحثون في البيزرة على أن أول من صاد بالصقر وضرّاه الحارثُ بن معاوية بن ثور بن كندة ، وسبب ذلك أنه وقف في بعض الأيام على صياد نصب شبكة للعصافير فانقضّ أكدر [2] على عصفور علق في الشبكة وجعل يأكله ، فما لبث أن علق جناحاه بها والحارث ينظر إليه ويعجب من فعله فأمر به فحُمِل إليه، وَوَكّل به من يسوسه فصار يحمله على يده، وفي ذات يوم رأى الصقرُ حمامةً فطار عن يده إليها وأخذها وأكلها فأمر الحارث عند ذلك بتدريبه وتضريته والتصيُّد به ، فبينما هو يسير يوماً ومعه الصقر لاحت له أرنب فطار إليها وأخذها ، فلما رآه يصيد الطير والأرنب ازداد به إعجاباً واغتباطاً ، واتخذته العرب من بعده ، واستفاضت الصقور بين الناس [3] .

وقد شُهرالعرب في الجاهلية عند الأمم المجاورة بتضريتهم للصقور وعُرِفوا بذلك وجعل الملوك يستهدونهم بعضاً منها ، فقد جاء في كتاب الطيور « أن العرب لما ضرّوا الصقور وقنصوا بها الوحش والطير بلغ خبرُها كسرى

---

(١) السيرة لابن هشام : ٣١٢ ، والبيزرة : ٤٠ .

(٢) الأكدر : اسم يطلق على الصقر .

(٣) مروج الذهب: ١/١٦٠ وما بعدها، ونهاية الأرب : ١٠/١٩٦ وكتاب الطيور الورقة: ١٥ وما بعدها ، وأنس الملا : ١١٧.

بهرام الأكبر بن سابور [1] فأرسل إلى ملوك الحيرة من بني مضر بن خذيمة جدّ المناذرة فبعثوا إليه بصقر فوجده يتعاقب على صيد الطير والأرنب فأعجبه واتخذه ليُظهِر للروم فضيلة الصقور وعملها » [2] .

ومن هنا قال الجاحظ « إن الباز أعجميٌ والصقر عربيٌ » [3] .

ولم يكن العرب الجاهليون أول من صاد بالصقور فحسب وإنما كانوا أول من ضرّى الفهود أيضاً، فقد رُوي أن أول من صاد بالفهد كليبُ بن وائلٍ، وقيل همّامُ بن مرة وكان صاحب لهوٍ وطرب ، وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

أما الكلابُ فقد عُني العرب بها في جاهليتهم عناية ملحوظة. واعتمدوا عليها في الصيد اعتماداً كبيراً ، فقد كانت لعامر بن عنترة كلاب صيد وكان يحسن صحبتها فلما مات لزمت قبره حتى ماتت عنده » [4] .

وقد بلغ من اهتمام العرب بكلاب الصيد وبخاصة السلوقية منها أنهم كانوا ينسبونها كما ينسبون الخيل [5] .

أما الصيد بالرماح والقسيّ فقد كان أكثر وأشهر وأشيع من الصيد بالجوارح والضواري ، ومن يرجع إلى «المخصّص» وغيره من كتب اللغة يدهش لكثرة ما أطلقه العرب من أسماء وأوصاف على كل جزء من أجزاء القسيّ والسهام والرماح حتى ليُخيَّل للمرء أنهم يصفون آلةً من آلات الحرب الحديثة المعقدة .

---

(١) ولي بهرام الأول الملك سنة ٢٧٢ م وذلك بعد سابور الأول، وفي الأسرة الساسانية أربعة ملوك عرفوا باسم بهرام ولي آخرهم الملك من سنة ٣٨٨ – ٣٩٩ انظر تاريخ إيران : ٥٤٢/١ و ٥٥٤ و ٥٢٧ و ٥٨٦ .

(٢) كتاب الطيور الورقة : ١٠٥ وما بعدها .

(٣) كتاب الحيوان : ٤٧٨/٦ .

(٤) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : ١٠ .

(٥) المصايد والمطارد : ١٣١ .

وقد انصبّت عناية العرب بالصيد على صيد البر والجو ، أمـا صيد البحر فليس له عندهم شأن يذكر ذلك لأنهم في كثرتهم أمةٌ بدوية تسكن الصحراء وتتنقل فيها ، وليسوا بأمة بحرية تغشى البحار وتفيد من صيدها .

ب – الصيد في صدر الاسلام :

لمـا جاء الإسلام برسالته الشاملة لشئون العقيدة والحياة وأخذ العرب يبنون حياتهم الجديدة على أسسه وتعاليمه ويحكّمون شريعته في جميع مـا يأتون وما يذرون لم يكن بدعاً أن يسألوا الرسول صلوات الله عليه عن حِلّ الصيد وحرمته وأن يقفوا على رأي الإسلام في هذا الأمر الحيوي الهامّ ، وهم الذين جعلوا يتحرّجون من كل مـا كان في الجاهلية خشية أن يكون للإسلام منه موقف آخر غير ما ألفوه وما تعاملوا به .

فقد رُوي أن زيد الخـير وعديّ بن حاتم سألا النبي صلوات الله عليه فقالا : « إنا نصيد بالكلاب والبُزاة وقد حرم الله تعالى الميتة فماذا يحل لنا منها» فنزل قوله تعالى: « يسألونك ماذا أُحِلّ لهم ؟ قُل أُحلّ لكم الطيبات ومـا عَلّمْتُمْ من الجوارِح مُكلّبين تعلّمونهن مما علّمكم اللهُ ، فكلوا ممـا أمْسَكْنَ عليكم واذكروا اسمالله عليه واتقوا الله إنالله سريعُ الحساب»[1].

وكان من ثمرة ما جاء به القرآن الكريم وما أورده الرسول العظيم ، وما دار حول ذلـك من تفسير المفسرين واجتهاد المجتهدين تشريعٌ كامل شامل عـالج موضوع الصيد من جوانبه كلّها فتناول الجيرانات الصائـدة من حيث إباحـة الصيد ببعضها وتحريمـه ببعضها الآخر ، ومن حيث وجوب تعليمها ، وحدُ التعليم وعلاماته ، وعرَض للحيوانات المصيدة من حيث إباحة أكلهـا وحرمته ومن حيث وجوب تذكيتها وعدمه، كما عرض للصائد من حيث حكم تسميته عند إطلاق الجارح ومـا إلى ذلك من التفصيلات والتفريعات التي

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤ .

أحاطت بعملية الصيد كلها سواء أكانت بالجارح أم بغيره من أدوات الصيد على وجه تبرز فيه دقة التشريع الإسلامي وروعته .

ونحن سنورد فيما يلي أهم الأحكام التي يحتاج إليها الصائد لمعرفة حِلّ الصيد وحرمته .

أما الحيوانات الصائدة فقد أشار إليها الله سبحانه بقوله: «وما عَلَّمْتُم من الجوارح». والمراد من الجارح: إما الجارح حقيقةً بنابه او مخلبه فيكون مشتقاً من الجرح بمعنى الجراحة ، وإما أن يكون المراد منه الكاسب للصيد على أهله وذلك من قولهم : جرح فلانٌ واجترح بمعنى كسب واكتسب . وقولهم : « ما لهؤلاء القوم من جارح » أي كاسب ، ومنه قوله تعالى : « وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُم بالنهار » [1] أي ما كسبتم، ويمكن حمل الجوارح على المعنيين معاً فيُشترط في الحيوان الصائد أن يكون من الكواسب على أهله وأن يجرح طريدته .

والمعتبر من الجوارح العقاب ، والبازي ، والصقر ، والشاهين ، والكلب بجميع أنواعه وألوانه ، والفهد وعناق الأرض والنمر .

أما الأسد والذئب والخنزير فلا يجوز الصيد بها؛ ذلك لأن الأسد لا يعمل لغيره ، والذئب لا يُتَصور منه التعلُّم ؛ إذ من « التعذيب تهذيب الذيب » – كما يقولون – والخنزير نجس العين فلا يجوز الانتفاع به .

ولا يؤكل صيد الجوارح إلا إذا كانت (معلَّمةً) وذلك أخذاً من قوله جل شأنه «وما علَّمتم من الجوارح مُكلِّبين» إذ أن معنى مُكلِّبين «معلِّمين الاصطياد»؛ ذلك لأن المكلِّب – بكسر اللام – هو معلِّم الكلاب ومؤدبها، ثم عمَّ في كل من أدَّب جارحاً وراضه ، واستقاق « مكلِّبين » إما من الكَلْب وهو الحيوان النابح المعروف؛ لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتُقَّ من لفظه لكثرته في جنسه، أو لأن السبُع مطلقاً يُسمى كلباً ، أو اشتقاقها من

---

(١) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

الكَلَب بمعنى الضراوة حيث يقال : هو كَلِب بكذا إذا كان ضارياً به .

وحدُّ تعليم الجارح أن يسترسل إذا أرسلتَه وأنْ ينزجر إذا زجرته وأن ينصرف إذا دعوته وأن يُمسك الصيد على أهله لا على نفسه، وأقلُّ ما يعرف بـه ذلك ثلاث مراتٍ ، فإن أكل الكلبُ من طريدته حَرُم أكلُ الطريدة لقوله عليـه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم : إذا أرسلت كلابـك المعلّمة وذكرت اسم الله فكل مما أمْسَكنَ عليك إلا أن يأكل الكلبُ فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه »[1] .

فـإن شرب الكلب من دم الصيد ولم يأكل منه حلّ أكله لأنه أمسك الصيد على صاحبه ، وهذا من غاية علمه حيث شرب مـا لا يصلح لصاحبه — وهو الدم — وأمسك عليه ما يصلح له وهو اللحم .

أما الجوارح من الطير فـآية تعلُّمها أن تسترسل إذا أرسلتها وأن تجيبك إذا دعوتها ولا يشترط في حِـلّ صيدها الامتناعُ عن أكل الطريدة، كما هو الشأن بالنسبة إلى الكلب ونحوه ، وقيل في تعليل ذلـك : إن تأديب سباع الطير إلى حدّ ترك الأكل متعذّر ولأن آية التعلُّم تبدو في ترك ما هو مألوف عادة ، ثم إن الطير متوحش نَفور ؛ لذا كانت إجابته عند الدعاء علامـةً كافيةً على تعليمه ، أما الكلب فهو ألوف بطبعه يجيبك إذا دعوته ، لكنه معتاد على انتهاب فريسته والأكلِ منها؛ لذا كان تركه للأكل آية على تعلُّمه[2].

أما الحيوانات المصيدة فمنها ما يحرم أكله ومنها مـا يحل أكله ، فيحرم من الطير كل ذي مخلبٍ يُصطاد به كالصقر والبازي والشاهين والنسر والعقاب ونحوه ، أما الذي له مخلب لا يُصطاد به كالحمام فإنه يحل أكله.

ويحرم أكل كل ذي نابٍ من سباع البهائم يسطو بـه على غيره كالأسد

---

(١) رواه البخاري .

(٢) هناك خلاف بين الأئمة في أمر الأكل وعدمه فمن أراد الاستزادة من الموضوع فليراجع كتاب الصيد في كتب الفقه .

والنمر والذئب والدب والفيـل والقرد والفهد والنمس (وهو ابن آوى) ، والهرةِ أهلية كانت أم وحشية، أما الذي له ناب لا يسطو به على غيره كالجمل فإنه يحل أكله .

ويُشترط لحـلّ الطريدة التي يقتلها الجارح في أثناء الصيد أن تُجرَح ، وعند ذلـك يقوم جرحُها مقام الذبح . أما الطريدة التي تقع في يـد الصائد حية فلا بدّ من تذكيتها ، فـإذا ماتت قبل الذبح حرم أكلها [1] . وأطيب الذكاة وأحسنها مـا جاء على وفق قول الرسول عليه السلام « ... فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة، ولْيُحدّ أحدكم شفرته وليرِح ذبيحته » [2] .

أما الصائد نفسه فيجب أن يُسمّي عند إرسال الجارح ، فإن أرسله ولم يُسمّ عامداً فالصيد ميتة يحرم أكله .

ويشترط ألا يشرَك الكلبَ المعلم كلبٌ غير معلم، أو كلبٌ لم يُرسل للصيد، أو كلبٌ أُرسل وترك مُرسله التسمية عمداً ، وذلك لما أوردناه آنفاً من أن عديّ بن حاتم سأل الرسول ﷺ عن الصيد فقال : « إذا أرسلت كلبـك فخالطَتْه أكلبٌ لم يُسمّ عليها فلا تأكل فإنك لا تدري أيها قتل » [3].

هذه مُجملُ أحكام الصيد في الفقه الإسلامي ، أما نظرة الإسلام إلى الصيد فتقوم على أنه وسيلة مشروعة من وسائل كسب العيش [4] .

ج – الصيد في عصر بني أميّة :

رأينا من قبل مبلغ حاجة العرب في جاهليتهم للصيد ومدى ولعهم به ،

---

(١) هناك خلاف بين أصحاب المذاهب حول هذا الموضوع ، ومـا أوردناه هو ما ذهب إليه أبو حنيفة وصاحباه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) انظر نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : ٢٤٢ ، وجامع الأصول للجزيري: ٧/٤٤٢.

(٤) هـذا إجمال لأحكام الصيد ومن أراد التفصيل فليرجع إلى باب الحظر والإباحة في كتب الفقه ، ففيها ما يروي الغليل .

ولحظنا أن جُلّ صيدهم كان للحاجة وأن أقلّه كان للهو والمتعة .

ثم أكرم الله العرب بالإسلام ؛ فما لبث قليلاً حتى جعل من سكان الوبر سكان مدر ، ومن رعاة الإبل والغنم قادة ممالك وساسة أمم ؛ فطعِموا من جوع، واكتسَوا من عريٍ ، وامتلأ فراغ حياتهم بأروع المعاني وأرفع المثل، وأصبحوا أصحاب قضيةٍ وحملة رسالةٍ ؛ فإذا الذي كان يصيد لسدّ الرمق يجد فيما أفاء الله عليه من غنائم الجهاد وأُعطيات بيت المال ما يغنيه عن الصيد ألف مرّة .

وإذا بالذي كان يصيد المتعة وملء الفراغ يجد أن كل لحظة من لحظات حياته قد امتلأت بالجليل الجليل من الأعمال ، وشُغلت بالنبيل النبيل من الغايات والأهداف ، ويوقن أن العمر أكرم وأجلُّ من أن يضيع في صيد حيوان او اقتناص طائر ، وذلك على الرغم من أن الله سبحانه أباح الصيد وجعل له في شرعة الإسلام قواعد وأحكاماً .

ومضى المسلمون على ذلك زمن الرسول الكريم وخلفائه الأربعة الراشدين.

ثم آل الأمر إلى بني أمية ، وغدا المسلمون في بسطةٍ من العيش ، وسَعةٍ في الأرض ، وسطوةٍ في الملك ، فنظر الأمويون إلى الأمور نظرة جديدة وصيّروا الخلافة الإسلامية ملكاً عضوداً ، وأغرتهم الحياة بما حفلت به من غنىً وثراء وما امتلأت به من متعٍ وطيبات بأن يسلكوا مسلكاً يختلف قليلاً أو كثيراً عن مسلك السابقين من المسلمين، فقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام يتفقدها فتلقاه أميرها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في موكب لم يره من قبل ، وراح إليه في موكب مثله فأنكر عمر رضوان الله عليه ما رآه وقال له : « يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو في مثله !!.. فقال : يا أمير المؤمنين : إن العدو منا قريبٌ ، وله علينا عيون ، فأردت أن يروا الإسلام عِزاً »[1] .

---

(١) الطبري : ٤/٢٤٤ .

ثم تصير الخلافة إلى معاوية رضوان الله عليه ، وينتقل ذات يوم إلى بعض كور الشام لشيء من عمله وينزل هناك منزلاً حيث بُسِط له على مكان مشرف من أنزه الأماكن ثم مرّت أمامه قطع الإبل وقد ضُمّ بعضها إلى بعض على نسق واحدٍ وتلتها الرواحل والخيول والجواري فقال: « رحم الله أبا بكر، لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر ... فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه ، وأما نحن فتمرغنا فيها » [١] .

ثم آلت الخلافة إلى يزيدَ بنِ معاوية ، وكان فتىً ميّالاً إلى متع العيش ، رغّاباً في زينة الحياة .

ومن متاع الحياة وزينتها تلك الجوارح والضّواري يلهو بها المرء ما شاء أن يلهو ويستمتع بعجائب صيدها ما طاب له الاستمتاع .

وقد كان يزيد — كما يقول المسعودي — صاحب طربٍ وجوارح وكلاب وفهود [٢] ، وكان مولعاً بالصيد مبتدعاً فيه ؛ فهو أوّل من حمل الفهود على ظهور الخيل .

ومن هنا كانت خلافة يزيدَ بنِ معاوية — مضافاً إليها العوامل الأخرى — من سياسية واجتماعية واقتصادية سبباً في أن يَفشُوَ الصيدُ في زمن بني أميّة، وأن يغدو وسيلة من وسائل اللهو ، ومظهراً من مظاهر الغنَى والترَف .

ولا غَرْوَ فالناس في عصر بني أميّة ما زالوا قريبي عهد بالبادية، والصيد والطرَدُ من أجمل ما في حياة البادية .

والناس في زمن بني أمية أخذوا ينعمون بثراءٍ ما مثله من ثراء ؛ فقد كان رزقهم يأتيهم رغداً من كل مكان .

والصيد بابٌ من الترَف كبير ، ومجال للإنفاق لا حدّ له ، فصاحب (البيزرة) يقول : إنه لا مؤونة أغلظ من تكلُّف آلات الصيد؛ لأنها خيل

---

(١) الطبري : ٤/٢٤٧ .

(٢) انظر مروج الذهب ٥/١٥٦ (الطبعة الأوروبية) .

وفهودٌ وكلابٌ وآلات تحتاج في كل قليل إلى تجديد، ومن هنا كان لا يُشْغَفُ بالصيد إلا سخي [١] ؛ فكلب الصيد يحتاج إلى دابةٍ ترافقه وتؤازره ، وهما يحتاجان إلى غــلام يسوس الدّابة ويَرْعى الكلب ، ويذكّي الطريدة ، والطريدَة تحتاج إلى جارية تطهيها ، وهؤلاء — كما قال أبو دُلامَة للسفاح — عيال لا بدّ لهم من دار تؤويهم وضيعة يُنْفَقُ من ريعها عليهم [٢] .

وقد كان في وسع كثير من الناس زمن بني أمية أن يجدوا ذلك كله وأن يجدوا معه الفراغ العريض الذي يمكّنهم من اللهو به .

على أن الصائدين زمن بني أمية لم يكونوا جميعهم ممن يتخذون الصيد وسيلة للّهو وطريقاً إلى المتعة ، وإنما كان هناك صائدون يصطنعون الصيد زهادةً بما عند الناس ، وكفّاً لأنفسهم عما في أيدي الآخرين ، ذلك بأن الصيد « يؤثره رجلان متباينان في الحــال ... ملكٌ ذو ثروة أو زاهد ذو قناعــة فالملكُ يُؤثِرُه لِحُبّ الغَلَبة والظفر أو للطرب واللذة والابتهاج بظاهر العتاد والعدة .

والزاهد يؤثره لكفّ نفسه عن دَنِيّ المكاسب والنأي بهــا عن مصرع المطالب ، وصون مــاء وجهه عن غضاضة الامتهان ... ومن هؤلاء من ينال من صيده ما يكفيه ويتصدق بمــا فضل عنه توقياً عن المبايعة والمعاملة وما تجره من شبهات ، ومنهم من يبيع ما فضل عن قوته وينفق ثمنه في مصالحه الأخرى ، وكانت هذه حال الخليل بن أحمد الفرهودي مع فضله وأدبه وكمال علمه ، فقد كان له باز يقتنص به ويوسّدُ خدّه لبنةٍ ، وكان جِلّةُ الناس في عصره يتجاذبونه ، ويسألونه أن يشاركهم في أموالهم فلا يثنيه ذلك عن طريقه ولا يحيد به عن مذهبه ، وكان ممن كاتبه وعرضَ عليه ماله سليمان بن علي الهاشميّ فكتب إليه الخليل :

(١) البيزرة : ٢٠ .

(٢) انظر خبر أبي دلامة مع السفاح في الأغاني : ١٠/٢٣٦ .

أبلغ سليمان أني عنــه في سعة وفي غِنىً غير أني لست ذا مالِ
شحّاً بنفسيَ أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حـالِ [١]

ومهما تكن الأسباب والدواعي فقـد شاع الصيد في زمن بني أمية وفشا بين الناس ، وأصبحت تمارسه أصناف كثيرة منهم، وغدت تُعدّ له الرحلات وتُقام الحفلات التي يجتمع فيها أشتات من الناس ويختلط في حومتها الحابل بالنابل ، ويتخلّى فيها ذوو الوقار عن وقارهم ، وصاحب « الجمهرة في علوم البيزرة » يروي لنا خبر رحلة من رحلات الصيد هــذه ويصور فيها شغف الناس بهذا الضرب من اللهو وإقبالهم عليه تصويراً بارعاً يذكّرنا بصور بعض حفلات الأعياد التي تُقام في أوروبا في أيامنا هذه .

فاستمع إليه وهو يصف لك حفل صيد اشترك فيه هشامُ بنُ عبد الملك حيث يقول : « وذكروا أن هشام بن عبد الملك خرج ذات يوم للقنص فلمّا توسط مكان الصيد اختلط الناسُ بعضهُم ببعض ، وأنكر في حَومَةِ الصيد الأخُ أخاه ، والوالدُ ولده ، والخادمُ سيده ، وجعل الناسُ يصيدون من كل جانب ، كلٌّ بمـا معه من آلة الصيد ، فمنهم من يرمي بالنبل ، ومنهم من يتصيّد بالجوارح، ومنهم من يتصيد بالفهود ومنهم من يتبع المتصيدين لطلب الفرجة ، قـال : وهشامٌ قائمٌ على نشزٍ من الأرض ينظر إلى من يتصيد ، فبينا هو قائم ينظر ومعه ثلاثـة نفر ، وإذا فارسٌ يركض على سرب ظباء ويطرده فلم يزل به إلى أن وصل إلى هشام ، فنزل من كان معه إلى السرب، وتبع كلٌّ واحد منهم ظبياً وتبع هشامٌ ظبياً كذلك » [٢] .

بل إن هشاماً عرّض نفسه ذات يوم للضرب والإهانة في رحلة من رحلات الصيد هـذه ، فقد جاء في أنس الملا ، « أن بعض الخلفاء — وهو هشام بن عبد الملك ، وكان مولعاً بالصيد — قـد انفرد عن صحبه فساقته قدماه إلى

(١) انظر البيزرة : ٢٠ .
(٢) انظر الجمهرة في علوم البيزرة : الورقة ٤١ .

بيت شعر فيه أعرابيٌ وعنده فرس أرتبطه وكان من هشام مـــا أحفظ الأعرابيَّ فتشاجرا فاغلظ هشامٌ القول للأعرابي ، فوثب الأعرابي على فرسه وطعَن هشاماً برمحه فشجه وأدماه »[1] .

فهشامٌ إذن كان صياداً ، وكان يشهد حفلات الصيد الصاخبة التي تذهب بوقار الخلافة وأبهة الملك ، وكان يشارك عامـــة الصائدين في لهوهم وطربهم ونشوتهـم ، يحبس أنفاسه في المواقف المثيرة ويستخفه الطرب فيجري وراء الطريدة كا يجري الغلمان ، إنه أشبه ما يكون بهاوٍ من هُواة كرة القدم في أيامنا هـذه ، يشهد حفلاتها ويهتاج في مواقفها الحاسمة ويشجع الفريق الذي يؤثره ويأسى عليه إذا أخفق .

بل إن هشاماً ذهب إلى أبعد من ذلك فرسم فيقصره للصيد رسماً خاصاً بـه وجعل له في أعماله وعُمّاله نصيباً ، واختار المنصب الجديد حاذقاً من حذّاق هذا الفن وإماماً من أئمته، وأسلم إليه ضواريه ليؤدّبها إذا جهلت ، ويُطبِّبها إذا مرضت ويروضها على الصيد كلما آنس بها حاجة إلى الرياضة ، ذلكم هو الغطريف بن قدامة الغسانيُّ ، وكان يُسمّي صاحب صيد هشام بن عبد الملك .

فكما كان للشرطة صاحبٌ وللحسبةِ صاحبٌ أصبح لدى الدولة الأموية للضواري صاحبٌ أيضاً .

والغطريف بن قدامة هذا عـــالم كبير من علماء البيزرة ومرجع موثوق يُرجعُ إليه في شؤونها .

فقد قال صاحب كتاب الطيور في مقدمة كتابه: استخرجنا هذا الكتاب من خزانة الرشيد وعرضناه على الغطريف بن قدامة الغساني صاحب ضواري هشام بن عبد الملك والوليد فعرفه ، وذكر أن معاذَ بن أسلم زادهم فيـــه كلمات لملوك الأكاسرة[2] .

---

(١) انظر أنس الملا : ١٧ .

(٢) كتاب الطيور : ١ وما بعدها .

وصاحب كتاب الطيور لا يفتأ يقول : قال الغطريف كذا ... وقال الغطريف وأدهم بن محرز كذا ... وقالا (يعني الغطريف وأدهم) كذا ... مما يجعل جُلّ الكتاب رواية عنهما [١] .

وصاحب كتاب القانون في علم البيزرة ينقل عن الغطريف أيضاً كما ينقل عن أدهم فيقول : « قال الغطريف بن قدامة وكان استاذاً حاذقاً في معرفة الضواري قيّماً بأمرها » [٢] .

والغطريف بن قدامة هـذا كان مُطّلِعاً – كما يبدو – على آثار الأمم الأخرى في البيزرة واقفاً على ما جاء فيها ، فقد نقل عنه صاحب كتاب القانون في علم البيزرة قوله : « وجدنا في كتاب خاقان صاحب الترك كذا ... » [٣] .

وورث الوليدُ بنُ يزيدَ عن هشام بن عبد الملك ولعه بالضواري فاصطنع الغطريفَ بنَ قُدامة من بعده ، وجعله صاحباً لضواريه حين آلت إليه الخلافة .

بل إن ولع الوليد جاوز الحد مما جعل هشاماً نفسه يعمل على الكفّ من غلوائه في ممارسة اللهو بالضواري وغيرها [٤] .

وكان من الطبيعي ألا يقتصر اقتناء الجوارح والضواري والصيد بها على الخلفاء وحدهم وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والأثرياء وذوو الوجاهة ، فها هوذا عبد الملك بن بشر بن مروان يقتني الفهود ، ويولعُ بها وَلعاً حمله على أن يستدعيَ شاعراً فحلاً من شعراء الطـرَدِ ليصفها له؛ فقد روَى الأصمعيُّ أن عبدالملك بن بشرٍ قال لأبي النجم العجلي: صف لي فهودي هذه، فوصفها له في أرجوزة تائية معروفة [٥] .

---

(١) انظر كتاب الطيور تجد مصداق ذلك في أي صفحة من صفحاته .
(٢) انظر كتاب القانون في البيزرة : الورقة ٦ وما بعدها .
(٣) انظر الطبري : ٥/٥٢٠ وما بعدها .
(٤) انظر المصدر السابق .
(٥) انظر الأغاني : ١٠/١٦٠ .

مما تقدّم يتضح لنا أن اقتناء الجوارح والضواري ، والاستمتاع بالصيد بها والسخاء في الإنفاق عليها ، واتخاذ الوسائل العلمية في تضريتها على الصيد والسَّهَرِ على صحّتها غدت مظهراً من مظاهر الحياة في عصر بني أمية .

وأن المتأخرين من خلفاء هــذه الأسرة جعلوا للصيد وضواريه شأناً في أعمال الدولة ، وسمّوا له «صاحباً» يقوم عليه ويرعى شئونه كما كان للشرطة والحُسْبَة وغيرهما صاحبٌ أيضاً .

د ـ الصيد في عصر بني العَبّاس :

لما دالت دولة بني أمية وآل الأمر إلى بني العباس كانت الراية الإسلامية ترفرف على أكثر أصقاع المعمورة ثروة وأوفرها غنىً ، وكان خراج هــذه الأرض العريضة يُجْبى من هنا وهناك ثم لا يلبث حتى ينصبّ كله أو جله في خزائن بــني العباس ، وكانت الدنيا تقبــل على الناس ضاحكةً مستبشرة تحمل إليهم الحضارة وزخرفها ، وتسوق لهم الغنى ومتاعه ، يضاف إلى ذلك أن ريح الفتح والغزو قد ركدت وأصبح همُّ الخلفاء الجدد مقصوراً على حمـاية حدود دولتهم من أن تُنال أو تُنتقص ، وحفظ سلطانهم من أن يخرج عليه خارج أو يثور به ثائر .

ثم أقبل الحكام والمحكومون على الترف يكْرَعون منه ثم لا يرتوون وأوغلوا في المتع يلتهمونها إلتهاماً ثم لا يشبعون .

وكانت متع الصيد ولذاذاته في طليعة ما أقبلوا عليه ، فجعلوا يقضون في حفلاته ورحلاته أجمل أيام العمر ، وينفقون على جوارحه وضواريه مُنْفَسَ المـــال .

ومما زاد في هذا الإقبال عظم مكانة العنصر الفارسيّ في الدولة الجديدة ، والفرس ـ كما رأينا من قبــل ـ ذوو شأن في الصيد عظيم ضرّوا جوارحه وراضوا ضواريه ، وأتقنوا فنونه ، وأحكموا آلاته ، فلما صار لهم في المجتمع الجديد مقام الريادة والتوجيه نقلوا إليه كل ما كان لديهم في هذا المجال .

وكانت ولايةُ السفاح شأنَ المسلمين سبباً آخر من أسباب ولع الناس بالصيد وإقبالهم عليه ؛ فأبو العباس كان قبل أن يلي الخلافة يحيا حياة فيها كثير من الفراغ ، وفيها رغبة في الابتعاد عن متناول أيدي ولاة بني أمية ، وكان ذلك يغريه بالصيد ويدفعه إليه .

ومن هنا نشأ السفاح صائداً، فقد صاد وهو غُليِّمٌ صغير [١] وصاد وهو شابٌ يافع ، ثم صاد بعد ذلك وهو خليفة مكتهل [٢] .

وكان كثير الولع بالضواري [٣] ، شديد اللهج بالصيد [٤] ، وكان إذا تخلفت ضواريه ولم تصد الصيدَ الذي يليق بها وبه شكا من ذلك وخجل ، وجعل يخرج إلى الصيد منفرداً عن عسكره ليس معه إلا خاصته من أمثال خالد بن صفوان ومن يساويه في المرتبة .

وكان ينذر النذور لله إذا نجح في صيده ، ويُثيبُ أجزل الثواب للذي يظن أنه كان سبباً في نجاحه [٥] ، فقد رُوي عن خالد بن صفوان أنه قال : « خرجتُ مع السفاح يوماً إلى الصيد وكان كثيرَ الولوع بالضواري ، وكان قد شكا لي في تلك الليلة ما يجده من قلة نجح ضواريه في الصيد ، وطلب أن يَتَصَيد منفرداً وقال : مر — يا خالد — أن يُنادَى في الناس ألا يبتغي الصيد أحدٌ غيري فإنني أخجل من قلة عمل ضواريَّ ؛ فنودي في العسكر : أن ارجعوا فرجعوا إلا من اختاره السفاح، فسرنا غير بعيد، فقال إن سُرِرْنا في صيد هذا اليوم تصدقتُ لله بكذا وكذا ، وكان قد اختار من ضواريه القليل وترك الكثير في المُخَيَّم ، وإذا أعرابي ينادي جارية له مع إبله : يا سعادة، يا سعادة، فقال السفاح : ويلك يا خالد، قلت لبيك يا أمير المؤمنين:

(١) انظر البيزرة : ٤٢ .
(٢) انظر البيزرة : ٤١ .
(٣) أنس الملا : ١٤٢ .
(٤) البيزرة : ٤١ .
(٥) أنس الملا : ١٤٢ .

قال : إني قد سررت بهذا الاسم ، وإني لأظن بأن الضواري كلها ستصيد في هذا اليوم ، ثم أمر بعض غلمانه بأن يمضي إلى المُخَيّم وأن يحضر ما تبقّى من الضواري وألا يترك منها شيئاً ، فقلت يا أمير المؤمنين : إني لأعجب من أنك كنتَ تشكو من الضواري ثم ها أنت تأمر بإحضارها جميعاً فكأنك قد استبشرت بهذا الاسم ، وغلب على ظنك بأن النجاح سيكون في هذا اليوم ؟ فقال : نعم وستجد مصداق ذلك قريباً ، ولما وصلنا إلى المتصيّد اصطدنا بجميع ما جيء به من الضواري ثم أقسم أنه اصطاد ببعض الضواري التي لم تكن قد صادت من قبل [١] .

وقد كان السفاح كثير التفاؤل في الصيد شديد التشاؤم أيضاً ، فقد رُوي أنه خرج يوماً إلى الصيد فرأى غلاماً بدوياً صبيح الوجه فقال له ما أسمك ؟ فقال مسعود ، فقال : دلنا على مكان الصيد فدلهم فصادوا ما شاء الله أن يصيدوا ثم عادوا إلى مخيمهم وأنعم على الأعرابي بما كان فيه غناه [٢] ، كما رُوي أنه خرج إلى الصيد يوماً وإذا منادٍ ينادي : يا سعيد مرتين أو ثلاثاً فلما لم يجبه نادى يا شقي فقال السفاح: أولُ يومنا طيّبٌ وآخره رديء [*][٣] .

وقد أكثر السفاح من رحلات الصيد الصاخبة التي كانت تجمع جِلّة أهل بيته وفيهم أعمامه وأخوه المنصور ، وكبار رجال دولته وفيهم وزراؤه ، وكان يُمضي في ذلك أياماً حافلةً بالمتع والمسرات، فقد رُوي صاحب البيزرة [٤] أن السفاح كان شديد اللهج بالصيد ناشئاً ومكتهلاً ، وأنه خرج يوماً مُتنزّهاً نحو الخَوَرْنَق [٥] في يوم من أيام الربيع ومعه جمعٌ غفير من أهل بيته

---

(١) أنس الملا : ١٤٢ .
(٢) أنس الملا : ١٤٣ .
(*) لا يخفى على القارىء أن الشرع والعقل لا يقران ذلك .
(٣) أنس الملا : ١٤٣ .
(٤) انظر البيزرة : ٤١ وما بعدها .
(٥) الخورنق : بفتح الخاء والواو والنون قصر للنعمان الأكبر .

وجماعة من خاصته ومواليه ، فبُسِط له هناك ودعا بغدائه ، وحضر مائدَته أعمامُه وأخوه المنصور ، وفيما هم كذلك يتضاحكون ويأكلون إذ طلع عليهم أعرابي ، فأشار إليه أبو العباس فـدنا منهم ، فقال له : أصب من طعامنا فجثا الأعرابي على ركبتيه بعد أن سلّم ثم أكل أكل جائع منهوم مقرور ، فلما فرغ من طعامه أقبل على أبي العباس وقـال بأبي أنت وأمي يا حسن الوجه ، انتسب إليّ أعرفك ، فتبسّم المنصور ، ثم قال : رجل من اليمن من عبد المدان ، فقال: أنت والله شريفٌ ولكني أشرفُ منك ، قال أبو العباس: فانتسب إليّ أعرفك فقال : من بيت قيسٍ من بني عامر ، فقال أبو العباس: شريف ولكني أشرف منك ، فقال : كلا ، مـا بنو الحارث بأشرف من بني عامر إلا أن تكون عارَضْتَني في نسبك ، فقال: ما عارَضْتُكَ وإنهم لأحد طرفيّ ، قال : فمن أنت ؟ قال : من بني هاشم ، قـال : رهط رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : شريفٌ والله الذي لا إله إلا هو ، فما قرابة مـا بينك وبين هذا الملك — يعني أبا العباس — قال : قريبة ، قال : بأبي أنت وأمي أهو الحميميُّ ؟ قال : هو هو ، قال فاكتم عليّ حديثاً أحدّث به عنه ، قال : أكتمُ عليك ، قال : رأيته وهو غُليّمٌ ، يقعد يرمي بالحُميمةِ فيجمع بين نبله في مثل راحتي هذه ، وكان يمرُّ بالطائر فيصرعه بسهمه فما يملك حتى يذبحه بسيفه ويقطعه ويضرم له ناراً او يستعير نار مَلّة قـد أضرمها أهلُها لغدائهم فيلقي صيده فيها ، ويرمي بِطرْفه إليها لئلا يغلبه أحدٌ عليها ، ثم يأكل الطائر نتفاً بريشه مع شظيةٍ من لحـه حتى يأتي على ما فيه لا يشركه فيه عشير ولا خليل .

فصاح به داود بن علي عمُّ السفاح: اسكت فضّ الله فاجذك ، إنما تخاطب أمير المؤمنين ، فقال أبو العباس لداود : يا عمّ ، ما هذه المعاشرة ؟! رجل يتكلم على الأنس والانبساط وقد تحرّم بنا ولزمنا ذمامُه فأرعبته وأوهنتَ مَتنه وقطعتَ حديثه ، تكلم يا فتى ، فلما سمع الأعرابي ما قال داود أردف يقول : وكنت أرى في هذا الفتى أمارات خير تدل على أنه سيملك ما بين

لا بَتَيْنها ، قال وما هي ؟ قال : لينُ الجانب والصّفحُ عن الجاهل ، والبذلُ للنائل مع مَحْتِدِه الكريم وموضعه عن النبوة، فضحك أبو العباس حتى فحص الأرض برجليه وضحك أهل بيته ، وأمر له بألف دينار وكساه وحمله .

من هـذه الأخبار يبدو لنا تعلّق السفاح بالصيد وولعه به على وجه مـا كان يتوقّعُ من الخليفةِ الأول في الدولة الجديدة التي ما زالت تحتاج إلى من يُرْسي دعائمها ويثبّت أركانها .

فلمـا آلت الخلافة إلى المنصور لم يسر في الصيد ونحوه من أسباب اللهو سيرة أخيه السفاح ، ولعل اختلاف شخصيتي الرجلين ، وما تعرّض له حكم بـني العباس زمن المنصور من انتفاضات وثورات كانا السبب في أن يسلك المنصور في حياته كلها مسلك الجد وأن يبتعد مـا وسعه الابتعاد عن اللهو بأشكاله كلها ومنها الصيد .

فقد روَى الطبريُّ وابن الأثير أنه « لم يُرَ في دار المنصور لهوٌ قط ولا شيء يشبه اللهو واللعب والعَبث ... وقـد ذكر حمّاد التركي قال : كنتُ واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار فقال : ما هذا يا حمّاد؟ انظر، فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين الجواري وهو يضرب لهن الطنبور، وهن يضحكن فجئت فأخبرته، فقال : وأي شيء هو الطنبور؟ فوصفتُه له فقال لي : أصبت صِفته ، فما يدريك أنت مـا الطنبور ؟ قلت رأيتُه بخراسان ، قال : نعم ، هناك ، ثم قال : هات نعلي ، فأتيته بهـا ، فقام يمشي رويداً رويداً حتى أشرف عليهم ، فلما بصروا به تفرقوا ، فقال : خذوا الطنبور ، فأُخِذ ، فقال : أضرب به رأسه فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرته ، ثم قال: أخرجه من قصري وأذهب به إلى «حمدان» بالكرخ وقل له: يبيعه»[1].

وكما كان المنصور يـنزه نفسه عن اللعب بالجوارح والضواري ولا يجـد في وقته متسعاً لذلك كان يأخذ عماله بهـذا ويحملهم عليه حملاً ولا يتأخر عن

---

(١) انظر الطبري : ٦/٣٠٩ وما بعدها ، والكامل : ٥/٤٥ .

تنحية من يتشاغل بالصيد عن شؤون الرعية ؛ فقد روى الطبري « أن المنصور ولّى رجلاً من العرب حَضرَموتَ فكتب إليه صاحب البريد أن الوالي يكثر من الخروج في طلب الصيد ببُزَاة وكلاب قد أعدّها لذلك » ، فعزله وكتب إليه : « ثكلتك أمك ، وعدمتك عشيرتك ، ما هذه العُدَّةُ التي أعددتها للنكاية بالوحوش ، ونحن إنما استكفيناك أمورَ المسلمين ولم نستكفك أمور الوحوش ، سلّم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً » [1] .

لكن المنصور على الرغم من ذلك كله لم يستطع القضاء على ولع الناس بالصيد ولم يتمكن من كفهم عنه ، فهم قد ورثوا هذا الولع عن بني أمية وعن أخيه السفاح وتعلّقوا بالصيد ومتعه ولذاذاته وأخذوا بما فيه من صور الترف الباذخ ومظاهر النعمة والخيلاء ، وأرسوا قواعده وأخذوا أنفسهم بآدابه ، فها هوذا واحدٌ من ندمائه وشاعرٌ من شعرائه يتعلّق بالصيد تعلُّق المحب بمحبوبه ، ويبوح بذلك أمام الخليفة دون أن يتحرّج ، فقد روى صاحب الجمهرة في علوم البيزرة أن أبا جعفر المنصور قال لأبي دلامة: كيف حبُّك للصيد ؟ فقال كحب المسجون للخلاص من القيد ، فقال وأيُّ الأشياء أحب إليك من الضواري ؟ فقال: أحب الصقر الطويل النفس الأسود الجنس إذا صاد أشبع ، وإذا أمات أوجع ، يصيد الكبير ويُعفّي على الصغير ، وثمنه يا أمير المؤمنين حقير ، فقال : ولم لا تحب البازي وهو خير منه وألذّ وأحسن إصابة وأسرع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، البازي ملك ولا أقدر أن أتشبه بالملوك ، وإنما يحمل الملوكَ الملوكُ . فقال : فالشاهين ، قال : إنه — يا أمير المؤمنين — كبيرُ القدر كثيرُ الغدر ، قال : فالباشق ؟ قال : ملعوبُ الصبيان ، وقد فاتني ذلك الزمان . قال : فاليآئي [2] ، قال : ملعوبُ الخدم وأولاد الحشم ، ولا أحب يا أمير المؤمنين أن أشتَم. فقال :

---

(١) الطبري : ٦/٢١٣ وما بعدها .

(٢) اليآئي : جمع يؤيؤ وهو صنف من الصقور يصاد به .

ما تصنع بلحم الصيد وعندك مـــا هو أطيب منه ؟ فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، غـير أني أجد فيه لذة الطرب ، وهو الذي أتعبتُ فيـه جوادي وأجهدت فيه مرادي [١] .

بل إنّ أبا جعفر كان يعتقد أن الصيد سيفشو في أولاده وحَفَدَته، وأنهم سيغرمون به غراماً يأخذه الناس عليهم ، فأراد أن يجد لهم معذرة يُعتَذرُ عنهم بها ، لذا فقد ركب ذات يوم فرساً مُشهّرة [٢] مُشمّراً عن ذيله وعلى يده بازٌ حتى عـــبر الجسر بادياً وانكفأ فعبر الآخر راجعاً وتبيّنه الناس ، فلما عاد إلى مجلسه قال للربيع : ما قال الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال ؟ قال عجبوا منها ، قال: إنه كان لأمير المؤمنين في ذلك مذهبٌ وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد ويتبذّل فيه ، فأحببتُ أن يكون مني ما رأيت ، فتى فعل مثلَه منا فاعل بعدي ، قال الناس : قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة [٣] .

ولم يكذّب أبناءُ المنصور وحَفَدَته وخلفاءُ بني العباس ظنّ أبي جعفر، ولم يتمهّلوا في هـــذا الأمر الذي توقعه لهم كثيراً ولا قليلا ، فها هوذا ابنه المهديّ ينشأ محباً للصيد مشغوفاً بـه حتى إنــه لا يكاد يُغِبّه [٤] أو يصبر عنه [٥] ، وقــد أكثر من رحلات الصيد ورُويت له فيها طرائفُ وحوادثُ منها ما نقله المسعودي وغيره عن الفضل بن الربيع أنـه قال : خرج المهدي متنزّهاً ومعه مولاه عمرو بن ربيع وكان شاعراً فانقطع عن المعسكر والناسُ في الصيد فانتاب المهديّ جوعٌ شديد ، فقـال لعمرو : ويحك ، ألا إنساناً

---

(١) الجمهرة في علوم البيزرة ، الورقة : ٣٩ — ٤٠ .
(٢) المشهرة : فرس مهلهل بن ربيعة وبها يضرب المثل .
(٣) البيزرة : ٤٣ .
(٤) يغبه : من أغب القوم : أي أتاهم يوماً وتركهم يوماً .
(٥) البيزرة : ٤٣ .

عنده ما نأكل!! فما زال عمرو يطوف إلى أن وجد صاحب مبقلة وإلى جانبها كوخٌ له فقعد إليه ، فقال له : هل عندك شيء يؤكل ؟ قال : نعم ، رقاق من خبز شعير وزبيبٌ وهـذا البقلُ والكرّاثُ ، فقال له المهديّ : إن كان عندك زيتٌ فقـد أكملت ، قال : نعم عندي فضلةٌ منه ، فقدّم إليهما ذلك فأكلا أكلاً كثيراً ... ووافى المعسكرَ ولحقته الخزائن والخـدم والموكب ، فأمر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم »[1] .

ومن أخبار رحلات صيد المهدي ما رواه كشاجم من أن المهديّ كان في رحلة صيد ومعه علي بن سليمان وأبو دُلامة فأثير أمامهم ظبيٌ فرماه المهدي فأنفذه ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله فقال أبو دلامة :

قد رَمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهم فُؤادهْ
وعـليُّ بنُ سليما ن رَمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهـما ، كلُّ امرىءٍ يأكل زادهْ[2]

بـل إن هناك من يروي أنّ المهدي قُتِل في رحلة صيد ، فقد جاء في الطبري وابن الأثير أنه اختُلِف في سبب وفـاة المهدي « فذُكر عن واضح قهرَمانِ المهدي أنـه قال : خرج المهدي يتصيّد بقرية يقال لها « الردّ بمـا سَبَذان » فلم أزل معه إلى بعد العصر ثم انصرفتُ إلى مضربي وكان بعيداً عن مضربه ، فلما كان السّحرُ الأكبرُ ركبت لإقامة الوظائف فإني لأسير في برية وقد انفردتُ عمّن كان معي من غلماني وأصحابي إذ لقيني أسودُ عريان على قتود رَحلٍ فدنا مني ، ثم قال : يا أبا سهل ، عظم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين ، فهممت أن أعلوه بالسوط فغاب من بين يدي ، فلما انتهيتُ إلى الرواق لقيني مسرور ، فقـال لي : أبا سهل عظّم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين، فدخلت فإذا أنا به مُسجىً في قبة فقلت: فارقتكم بعد العصر ،

(١) مروج الذهب : ٣/٢٣٤ وما بعدها والكامل : ٥/٧٢ .

(٢) المصايد والمطارد : ١٦٦ .

وهو أسرّ مـــا كان حالاً وأصحه بدناً ، فما كان الخبر ؟! فقالوا : طردتِ الكلابُ ظبياً فـلم يزل يتبعها فاقتحم الظبيُ باب خربة فاقتحمت الكلابُ خلفه واقتحم الفرسُ الذي كان عليه المهديُّ خلفَ الكلاب فدُقّ ظهره في باب الخربة فمات من ساعته [١] .

وقد عرف ملوك البلاد المجاورة ولع المهدي بالضواري وشدّة شغفه بالصيد حتى إنّ « ميخائيل بن ليون » عظيم الروم لـما وقف على ذلك أهدى إليه كتاباً في فن البيزرة كان لأوائل الروم [٢] كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ثم كان الرشيد – على ما عُرف به من تُقىً وحزم – صاحب ولع بالصيد وتعلـّق به ، فقد روى صاحب البيزرة أن الرشيد كان ذا حظٍّ في الصيد ، وأنه كان يرتاح له ارتياحاً شديداً حتى تحمله الأريحية على ركض فرسه والشدّ في إثر الطريدة [٣] ، وكان إذا نُمي إليه خبر مُتفننٍ في الصيد استقدمه إليه واتخذه لنفسه ؛ فقد روَى صاحبُ « أنس الملا » : أنه كان في زمن الرشيد رجلٌ من أهل البصرة إسمه إبراهيم البازيار يصيد جميع الطير ، وكان له كتاب في البيزرة ، وكان من أدوات صيده التي استحدثها قَصَب الدّبقِ ، فاستدعاه الرشيدُ إليه وأحلـّه عنده منزلةً عاليةً لمعرفته بالضواري وبالدّبْق ، وتفرع التـّدبيقُ من إبراهيم البازيار ، ودَبّقَ الناس بعـده بخمس قصبات أو أكثر زمن المأمون [٤] .

وكانت للرشيد رحلاتُ صيد صاخبةٌ يقوم بها ومعه رجال دولته وبعض شعرائه من أمثال أبي نواس ، وكان الخليفة يتخلى في هذه الرحلات عن وقاره ويجِـدُ في نفسه على من يَتزمّتَ منهم أو يتحرّج ؛ فقد أخبر بعض ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن أبيهم أنه قال : كنتُ أحضر مع الرشيد الطـّرد

---

(١) انظر الطبري : ٦/٢٩٣ والكامل : ٥/٤٨ .
(٢) انظر مقدمة كتاب الطيور .
(٣) انظر البيزرة : ٤٣ .
(٤) الجمهرة في علوم البيزرة ، الورقة : ٥٦ وأنس الملا : ٨٢ .

كثيراً فشهدته معه يومـــاً ومعنا حسينٌ الخادمُ، وكانت الحال بيني وبينه متباعِـدةً وكان لا يزال يتتبع هفواتي ويغري بي الرشيد فأرسلت الكلابُ على طريدة وأعطى الرشيدُ لفرسه عنانه واندفع يشتدُّ في طلبها فـلم أتبعه ولا زدتُ في عنان فرسي فاغتنم حسينٌ ذلك وأسرع إلى الرشيد وقال له : لو زاد عبد الملك بن صالح في عنان فرسه حتى يلحق بأمير المؤمنين مـا كان في ذلك من بأس، فقال الرشيد: أستَجْهلنا أبو عبدالرحمن ، ولم يرَ مساعدتنا على ما نحن فيه ؟! فقال : قـد فعل ذلك ، ثم أمسك الرشيدُ فضلَ عنانه وتوقف حتى دنوتُ منه فعاتبني على ما أنكره، فقلت : يا أمير المؤمنين العذر واضح ، قال وما هو ؟ قلت : أنا على فرس لا أثق به ، قال : عذر ، وأمر لي بدابة فركبتها وتسايرنا غير بعيد إلىأن أُثيرتْ طريدة أُخرى ففعل مِثل فعله الأول ولزمتُ حالي الأول فاشتد إنكارهُ وجعل يلومني فلحقته فقال : أقـلَـْنا العلـّة فما استَلْقيت الزلة ، فقلت : يا أمير المؤمنين إذا كنت لا أثق بفرسي وقد بلوته ، فأنا بمـا لم أبلـُه أقلُّ ثقة فقال : لا ، ولكنَّ السكينة والوقار أفرطا على أبي عبد الرحمن وكان هذا بعض ما أحفظه عليّ » [1] .

وكان يخرج إلى الرقة أو غيرها ليصطاد ، ثم يُمضي في ذلك الأيام الطوال ذوات العدد [2] .

ولم يقف هـذا الولع بالصيد عند الخليفة وحده وإنما تجاوزه إلى عماله ؛ فلمـّا رُفع إليه أمر بعضهم لم يفعل بـــه كما فعل المنصور بصاحبه من قبل ، وإنما اكتفى بكتاب يُوجـّه إليه ، فقد روى المسعودي : أنـــه « ورد على الرشيد يوماً كتابُ صاحب البريد بخراسان ، وقد جاء فيه : إن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فيأمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى

---

(١) انظر البيزرة : ٤٣ وما بعدها والمصايد والمطارد : ٣ وما بعدها . وقد جعل يحيى بن برمك بدلاً من حسين الخادم .

(٢) انظر الطبري : ٥٣٩/٦ و٤٢٥ .

به ليحيى بن خالدٍ – وكان بين يديه – وقال له: يا أبتِ اقرأ هذا الكتاب، واكتب إليه بما يردعه عن فعل هذا، فمد يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى الفضل على ظهر كتاب الرشيد: حفظك الله وأمتع بك قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره، فعاودْ ما هو أزينُ بك؛ فإنه من عاد إلى ما يزينه لم يعرفه أهلُ دهره إلا به والسلام » [1].

وكما عُرف عن المهدي في الآفاق ولعه بالصيد وأدواته فقد عُرف مثل ذلك عن الرشيد فاغتنم «نقفورُ» ملكُ الروم إحدى المناسبات الطيبة وأهدى الرشيد اثني عشر بازياً وأربعة أكلُبٍ من كلاب الصيد ليتقرب إليه بها[2].

ثم آل الأمر من بعد الرشيد إلى ابنه محمد الأمين فكان – كما يقول صاحب البيزرة – أشدَّ انهماكاً بالصيد وأحرص عليه من كل من تقدّمه [3] فهو ما كاد يلي الخلافة حتى « بعث في الأمصار يطلب الملهّين وجعل يضمهم إليه، ويجري عليهم الأرزاق ونافس في ابتياع فُرْه الدواب وأخذ الوحوش والسباع وغير ذلك» [4] وشاع ذلك عنه وعُرف بين الصائدين فطفقوا يأتونه بصيدهم، فقد روى المسعودي أن الأمين اصطبح يوماً – وكان أصحاب اللبابيد والحراب قد خرجوا على البغال إلى سبعٍ كان بلغهم خبرُه بناحية (كوثى) و (القصر) فاحتالوا عليه إلى أن أتوا به في قفص من خشب على جمل بختي فحُطّ بباب قصر الأمين وأُدْخِل عليه فلما مثل في صحن القصر والأمين مصطبح قال لهم: خلّوا عنه وافتحوا باب القفص، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنه سبعٌ هائل أسود وحشي [5]. بل إنه بالغ في تعلقه بالصيد مبالغة جاوزت كل

---

(١) مروج الذهب: ٣/٤٨٤.
(٢) انظر الطبري: ٦/٥١٠ وما بعدها.
(٣) البيزرة: ٤٦.
(٤) انظر الطبري: ٧/١٠٢.
(٥) انظر مروج الذهب: ٣/٣٠٧.

حـد ، ففي سنة خمس وتسعين ومائة حيث كان الصراع بينه وبـين أخيه المأمون في ذروته وكان مصيره معلقاً على وقفـةٍ حازمة يقفها ، وجّه قائده عليّ بن عيسى لحرب المأمون فقُتل ، فلمـا جاءه نعيه « كان في وقته ذلك على الشط يصيد السمك فقال للذي نعي إليـه قائده : ويلك دعني فـإن (كوثر)[1] اصطاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً »[2] .

والخبر التالي الذي رواه المسعودي أبلغ من سابقه في استهتار الأمين بالصيد فقد قال « إبراهيم بن المهدي : استأذنت على الأمين يوماً وقـد اشتدّ عليه الحصار من كل وجه فإذا هو قـد طلع إلى دجلة بالشبّاك ، وكان في وسط قصره بركة عظيمة وفي المخترق شباك حديدٍ فسلمت عليه وهو مقبلٌ على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا يفتشون الماء وهو كالواله ، فقال لي – وقـد ثنّيت بالسلام وكررت – : لا تؤذوني فمُقرطقي ذهبت في البركة مني إلى دجلة، ومُقَرْطَقَتُه هذه سمكة كانت صيدت له وهي صغيرة فقرّطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا دُرٍّ ، قال فخرجتُ وأنا يائسٌ من فلاحه ، وقلت : لو ارتدع من وقتٍ لكان هذا الوقت »[3] .

أما المأمون فما عُرف عنه أنّه أولع بالصيد كما أولع بـه الخلفاء الذين سبقوه أو الذين لحقوه أيضاً ، وإنما كان مولعاً بمجالس العلم يعقدها في بلاطه ويحشد لها جلّة العلماء، مشغوفاً باقتناء الكتب يجتلبها من كل مكان ، ويبذل في سبيلها أغلى الأثمان .

لكنّ أشدّ خلفاء بني العباس ولعاً بالفروسية والصيد إنما هو المعتصم ، فقد قال عنه « كشاجم » : « إنـه كان أكثر خلفاء بني العباس مُحالفَةَ

---

(١) كوثر : اسم خادم الأمين .

(٢) مروج الذهب : ٣٠٦/٣ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق .

للصيدِ ، وأخفّهم فيه ركاباً ، لتوفّر ِهمّته على الفروسية وما شاكلها [١] .
وكانت له رحلات صيدٍ يُمضي فيها الأيام الطّوال ، فينشطُ لذلك جسمه ، وتنبسط نفسه ، ويزداد إقباله على الطعام .

بل إنّه اختار الأرض التي بَنى عليها « سامُرّا » في رحلة صيد ، لِما وَجده في مكانها من طيب المناخ واعتدال الجوّ ؛ فقد روى المسعودي : أن المعْتصِم كان في رحلة صيدٍ فانتهى إلى مكانٍ واسع تُسافِرُ فيه الأبصارُ ، وهواءٍ طيّبٍ ، وأرض صحيحة ؛ فاستمرأها واستطاب هواءها ، وأقام هناك ثلاثة أيامٍ يتصيّد في كل يوم ، فوجد نفسه تتوق إلى الغذاءِ وتطلب الزّيادة [٢] .

وكان المعتصم لِفَرْط شجاعته واعتداده بنفسه يُمْعِن في الصيد ، ويبتعد عن أصحابه ، ويُسامِرُ الذين يلقاهم في الفلوات ، ثم لا يكون حديثه معهم إلا عن الصيد وطرائفه .

فقد روى صاحب البيزرة عن ابن الداية [٣] أن المعتصم أوغل يوماً في الصيد وَحْده ، فبصُر بقانِص يصيد ظباء فاستدناه وقال : حدثني عن أعجب ما رأيت في صيدك ، فقال : خَرْبقْتُ [٤] المشارع التي تَرِدها الظباء فلما شمّت الحريق رَجعتْ عِطاشاً ولم تشرب ، ثم عادت من غدٍ فانصرفتْ أيضاً عطاشاً ، ثم عادت في اليوم الثالث بأجمعها ، فلما جَهَدَها العطش رفعت رؤوسها إلى السماء ، فأتاها الغيثُ ، فما انصرفت حتى رويت وخاضت في الماء » [٥] .

---

(١) المصايد والمطارد : ٥ .
(٢) مروج الذهب : ٤/١٠ .
(٣) هو أحمد بن يوسف الكاتب وزير من كبار وزراء بني العباس توفي سنة ٢١٣ هـ .
(٤) الخربق : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله ، وخربق المشارع جعل فيها الخربق .
(٥) البيزرة : ٣٩ .

وقد تأثر الناس بخليفتهم الفارس الصياد فتزيّوا بزِيّه واقتدوا بآثاره ؛ فقد جاء في مروج الذهب أنه « غلب على المعتصم حُبُّ الفروسية والتشبُّه بالملوك الأعاجم في الآلة ، ولبس القلانس والشاشيّات فلبسها الناس اقتداءً بفعله وائتماماً به »[1] .

ولم يكن المتوكل الذي ولي الخلافة في أوائل العقد الثالث من هذا القرن أقلّ من أبيه المعتصم تعلقاً بالصيد وإقبالاً عليه ، وإن كان لا يدانيه في فروسيته وشجاعته ، فقد أولع بالفهود وأُغري بها واستكثر منها ، وكان يهوي صيدها واللعب بها[2] ، وهو إلى ذلك أول من تصيد بالشبكة ثم اتخذها الخلفاء من بعده ، فكانت المستنجد شبكة .

ويبدو أن شبكة المتوكل هذه كانت حسنة الصنعة غالية الثمن مما جعل بعض البيازرة يقول: إن الشبكة لا تصلح أن تكون إلا للسلطان[3].

وفي زمن المعتضد بلغ الاستهتار بالصيد غايته وعدا طوره ، فالخليفة قد ورث عن المعتصم قوّته وولعه بالفروسية وشغفه بالصيد، فقد روى صاحب المصايد والمطارد : أن المعتضد كان كالمعتصم في أكثر أموره ومآربه ، وأشبه به من سائر أهل بيته وبنيه من الخلفاء؛ لمباشرة الحرب وللصيد وما أشبههما ولم يكن ينفكُّ من حربٍ إلا إلى صيدٍ ولا من صيد إلا إلى حرب »[4] .

وورث عن المتوكل الولع بالفهود والاستكثار منها وأربى عليه في ذلك حتى قال صاحب الجمهرة « وأكثر من اشتهر باللعب بالفهود من العباسيين المعتضد ، فإنه كان شديد الغواية بها »[5] .

---

(١) مروج الذهب : ٢٤٦/٤ .

(٢) أنس الملا : ٦٩ .

(٣) انظر أنس الملا : ١٣٧ .

(٤) المصايد والمطارد : ٦ والبيزرة : ٤٦ .

(٥) الجمهرة في البيزرة ، الورقة : ٥٤ .

وكان إلى ذلك مغرماً بالصيد بالعقاب [١] ، وهو جارحٌ صعب المنال يعتصم بالشواهق من قمم الجبال ، عسير الترويض إذا كبر وتوحش، لذا كان عزيزاً نادراً لدى هواة الصيد ، وقد بلغ من شغف المعتضد بالصيد وتفانيه فيه أنه دأب على ممارسة صيد الأسود بنفسه دون أن يُمكّن أحداً من مؤازرته في ذلك أو مساعدته عليه [٢] .

فقد روى كشاجم في المصايد والمطارد ، والمنكلي في أنس الملا : أن المعتضد كان يخرج إلى صيد الأسود فيخيم عليها ، ولا يزال يمعِنُ في صيدها حتى لا تبقى منها باقية ، وهو يباشر ذلك بنفسه لا يشركه أحد فيه [٣]

وقد أشاد أحد الشعراء بصيده للأسود وفتكه بها فقال : [٤] :

يا صائدَ الأسْد إن صَيدَكَها [٥]	لجَامِعٌ خلتين من رَشَدِ
فلَذّةٌ تُجتَنى ومنفعةٌ	للسالكين السُّبْل [٦] والقعدِ
وأيُّ شيء أجلّ منفعةً	من أسدٍ قاسِطٍ إلى أسدِ
وأيُّ لص أجلّ مرْزَأة	من مُتلِفِ الروح متلف الجسدِ

بل إن المعتضد كان ذا مذهب بالصيد لم يُرَ مثله [٧] ، وشغفٍ به لم يبلغه أحد قبله حتى غدا وكأنه لا يطيق صبراً عنه ؛ فإمّا أن يمارسه بيده وإما أن يراه بعينه وذلك أضعف الأحوال ، فقد روى عنه نديمُه يحيى بن علي [٨] أنه لما بنى قصره (الثريا) كان يقول كثيراً « أتعلم أن بناءً من أبنية

(١) الجمهرة في البيزرة ، الورقة : ٥٤ .
(٢) أنس الملا : ١١٩ .
(٣) المصايد والمطارد : ٦ وأنس الملا : ١١٩ وانظر البيزرة : ٤٦ .
(٤) المصايد والمطارد : ١٧٣ .
(٥) وردت في المصايد والمطارد : « صيدكا » والتصويب من عندي .
(٦) وردت في المصايد والمطارد : « السبيل » ولا يستقيم معها الوزن .
(٧) أنس الملا : ١٢٠ .
(٨) لعله ابن المنجم المتوفي سنة (٣٠٠ هـ) ، انظر الأعلام .

الخلفاء يشبه هذا البناء أو يعادله في محلٍّ أو موقعٍ !! أما تراني قاعداً على سريري يَعرِض علي وزيري ، ويُصاد بين يديّ صيدُ البرّ والبحر كأني في وسط المتصيد » [1] .

وقد عرف عمال المعتضد مدى ولعه بالصيد وحيوانه ؛ فجعلوا يهدون إليه الجوارح في جملة ما يسوقونه إليه من الطُّرَف ، فقد روى الطبري أنه في سنة ستٍ وثمانين ومائتين وافت إلى المعتضد هديةُ عمرو بن الليث الصفار من نيسابور إلى بغداد فكان مبلغ المال الذي وجهه أربعة آلاف ألف درهم وعشرين من الدواب بسروج ولجم محلاة ... ومائة وخمسين دابة بجلالٍ مُشهّرة وكسوةً وطيباً وبزاةً [2] .

والقارىء لا يستطيع أن يتصور مدى تهالك المعتضد على الصيد واندفاعه فيه إلا إذا عرف المبلغ الذي كان مخصصاً له في نفقات الدولة ، ونظر إليه بالنسبة إلى وجوه الإنفاق الأخرى ، فقد كانت جملة نفقات بيت المال في السنين الأولى من خلافة المعتضد العباسي (٢,٥٠٠,٠٠٠) دينار في السنة تُدفع مياومة باعتبار كل يوم سبعة آلاف دينار تُنفق على حرس القصر والغلمان والفرسان وأصحاب الرسائل ، وأصحاب الأخبار والقراء والمؤذنين وشرطة دار السلام ، ونفقات المطابخ والمخابز ، ونفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب ، وحوائج الوضوء ، وخزائن السلاح ، وأرزاق القائمين في القصر ... وأرزاق الخاصة من الغلمان والمماليك وأرزاق الحشم والصناع من الصاغة والخياطين وغيرهم ، وأرزاق الحرم وثمن علوفة الكُراع ، وثمن الكُراع نفسه والإبل والخيل ، وأصحاب الركاب والجنائب وأكابر المُلهّين وجماعة المتطببين ، وأرزاق الملاحين في الطيّارات والحرّاقات وثمن النفط للنفاطات والمشاعل ، وجاري أولاد المتوكل والواثق والناصر وأرزاق مشايخ بني هاشم

---

(١) المصايد والمطارد : ٦ والبيزرة : ٤٦ .

(٢) الطبري : ١٩٦/٨ .

وجمهورهم ... وأرزاق أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين ... والمديرين والأعوان ... ونفقات السجون وثمن أقوات المسجونين ... ونفقات الجسرين وثمن ما يُبدَّل من سفنهما ونفقات البيمارستانات وأرزاق الأطباء وأثمان الدواء والطعام ، إن مجموع ما كان ينفق على ذلك كله في اليوم الواحد سبعة آلاف دينار كان يُدْفع منها سبعون ديناراً يومياً لأصحاب الصيد من البازياريين والفهّادين والكلاّبين ، وهو ما يعادل واحداً في المائة من أصل ذلك المبلغ الذي كان يُنفق في تلك الوجوه التي ذكرناها [١] وهو أمر يدعو إلى الدهشة ويبعث على العجب ، ويصور المكانة التي كان يحتلها الصيد في المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري .

ولما آلت الخلافة من المعتضد إلى ابنه المكتفي لم يكن الولد دون أبيه ولعاً بالصيد واستهتاراً به؛ فقد ورث عن أبيه الخلافة وورث معها جوارحه وضواريه وبيازرته وفهّاديه وكلاّبيه ، فقد نقل كشاجم عن « شهرام » [٢] أحد خاصة المكتفي وعن أبي بكر الصولي «أن المكتفي لم يتأخر عن مذهب أبيه في الصيد إلا أنه كان أكثر ما يُدْمِنه الصيدُ بالفهد والعقاب، وأنه كان يباشر ذلك بنفسه ويمتهنها فيه لشدة الشغف به والارتياح إليه » [٣] .

وشغف المكتفي بالصيد قديمٌ يرجع إلى أيام صباه قبل أن يلي الخلافة ؛ فقد روى كشاجم أن المكتفي رُئي بظاهر أنطاكية عند مُنصرَفِه عنها مع أبيه المعتضد والفهدُ رديفُه ، وقد التمسه أهلُها للسلام عليه بعد تسليمهم على أبيه فألْفَوه على تلك الحال غير محتشم منها [٤] .

ومن طريف ما يُروَى عن المكتفي أنه وجد على نديمه وشاعره يحيى بن

---

(١) انظر تاريخ التمدن الإسلامي : ٢/٦٨ - ٧١ .
(٢) كان شهرام عالماً بالصيد حسن الدربة فيه فاختص به المكتفي .
(٣) المصايد والمطارد : ٧ والبيزرة : ٤٨ .
(٤) المصايد والمطارد : ٧ ، ٨

علي المنجم لهفوة ارتكبها وهما منصرفان من الرقة ، فعاقبه بأن يُردّ إلى (قرقيسيا) وأن يبقى فيها حتى يصيد أسداً ، فجعل الشاعر النديم يرسل للخليفة الصياد القصيدة تلو القصيدة يستعطفه بها ويستلينه ، فكان مما قاله :

كلّفونا صيدَ السباع وإنّا لنحير إذا لم تصدنا السباع
كل شيء يجوز تكليفه الإنسا نَ إلا ما كان لا يُستَطاع

حتى عفا عنه [1] .

وقد كان لولع الخلفاء بالصيد وإقبالهم عليه آثارٌ واضحة في حياة المجتمع العباسيّ ونظرته إلى الصيد واقتناء جوارحه وضواريه ، فالناس على دين ملوكهم يقلّدونهم فيما يفعلون ويتقرّبون إليهم بفعل ما يحبون .

ثم إن الطامحين إلى المراتب والمناصب رأوا في إتقان الصيد واصطناعه وسيلة إلى التقرُّب من الخلفاء ، فأقبلوا على هذه الهواية إقبالاً منقطع النظير ، واتقنوها غاية الإتقان . وقد زاد من إقبال الناس على الصيد وولعهم بجوارحه وضواريه أنّه غدا في نظر كثيرٍ من الناس علامة على مروءة الرجل ، وآية على فتُوّته وظَرْفِه ، وأنّه من جملة الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها الفرسان ، وأنّه من خصائص الملوك ومن كان على شاكلتهم من الأمراء والوجهاء ، فقد قال صاحب كتاب « الجمهرَةِ في علوم البيزرة » : « إعلم أنّ اللعب بالضواري من جملة الأدب ، وهو مِمّا يقرّب إلى الملوك ، ومن لم يكن ذا أدب فليس له أن يولع بالضواري ، لأن اللعب بها يفضح ناقص المروءة والأدب » [2]

وجاء في كتاب « أنس الملا » : « لقد أجمع العقلاء على أنّه لا يجوز أن يلعب بالضواري إلا الملوك ومن دونهم من كل فتىً شجاع القلب سخيّ النفس

---

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٧٤ وما بعدها .

(٢) الجمهرة في علوم البيزرة : الورقة ٤٧ .

ثابت العقل، يعلم ما ينفع ضواريه، وما يضرّها فيدبّرُها بعقله ، وأن يكون إلى ذلك مكتملاً في آلات صيده (١) ؛ ذلك لأنّه ما من مؤونة أغلظ على ذوي المروءة من تكلُّف آلات الصيد ؛ لأنها خيلٌ وفهودٌ وكلابٌ وآلات تحتاج كل قليل إلى تجديد ، ومن هنا قيل : إنّه لا يُشغَف بالصيد إلا سَخِي » (٢) .

على أن الإخلاص للحقيقة يوجب علينا في ختام هذا الفصل أن نقرِّرَ بأن المجتمع الإسلامي لم يكن كلّه يرتاح لهذا الإسراف في اقتناء الجوارح والضواري والإمعان في التهالك عليها ، وأن أصحاب الورع والتقى كانوا يفرّقون بين الصيد للانتفاع وبين اللعب بالجوارح والضواري لمجرّد الاستمتاع، فقد روى صاحب البيزرة أنّه لمّا شهد أبوعلقمة المريُّ عند سوّار (٣) القاضي أو غيره من القضاة وقف في قبول شهادته فقال له أبو علقمة : لِمَ وقفتَ في إجازة شهادتي ؟! قال : بلغني أنّك تلعب بالكلاب والصّقور ، قال : من خبّرَك أني ألعب بها فقد أبطَلَ ، وإن كان بلّغك أني اصطاد بها فقد صَدَق ، وإني أخبرك أنّي جادٌّ في الاصطياد بها غير هازل ولا لاعب، فهل وَقف مُبلّغك على الفرق بين الجدّ واللعب ؟ قال : ما وقف ولا أوقفته وأجاز شهادته (٤) .

ومن بديع الاعتذار عن الإمعان في الصيد والتهالك عليه ما رواه صاحب البيزرة من أنّ أحد أبناء الملوك عوتب على شغفه بالصيد وقتل وقته فيه ، وكان أديباً شاعراً فأجاب عن ذلك بقوله (٥) :

---

(١) أنس الملا : ٢١ .
(٢) البيزرة : ٢٠ .
(٣) هو سوار بن عبدالله بن سوار قاض معروف له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث توفي سنة ٢٤٥ هـ .
(٤) انظر البيزرة : ٢٨ .
(٥) انظر المصدر السابق .

ربّما أغـــدو إلى الصيد معي ... فِتْيَةٌ هَزْلُهُمُ في الصيد جِدّْ

ألفوا الحربَ فلمـــا ظَفِروا ... فتحامَوْا أن يعادِيهم أحَـــدْ

واستقام الناس طرّاً لهـــم ... فَغَدَوْا ليس يُرَى فيهم أوَدْ

وجـدوا في الصيد منها شبهاً ... فابْتَغَوْها في معـاناة الطّـرَدْ

لِتُرَى عادُتهم جــارِيَةً ... لهم باقيـــةً لا تُفْتَقَدْ



الفصل الثالث

حاجة الصائد
إلى المعرفة بالحيوان وطبائعه

سَخّرَ الله الحيوان للإنسان ، وجعله متاعاً له وزينةً ، فبَعضٌ يمتطيه ، وبعضٌ يَقتنيه ، وبعضٌ يغتذيه .

وأحلَّ له صيدَ البر والبحر والجو ، فهو يقتنص الوحش من المكانِسِ ، ويحط السباع من المعاقل ، ويستنزل الطير من الهواء ، ويستخرج الحوت من الماء .

ويَسّرَ له الصيد وسهّل أمامه سبله ، فخلق له من الحيوانات أنواعاً أغراها بغيرها ومنحها من آلة الخِلقة وسلاح البُنية وقبول التأديب وحسن الألفة وكمال الاستجابة ما لا يخطر ببال كالفهد والبازي ونحوهما من الضواري والجوارح .

وحباه من العقل ما مَكّنه من التغلّب على أقوى الحيوانات وتأنيس وحشيّها وتَضْرية سباعها وتسليط بعضها على بعض وَجني ثمرات ذلك لنفسه ولمن معه .

غير أنّ الصائد لا يستطيع الإفادة من هذه النعمة – نعمةِ تسخير الحيوان للإنسان – ما لم يقف على طبائع الحيوانات ويدرك مواطن قوّتها، وأماكن ضعفها، فقد أودع الله فيها من عظيم الصنعة وحباها من غريب المعرفة ما جعل صيدَها والانتفاع بها وقفاً على من يعرفها حق المعرفة ويدرك كنهها تمام الإدراك.

« فلكل صنف من أصناف الحيوان احتياطٌ وتدبيرٌ وروَغان من الباغي عليه، واحتيالٌ لأمره، فهو يحتال لما هو دونه ليصيده، ويحتال لما هو فوقه ليسلم منه، ويختار الأماكن الحصينة ويعتصم بها ما منعته، فإذا أنكرها استبدل بها غيرها »[2].

ثم إن لكل صنف من الجوارح ضرباً من الطرائد ترومه وتبتغيه، وضرباً تخشاه وتتقيه[3].

وطبيعةُ الحيوانات بعامة تقوم على ثلاثة أمور: أولها طلبُ القوت لسد الرمق وحفظ الجسد، وذلك يدفعها إلى الاحتيال لكسب الرزق.

وثانيها استشعار الحذر توقّياً للمخاطر، وثالثها الكيدُ حرصاً على السلامة والبقاء وحفظ النوع.

بيدَ أن هذه الأمور الثلاثة لا تتوافر دائماً لسائر الحيوانات، ولكنها توجد دائماً في كل إنسان[4].

والعداوة بين الحيوانات نوعان: حقيقية وعارضة: أما الحقيقية فهي التي تكون بين الحيوانات الآكلة والحيوانات المأكولة، والصنف الأول أكثرُ حيلةً وأبلغُ مكيدةً وأحدّ شوكةً، أما الصنف الثاني فهو أكثر خوفاً وأشدّ

---

(١) انظر البيزرة: ٢٢.
(٢) انظر الحيوان: ٧/٥٥.
(٣) انظر الحيوان: ٧/٦١.
(٤) انظر المصايد والمطارد: ٤١.

تحفظاً، ومن هنا كان الحذرُ أصلَ في طبائع المأكولات، لاستغناء الآكلات عنه وقلة حاجتها إليه [1].

أما العداوة العارضة فهي التي تقوم بين ذكور النوع الواحد بسبب الصراع على الإناث.

هذا وإنّ لكلّ صنف من الحيوانات الآكلة صنفاً تُغرى به من الحيوانات المأكولة فهي إليه أسرع وعليه أقدر [2].

وعلى الصائد أن يكون واقفاً على ذلك كله واضعاً نُصب عينيه الإفادة منه بحيث يرمي كلّ صنف بحَجَره ويواجه كل مرغوبٍ براغبه ولا يحْمل جارحاً أو ضارياً على خلاف طبعه ولا يكلفه فوق طاقته؛ فلا يطلق البازي على الكركي [3] ولا يرسل الكلب على الأيّل [4] ولا يبتغي الثور الوحشي بالفهد، وإنما يسلّط جوارحه وضواريه على الطرائد التي هي دونها قوة وأقل منها قدرة ليحتفظ بشهوتها للصيد ويستبقي حِرْصها عليه، فلا تزال مشبوبة القدرة موفورة الضراوة عظيمةَ الثقة بنفسها، وهذا مِلاك أمر الصيد وغاية المعرفة به ونهاية الحزم فيه [5].

ثم إنه لا بدّ للصائد من أن يعلم أن لكل حيوان سلاحه الذي يدافع به عن نفسه ويصول به على عدوه، وأنه إذا ما استشعر الخطر فَزِعَ إلى سلاحه كما يفزع المقاتل إلى سيفه، فالحبارى تعلم أن سِلاحها في سُلاحها [6] تحتفظ به في خزانة في جوفها وتعرف أن فيه من اللزوجة والتّدبيق الشيء الكثير،

---

(١) انظر المصايد والمطارد: ٤١.
(٢) انظر المرجع السابق: ٤٢.
(٣) الكركي: طائر من أعظم الطير طويل الساقين والمنقار.
(٤) الأيل: صنف من البقر الوحشي قريب الشبه من الظباء.
(٥) انظر المصايد والمطارد: ٤٢.
(٦) سلاحها: السلاح بالكسر اسم جامع لآلات الحرب، يذكر ويؤنث والسلاح بالضم: سلح الطائر وذرقه.

فإذا رامها الصقر يبتغي صيدها قذفت به عليه فيلتصق بعضُ ريشه ببعضٍ ويتكتّفُ جناحاه حتى لا يستطيع حراكاً فتجتمع عليه الحباريات وينتفن ريشه ريشةً ريشةً حتى يعرى ويموت [1] .

والصقر يعرف ذلك من الحباري ، فهو ما يزال يلقاها عن جنبها ويدخل من تحتها ، ويعلو فوقها حتى تقذف ذرقها ، فإذا قذفته ولم تُصِبه انقضّ عليها وأخذها [2] .

والكلبُ والذئبُ يعلمان أن سلاحهما في شدقهما ، والثورُ والأيّل يعلمان أن سلاحهما في قرونهما لا سلاح لهما غيرها ، فإذا سقطت قرون الأيل استتر عن الحيوانات وتحاشى أماكن وجود القانصين إلى أن تنبت قرونه [3] .

والأسدُ يعلم أنّ سلاحه في قوة لِبدته ، وبُعدِ وثبته ، وحِدّةِ مخلبه ، وعضّة نابه ورهبة زئيره وتوقّد عينيه وما له في صدور الإنسان والحيوان من الرهبة ، وأنّه يملك مع ذلك القدرة على اللصوق بالأرض وحبس عدوّه بإحدى يديه ودقّ عنقه وحطْم صلبه باليد الأخرى إلى ما يتحلّى به من سرعة العدو والصبر على الجوع واحتمال الظمأ [4] .

وليس في الحيوان ما هو أردأ حيلة وأقل قدرة في الدفاع عن النفس من الغنم ؛ ذلك لأن الله جعلها لكفاية الناس ووصلها بحاجاتهم [5] .

ولا بدّ للصائد من أن يعلم أن في الحيوان من الذكاء والفطنة ما هو كفيل بدفع الشر عنه وجلب الخير له ، لذا كان عليه أن يفطن لفطنته وأن يحسب حساباً لذكائه .

---

(١) الحيوان : ٧/٦٠

(٢) المصايد والمطارد : ٥٨

(٣) المصايد والمطارد : ٤٣

(٤) المصايد والمطارد : ٤٥

(٥) المرجع السابق .

فالذئب مثلاً إذا خفي عليه موضع الغنم عوى ليعلن عن مكانه ، فإذا سمعت الكلاب عواءه وخفّت إليه تروم افتراسه راغ عنها إلى جهة الغنم التي ليس فيها كلب وافترس من الشياه القاصية .

وهو أكثر ما يعترض الغنم وقت الصبح عندما تكون الكلاب قد استسلمت للنوم بعد سهر الليل الطويل .

وهو إذا تعرّض للإنسان ثم خشي أن يعجز عنه عوى فيسمعه غيرُه من الذئاب وتبادر إلى مناصرته ومؤازرته .

والوعل إذا أحسّ بالقنّاص وهو في مكانه المرتفع استلقى على ظهره ، وقذف بنفسه من شاهق الجبل فينحدرُ من الأعلى إلى الأسفل معتمداً على قرونه الممتدّة ما بين رأسه وعجزه ، فهي تقيه ألم الحجارة لصلابتها وتُعجّلُ في هبوطه لملاستها [1] .

والثعلبُ كثيراً ما يتماوتُ وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يُظنّ به أنّه قد مات فإذا قرُب منه حيوان وثب عليه فصاده ، ومن طريف حيله التي تنم على عظيم ذكائه أنه إذا كثُرتْ في جسده البراغيث ونغّصتْه تناول قطعة صوف بفمه ثم دخل الغدير أو النهر برفق وتدرّج في غمس جسده في الماء بأناةٍ فتصعد البراغيث من الجزء المبتل من جسده إلى الجزء اليابس فإذا انغمس كله في الماء اجتمعت في قطعة الصوف ، وعند ذلك يلقيها في الماء ويخرج [2] ، ونحن لو رحنا نُعدّدُ طرائف الحيوان ونذكر نوادر ذكائه وبدائع حيله لطال بنا القول .

---

(١) نهاية الأرب : ٩/٣٢٩ .
(٢) نهاية الأرب : ٩/٢٨٠ .

الفصل الرابع

معرفة العرب بالحيوان والبيزرة

معنى الصيد في لغة العرب أخذُ الحيوان وتصيُّده وطلبه وهو يطلق على ما تُصُيِّد أيضاً حيث وُضع المصدر موضع المفعول وسُمِّي به .

وكلمة الصيد تطلق على صيد البر والبحر ، فقد قال تعالى : « أُحِلَّ لكم صيدُ البحر وطعامُه متاعاً لكم وللسيَّارة وحرِّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرماً »[1] .

أما كلمة القنص فهي بمعنى الصيد حيث يقال قَنَصَ الصيد يقنِصه قنْصاً وقنَصاً، واقتنصه وتقنّصه أي صاده والقنَص والقنيص ما اقتُنِص، والقنيص والقنّاص والقانِص الصائد ، والقُنَّاص : جمع قانص .

وأما كلمة الطرْد في اللغة فمعناها الشّلُّ ، يقال : طرده يطرُده طرْداً وطرَداً وطرّده أي شلّه ، والطرْد والطرَد الإبعاد ، ويقال طردت الكلاب الصيد أي نحّته وراهَقته ، والطريدة ما طردتَ من صيد وغيره ، والمطاردة في القتال أن يطرد بعض المقاتلين بعضاً ، وفي الحديث « كنت أطارد حية

(١) سورة المائدة : ٩٦ .

أي أخدعها لأصيدها ومنه طِراد الصيد ، والمِطْرَدَ رمح قصير يُطرَد بـه وتُطعَن به الوحش ، والطريدة ما طردْتَ من وحش ونحوه [١] .

والمتأمل في معاني الكلمات الثلاث السابقة يلاحظ أن العرب لم يفرقوا بين صيد البر وصيد البحر كما فعلت بعض اللغات الأوروبية كالفرنسية والإنكليزية التي خصصت كلاً من صيد البر وصيد البحر باسم معين إذا أُطلق انصرف إليه ودل عليه فكلمتا « Chasseur » الفرنسية و « Hunter » الإنكليزية تطلقان على صائد البر وحده وكلمتا « Pêcheur » الفرنسية « Fisherman » الإنكليزية تطلقان على صائد البحر وحده ، أما اللغة العربية فليس فيها هذا التخصيص كما رأينا آنفاً .

وعدم التفريق هذا يلفتنا إلى أمر وهو ما أشرنا إليه سابقاً من قلة عناية العرب بصيد البحر وندرة وروده في شعرهم، ولاغرو فهم أمة برية صحراوية قليلة الاتصال بالبحر وليسوا بأمةٍ بحريةٍ على الرغم من أن البحر يحيط بثلاثٍ من جهات جزيرتهم التي كانوا يقطنون فيها .

وثمة ملاحظة أخرى وهي أن كتب اللغة لم تفرق بين القنص والصيد من حيث المعنى فعرّفت القنص بأنه الصيد وجعلتهما لفظين مترادفين لكن المتتبع لاستعمال هاتين الكلمتين عند الكتاب والشعراء يلاحظ أنهم جعلوا لفظة الصيد أعمّ من لفظة القنص فاستعملوا الأولى في صيد البر والبحر معاً واستعملوا الثانية في صيد البر وحده وعلى ذلك قول النابغة :

* أهوى له قانِص يسعى بأكْلُبه * [٢]

وقد كان العرب في جاهليتهم على معرفةٍ حسنةٍ بالحيوان وطبائعه فهم — كما أشرنا من قبل — أمة متبدية تساكن الحيوان في الصحراء: تخشى بعضه وتفيد من بعضه الآخر وبين الخشية والفائدة تحصل المعرفة القائمة على التجريب

(١) انظر لسان العرب .
(٢) ديوان النابغة : ٥٢ (ط. صادر) .

المنبعثة عن جلب المنفعة ودفع المضرة ، وهي معرفة جيدة ، وإن كانت لا تبلغ حدّ البحث العلمي الدقيق المنظم .

بل إن معرفتهم بالحيوان كانت مشوبةً في كثير من الأحيان بشيء من الخرافات التي يرفضها العقل السليم وينكرها المنطق القويم ؛ فالنعام والظباء واليربوع والقنفذ — عندهم — من مطايا الجن ؛ لذا فإنهم لا يصيدونها من أول الليل ، فإن قتل أعرابي شيئاً منها في أول الليل لم يأمن على فحل إبله ، وإذا أصابته بعد ذلك مصيبة أو اعتراه شيء حكم بأنه عقوبة لحقته من قِبَل الجن جزاءً وفاقاً لما اجترح [1] .

أما الأرانب والضباع فليست من مراكب الجن لأن الأرنب تحيض ولا تغتسل من الحيض ، ولأن الضباع لا تتطهر من الجنابة [2] ، وما دامت الأرانب ليست من مطايا الجن فهي — في زعمهم — من مراكب الغيلان [3] . ثم إن الحمام شيطان [4] وإن الغراب خدع الديك وخاس به بعد أن تنادما على الشراب عند خمار ورهنه عنده فخرج الغراب سالماً غير غارمٍ وغانماً غير خائبٍ وبقي الديك مُرتَهَناً لا يطير ، وقد ضربت العرب بذلك الأمثال وقالت فيه الأشعار وأدخلته في الاشتقاق [5] ولو رحنا نتتبع مثل هذا لأطلنا المقال وسمعنا عجباً من العجب .

وعلى أي حال فإنه لا يجوز لنا أن نبالغ في معرفة العرب في جاهليتهم بالصيد وحيوانه ، فقد كان الدافع الأول للصيد عندهم إنما هو الحاجة إلى الغذاء ، وكانت وسائله ضيقةً ضيق الحياة الجاهلية محدودةً بحدود إمكانات أمةٍ متبديةٍ ، وكان الصيد يعتمد أكثر ما يعتمد على الطعن بالرماح والرمي

---

(١) الحيوان : ٦/٤٦ .
(٢) الحيوان : ١/٣٠٩ .
(٣) الحيوان : ١/٣٠٨ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الحيوان : ٣/٤١٠ ، ٤/٣١٩ ، ٤/٨٠ و١٩٧ .

بالسهام ولم يكن العرب في جاهليتهم ذوي شأنٍ في الرمي يُذكَر على خلاف ما يُتصوّر ويُقدّر [١] .

أما الضواري فـلم يستعملوا منها في الصيد استعمالاً شائعاً إلا الكلاب – وإن كانوا هم أول من ضرّى الفهد – وأما الجوارح فلم يُضرّوا منها إلا الصقر ، بل إنهم لم يكونوا قادرين على التفريق بينها لذلك دعوا كلّ جارح يصيد صقراً [٢] .

وأول ثقافةٍ صيديةٍ منظمةٍ أصابها العرب هي ما جاء في القرآن الكريم من أحكام الصيد وما ورد عن الرسول العظيم في شأنه – كما أسلفنا من قبل – لذلك فإنهم جعلوا هذه الأحكام أساساً بنوا عليه ، ومُنطلَقاً انطلقوا منه ، ولا أدل على ذلك من أن جلّ كتب البيزرة التي يقف عليها الباحث تُفتتَح بالآية الكريمة « يسألونك ماذا أُحلّ لهم » [٣] .

بل إن بعض هذه الكتب يجعل ما ورد في القرآن الكريم من إباحة الصيد سبباً في جواز ممارسة الصيد ومعالجة موضوعه ، فها هوذا كشاجم يقول في ديباجة كتابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: وبعد فإن الله تعالى أحلّ صيد البر والبحر وقد ذكر ذلك في كتابه العزيز فقال : « أُحلّ لكم صيدُ البحر » الآية [٤] وورد ذلك في أحاديث نبويةٍ مشهورةٍ فلما أُبيح ذلك صار القانصون يحتالون على صيد البر والبحر ، ثم يمضي في تبيان أحكام الصيد في الإسلام حتى إذا وفّى ذلك حقّ التوفية انطلق منه إلى بحث موضوعه [٥].

وكذلك فعل صاحب الصيد والطرد عند العرب فقد رتّب كتابه على ثلاثة مطالب وجعل المطلب الأول في قوله عزّ من قائل « وما علّمْتُمْ من

---

(١) انظر الفن الحربي في صدر الإسلام : ١٣٢ وما بعدها .
(٢) انظر لسان العرب وتاج العروس (صقر) .
(٣) المائدة : ٤
(٤) المائدة : ٩٦
(٥) المصايد والمطارد : ٣ وما بعدها .

الجوارح مكلّبين»[1] وبنى على الآية الكريمة مبحثاً ضافياً حول حِلّ الصيد وحرمته والأحكام المتعلقة بـه في الإسلام ثم مضى من ذلـك إلى معالجة موضوعه [2] ولم يشذ عن هذا صاحب كتاب الجمهرة في البيزرة [3].

غير أن العرب لم يقفوا عند حدود هذه الثقافة الصيدية التي جاء بها الإسلام ولم يكتفوا بها ، وإنما انطلقوا يبحثون بأنفسهم ويأخذون من غيرهم ويجمعون ما توافر لديهم من معلومات حول الحيوان منذ العصر الجاهلي وعلى مدى العصور التي تلته ، فكان من حصيلة ذلك هذا التراث الثمين الذي تمثل في كتب الحيوان والبيزرة .

ويبدو أن علماء اللغة هم الذين وضعوا النواة الأولى لعلم الحيوان والبيزرة، ذلك بأنهم سبقوا ودوّنوا أسماء الحيوانات الموجودة في جزيرة العرب وأوصافها دون أن ينظروا إلى سياستها وتربيتها وطبّها وحسن القيام عليها والانتفاع بها.

فلأبي سعيد السكري المتوفى سنة اثنتي عشرة ومائتين كتابٌ اسمه الوحوش [4] .

وللأصمعي المتوفى سنة ست عشرة ومائتين كتاب أسماء الإبل، وله كتابُ الخيل وكتاب (الوحوش) أيضاً .

ولو نظرتَ في أيّ كتابٍ من كتب اللغة التي دُوّنت أول عهد اللغة بالتدوين وجدت أسماء الحيوان وأوصافه وألوانه تحتل فيها مكاناً كبيراً .

ثم جاء علماء الحيوان والبيزرة من بعد علماء اللغة وأخذوا ينظرون إلى هذه الحيوانات نظرةً علميةً تعتمد على الوصف والتقويم والموازنة والتحليل وما إلى ذلك مما يتصل بحياة الحيوان وسياسته وطبه ووجوه الإفادة منه .

---

(١) المائدة : ٤

(٢) الصيد والطرد عند العرب : ٢٧ وما بعدها .

(٣) الجمهرة في البيزرة .

(٤) انظر نزهة الألباء : ١٢٩ .

ولعل الجاحظ المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين أولُ عالمٍ عربيٍ دون في الحيوان كتاباً علمياً اعتمد فيه التجربةَ وسيلةً للمعرفة ، والعقل هادياً إلى الصواب ، ففكّر وقدّر ، واختبر ، وسأل أهل الذكر عما لا يعلم ، وشكّ فيما نُقِل إليه وحكّم في كل روايةٍ منطقه، وكانت عنده الشجاعة على رفض ما يرفضه العقل وقبول ما يقبله .

وتبدو شجاعته هذه أكثر ما تبدو في رفضه لما رُويَ عن «أرسطاليس» — على ما كان له من منزلةٍ — ووَصْمِه له بما يحط من قدره، من ذلك قوله : « وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل ، وما يليق بمثله أن يُخلّد على نفسه في الكتب شهادات لا يحققها الامتحان ولا يعرف صدقها أشباهُه من العلماء »[1] .

وهو حين يقبل روايةً من روايات أرسطو يدعمها بمشاهداته ويحققها باختباراته فيقول مثلاً : « وقد زعم صاحب المنطق أن ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الأسنان لطول لَبْثه في بطنها، وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر لأن جماعة نساءٍ معروفات الآباء والأبناء قد ولدْن أولادهن ولهم أسنان نابتة »[2] .

وهو يعلن الحرب على خرافات العرب المتداولة ويُزْري بمعتقداتهم الباطلة[3] .

وهو كثير الاعتماد على التجربة شديد الولع بها يزاولها بنفسه أو يشاهدها مع غيره[4] .

وعلى الجملة فإن كتاب الحيوان للجاحظ على الرغم من استطراداته الكثيرة

---

(١) الحيوان : ١/١٨٥

(٢) الحيوان : ٧/١٢٤

(٣) انظر الحيوان : ٢/٣١٩ و٣٢٠ و٣٢١ و٣٢٢ والكتاب كله طافح بالشواهد على صحة ما أوردناه .

(٤) انظر الحيوان : ٤/٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ إلى ٣٢٠ والكتاب مليء بالشواهد على صحة ما ذكرناه

وسيطرة الروح الأدبية عليه يعد بحق أول كتاب في الحيوان يطمئن إليه القارىء لما اتسم به من تحقيقٍ وتثبّتٍ وتعقّلٍ وهو يُسلِك صاحبه في عداد العلماء .

وكشاجم صاحب المصايد والمطارد المتوفّى سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائةٍ أول من كتب في البيزرة كتابةً علميةً منهجيةً وصلت إلينا .

غير أن هذا لا يعني أن المصايد والمطارد هو الأثر الأول الذي دوّنه العرب في هذا الفن وإنما هناك آثار سبقته لم يُكتب لها البقاء والشيوع ؛ إما لأنها لا تستحق البقاء والشيوع ، وإما لأن عوادي الدهر قد عدت عليها ؛ فقد جاء في أول كتاب الطيور [1] :

إن الحجاج بن خيثم قال : « استخرجنا هذا الكتاب من خزانة الرشيد وعرضناه على الغِطريف بن قدامة الغساني صاحب ضواري هشام بن عبدالملك والوليد ، فعرفه وذكر أن معاذ بن أسلم زادهم فيه كلمات لملوك الأكاسرة ، وذكر أن «ميخائيل بن ليون» عظيم الروم لما سمع بولع المهدي بالصيد ولذته أهدى إليه كتاباً كان لأوائلهم في ضواري الطير ، فأمر المهديُّ بإحضار أدهم ابن محرز الباهلي وكان قد سمع منه كثيراً من نوادر العرب المتصلة بالضواري فأمر بأن نؤلف كتاباً جامعاً لمقالات الحكماء والفلاسفة من ترك وروم ، ولما جرّبته العرب ، فألفنا هذا الكتاب بعون الله عز وجل وتوفيقه ، وكان أحسنها وأجمعها لأمور البُزاة والشواهين وسائر الضواري ، والكتاب مائة وخمسون باباً » [2] .

وما أوردناه آنفاً يشير إلى أمور كبيرة الأهمية :

منها أنه كان لدى العرب في أواخر زمن بني أُمية وأوائل زمن بني العباس عددٌ وافٍ من علماء البيزرة والمشتغلين بها ، منهم الحجاج بن خيثم الذي قدّم

---

١) الكتاب مخطوطة موجودة في دار الكتب المصرية برقم (٢) فروسية – تيمور .

الكتاب ، والغِطريف بن قدامة الذي وثّق الكتاب ، ومعاذ بن أسلم الذي زاد فيه ، وأدهم بن محرز الذي ندبه المهدي للتأليف .

ومنها أن العرب أفادوا في فن البيزرة ممـا لدى الأمم الأخرى كالروم ، فأصل الكتاب الذي أمر المهدي بتأليفه رومي قد أهدي للخليفة المهدي من قبل مليكهم .

ومنها أن العرب أضافوا إلى ما أخذوه عن الأمم الأخرى ما توافر لديهم من معارف وقفوا عليها بطريق التجربة أو جمعوها مما نُقِل إليهم من أخبار العرب [1] .

ومنها أن الكتاب سفرٌ جليلٌ ضخمٌ عدة أبوابه مائة وخمسون باباً، وأنه لم يكن أول كتابٍ صُنّف في هذا الموضوع وإنما سبقته كتبٌ أخرى غـير أنـّه « كان أحسنها وأجمعها لأمور البزاة والصقور » كما قال مؤلفه .

ثم إن من يتتبع كتاب الطيور هذا يجد أن مؤلفه قد عزا جلّ ما جاء فيه إلى الغِطـْريف بن قُدامة الغساني وأدهم بن محرز، فهو لا يفتأ يردد «قال الغطريف، وقال أدهم، وقال الغطريف وأدهم، وقالا، يعني الغطريف وأدهم » مما يجعل الكتاب في جملته روايةً عنهما [2] .

ومما ألـّف فيالبيزرة قبل المصايد والمطارد كتابٌ لابن المعتز اسمه كتاب الجوارح والصيد ، ذكره ابن النديم في فهرسه .

والفرق بين كتب الحيوان والبيزرة التي ألفـّها العرب هو أن الأولى تُعنى بالحيوان عامّة أما الثانية فتعنى بالجوارح خاصة .

والبيزرة أو البزدرة كلمتان لا وجود لهما في كتب اللغة ، وإنمـا الموجود

---

(١) كتاب الطيور الورقة : ١ وما بعدها .

(٢) انظر مخطوطة كتاب الطيور .

في هذه الكتب هو « البِيزار » و« البازَيار » ومعناهما حامل البازي والجمع بيازِرَة ، وهما من الدخيل [١] .

والبَيْزرة مأخوذةٌ من كلمة بِيزار الفارسية ومعناها صاحب البازي ، والبَزْدَرَة مأخوذةٌ من كلمة بَزْدار الفارسية أيضاً ومعناها القائم على البازي أو مالكه .

والبيزرة عند أهل هذه الصنعة هي « فن تربية الجوارح وتضريتها على الصيد ومعرفة أحوالها من حيث صحتها ومرضها وعلاجها وإدراك أمارات فراهتها وضعفها وحسن القيام عليها حتى تبقى صالحةً لأداء الغرض المقصود منها » [٢] .

ويبدو أن كلمة البيزرة أطلِقَت أولاً على علم حياة البازي وتربيته خاصة ، ثم توسعوا في مدلولها فجعلوه يشمل البازي وغيره من الجوارح والضواري ، ويغلب على الظن أن كلمة بازيار قد بدأ استعمالها في أوائل العصر العباسيّ حين كثر اختلاط العرب بالأعاجم ، ذلك بأن البازَيار كان يدعى أيام بني أمية «صاحب الصيد» أو « صاحب الضواري » كما كان يطلق على الغطريف بن قدامة صاحب ضواري هشام والوليد [٣] ، ومما يلفت النظر أن العرب آثروا كلمة « بازَيار » الفارسية على اللفظة العربية ، فقد كان في وسعهم أن يطلقوا اسم (البَيّاز) على صاحب البازي كما أطلقوا اسم (الصقّار) على صاحب الصقر ، و (الفهّاد) على صاحب الفهد ، و (الكلاّب) على صاحب الكلب ، و (الفيّال) على صاحب الفيل .

وقد يكون في عدولهم عن اللفظ العربي إلى اللفظ الفارسي إشارة إلى

---

(١) انظر لسان العرب وتاج العروس وغيرهما من المعجمات .

(٢) انظر دائرة المعارف للبستاني : ٥/٤٠٩ والموسوعة العربية الميسرة : ٣٦٩ ومقدمة « كرد علي » على كتاب البيزرة : ٣

(٣) انظر مقدمة كتاب الطيور .

سبق الفرس في هذا المضمار واعتراف منهم بالأخذ عنهم وتأثرهم بهم .

ونحن قبل أن نترك هذا الجانب من البحث لا بدّ لنا من أن نشير إلى أن المتتبع لكتب الحيوان والبيزرة عند العرب يجد فيها اختلافاً كثيراً ، مما يشعر بأن هناك قضايا في هـــذا الفن لم تحرّرْ عندهم ولم يصلوا فيها إلى رأي قاطع ؛ فصاحب عجائب المخلوقات مثلاً يقرر أن البازي لا يكون إلا أنثى وذكورها من نوع آخر هو الحـــدأة أو الشاهين [١] . بينما يقرر صاحب الصيد والطرد عند العرب « أن الزُرّق [٢] صنف لطيف من البازي أو هو البازي الأبيض كما جاء عن الفراء، أو هو طائر بين البازي والباشِق كما جاء عن ابن سيده[٣].

وهاك مثالاً آخر على الاختلاف بـــين كتب البيزرة في تقرير المسائل ؛ فالشاهين عند صاحب الصيد والطرد ثلاثة أنواع: شاهين وتَكَالي وأنيقِي[٤] بينما قسّمه صاحب المصايد والمطارد إلى شاهين وأنيقي وقطامي [٥] .

وأمر آخر يلحظه قارئ بعض كتب البيزرة هو ما جاء فيها من خرافات ينكرها العقل السليم ويجتويها المنطق الصحيح ، وقد أوردها مؤلفو هـــذه الكتب دون أن يعلقوا عليها بما يشير إلى استنكارهم إياها أو دفعهم لها كما كان يفعل الجاحظ ، فقـد روى صاحب المصايد والمطارد في معرِض حديثه عن الأسد ومنافعه أنه من تَمسّحَ بشحم كِلْيَتِه ومشى بين السباع لم تقربه [٦] .

وروى خـبراً عن الأعراب يتعلق بالضبع دون أن يُعلّق عليه فقال : «وتزعم الأعراب أن الضبع تكون سنةً ذكراً وسنة أنثى وإذا وطئت ظِلَّ الكلب في القمر وهو على سطح وقع فأكلته ... وإذا أخـــذ الإنسان شحم

---

(١) انظر عجائب المخلوقات : ٣٥٣

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٥

(٣) الصيد والطرد عند العرب : ٤٩

(٤) الصيد والطرد عند العرب : ٥٤

(٥) المصايد والمطارد : ٧٨

(٦) المصايد والمطارد : ١٧٧

كِلْيَةِ الضبع ومرّ بالكلاب لم تكلب عليه ، وأن المُوَسْوَس إذا أطعِم ذنب الضبع صلح له ».

وأن المرء إذا أخذ يدها اليمنى وقطعها بجلدها وهي في الحياة ثم علقها عليه ودخل إلى السلطان فإنه يقضي حوائجه [1] .

ومن حسن الحظ أن هذه الخرافات ليست كثيرة في كتب البيزرة وأنها ليست عامة فيها .

فصاحب كتاب البيزرة قد بُرّأ كتابه من أمثال هذه الأباطيل والتزم فيه الروح العلمية التي وجدناها عند الجاحظ واختط لنفسه منهجاً يقوم على التجريب والاستيثاق من كل ما يُروى .

وأخيراً فأفضل كتب البيزرة المطبوعة وأجمعها هو كتاب المصايد والمطارد لكشاجم ، وخير كتبها المخطوطة هو الجمهرة في علوم البيزرة لعيسى الأسدي .

(١) المصايد والمطارد : ٢١٤ .

الفصل الخامس

الصيد بغير الحيوان

أشرنا من قبل إلى أن الانسان أولع بالصيد منذ وُجد على ظهر الأرض ، وتعلّق به تعلّقه بالحياة ؛ فقد كان وسيلته إليها ، وسبيله إلى حفظها واستبقائها ، وأنّه استعان على الحيوان الأعجم بعقله الكبير ، وذكائه الحادّ ، وفطنته التي لا حدّ لها .

وسلك لاقتناصه كلّ سبيلٍ هداه إليها عقله وذكاؤه ، ودلّته عليها خبراته وتجاربه .

وأفاد في ذلك من معرفته بطبائع الحيوان ، ووقوفه على مواطن قوّته وضعفه .

فلم يترك وسيلةً من الوسائل لصيد الحيوانات الا استعملها في صيدها ولم يستبقِ حيلةً من الحيل الا ختلها بها ، وانما عدّد الطرقَ ونوّع الوسائل تبعاً لاختلاف طبائع الحيوانات وتغاير خصائصها ؛ فمن الحيوانات ما يُصاد بالشباك الظاهرة ، ومنها ما يُصاد بالأشراك المستورة ، ومنها ما يُرمى بالسهام والبندقِ ، ومنها ما يُؤخذ بالحفائر والزُبى ، ومنها ما يُختل بالغناء

والصفير ، ومنها ما تُلقى إليه البُنُوج في مراعيه ومساربه، ومنها ما يُصاد بالحِبالِ محاوَدةً ، ومنها ما يُصاد بالرجال محاصَرةً ، ومنها ما يُقتحَم عليه وَكْره ، ومنها ما تُلقى الأوهاق [١] في حلوقه ، ومنها مـا يُصاد بالنار ، ومنها مـا يُقنَص بالجوارح كالصقر والبازي ، ومنها ما يُصاد بالضواري كالكلب والفهد [٢] ، ونحن سنعرض فيما يلي لأهم أدوات الصيد بغير الحيوان وأشهر طرقه .

١ – الصيد بالقوس :

لعل أقدم وسائل الصيد وجوداً هي القوس ، ولإغراقها في القدم زعَمَ الرواة أن جبريلَ عليه السلام جاء بها لآدم وعَلَّمَه كيف يرمي بها ، ثم توارثها أولاده من بعده إلى زمن نوح [٣] .

وقيل : إن أول من عمـل القوس العربية إبراهيم عليه السلام حيث صنع لإسماعيل قوساً ولإسحاق قوساً وعلمهما الرمي فكانا يرميان بها [٤] .

والفُرْسُ تقول : إن أول من رَمى عن القوس الملك الفارسي (جمشيد) وقيل إنه كان في زمن نوح عليه السلام ثم توارثها أولاده من بعده طبقةً فطبقة[٥]، وقال آخرون: إن أول من رَمى عن القوس (النمرود) أو (بهرام جور)[٦] ابن (سابور) ذي الأكتاف [٧] .

---

(١) الأوهاق : مفرده وهق بفتح الواو الهـاء وهو حبل مفتول من أذناب الخيل يرمى في أنشوطة فيعلق بعنق الطريدة .

(٢) انظر الجمهرة في البيزرة : الورقة : ٣ والمصايد والمطارد : ٤٧ و ٤٨

(٣) نهاية الأرب: ٢٢٩/٦ والواضح في علم الرمي الورقة : ٤

(٤) الواضح في علم الرمي الورقة : ٤

(٥) نهاية الأرب : ٢٢٩/٦

(٦) المعروف أن بهرام جور هو ابن يزدجرد، وأنه تولى الملك بعد أبيه سنة ٤٢٠ م (انظر تاريخ إيران لسربرسي سايكس ٥٩٠/١) .

(٧) الواضح في علم الرمي ، الورقة : ٤ ، ونهاية الأرب ٢٢٩/٦ .

ونحن – على الرغم من عجزنا عن إثبات هذه الروايات أو نفيها – فقد سقناها للاستئناس بها على صحة ما قيل من قدم استعمال الإنسان للقوس .

والقوس مؤنثة وجمعها أقواس وقِسِيّ وأقْوُسٌ وقِياسٌ [١] .

وتُتخَذ القِسِيُّ من أعواد شجر النَّبْع ونحوه لصلابتها ثم يُحنى طرفا العود بقوة ويُشَد فيهما وَترٌ من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير المُسِنّ أو وَظِيفِ ساقه وهو يشبه قوس النَدّاف شبهاً كبيراً [٢] .

وللقوس أجزاءٌ وأسماءٌ كثيرة الدوران في شعر العرب ونثرهم وهي :
البَدن : ويطلق على خشب القوس كله ، واليَد : وتطلق على الناحية العليا منها ، والرِّجل : وتطلق على الناحية السفلى ، والمِقبَض : ويطلق على وسط البدنِ حيث يقبَض على القوس عند الرّمي ويدْعى العَجْس والمِعْجس.

والسِّيَة : وتطلق على ما انعطف من طرفي القوس وشُدّ عليه الوتر ، ولكل قوس سِيّان .

والقاب : ويطلق على ما بين المِقبض والسِّيَة وقدْره ذِراعٌ وكانت العرب تقيس به وعليه قوله تعالى : « فكان قابَ قوْسين أو أدْنى » [٣] ولكلّ قوسٍ قابان .

والفُرْضة : وتطلق على الحزّةِ التي يُشدُّ فيها طرف الوتر ، ولكلّ قوس فُرْضتان .

والظُّفُر : ويطلق على ما فوق الفُرضة ويقال له الكُظْر أيضاً ، ولكلّ قوس ظفران .

والوتر : وهو ما يشَدُّ على السِّيَتيْن [٤] .

---

(١) الصحاح (قوس)
(٢) انظر الشكل في ص ٨٤ من هذا الكتاب .
(٣) سورة النجم : ٩
(٤) انظر الشكل في ص ٨٤ من هذا الكتاب .

والحِمالة : وهي من القوس بمنزلة الحمالة من السيف ، يلقيها مُتَنَكِّب القوس في منكبه الأيمن ويُخرج يده اليسرى منها فتصير القوس في ظهره وقد توشَّحها تَوَشُّح السيف وربما جعل الحِمالة في صدره وأخرج منكبيه منها فتصير على كتفيه .

والعرب تقول : تنكَّب فلان القوس اذا ألقاها على منكبه وتأبَّطها إذا جعلها على ظهره .

والأقواس منها الحجازية نسبة إلى الحجاز ، والفارسية نسبة إلى فارس ، والواسطية نسبةً إلى واسط ، والشَّريجية وهي المتَّخذة من قضيبين فأكثر، لكن القسيّ التي تُصنع من عود واحد أجود[1] .

ويُرْمَى عن القسيّ بالسهام ويطلق عليها اسم النبال والنشّاب أيضاً .

والسهم عود في طول الذراع وغلظ الإصبع تقريباً يُتَّخَذ من شجر صلب فيقوَّم ويسوّى ثم تُفرض في مؤخرتـه فروضٌ ليركب عليها الريش فيشدّ فوقه بجلد متينٍ أو يلصق بالغراء ثم يركَّب في قمته نصلٌ من حديد مدبب تصنع له شوكات في نهايته تجعل نزْعه صعباً إذا نشِب .

ويمر صنع السهم بمراحل متعددةٍ يكون له في كل مرحلة منها اسم خاص ويبدأ صنعه بقطع عيدانه من الأشجار ويدعى العود بعد قطعه قِدْحاً كما يدعى خطوة ثم يصار إلى تثقيفه وتقويمه ونحته فيدعى مخشوباً ، ثم تفرض له فروض لتثبيت الريش عليه فيدعى فَريضاً ، ثم يُركَّب له الريش فيدعى مَريشاً ثم يعمل له فُوق فيدعى مُفوَّقاً.

وأجزاء السهم على هذا هي :

القِدْح : وهو جسم السهم المتخذ من الخشب الصلب الخفيف في طول الذراع وغِلَظ الإصبع .

---

(١) نهاية الأرب : ٦/٢٢٨

والنصل : وهو حديدة يطرقها الحداد ويلوّحها على الجمر حتى تصير زرقاء ثم تُحدّد وتُدبب وتُسوّى بالمبرد وتُصنع لها شوكات جانبية تجعل نزع السهم صعباً إذا نشب ، ثم يُجوّف من أسفله ليدخل فيه أعلى القِدْح .

السِّنخ: وهو التجويف الواقع في أسفل النصل، حيث يُثبّت فيه القدح.

الرُّعْظُ : وهو مدخل السِّنْخ الذي يوضع فيه القِدْح .

العَقَب : وهي لفائفُ من سَيْر أو عصب تُلفُّ حول الرُّعظِ لتثبيت القِدْح في النصل وتمكينه وتدعى الرُّصَفَةُ والرُّصَافةُ أيضاً .

الفُوقُ: وهو تجويف يفرض في أسفل السهم ليثبت فيه الوتر قبل الرمي.

الزَّنمَة : ومثناه زنمتان وهما حرفا الفُوق ويقال لهما رجلا الفوق .

الشُّريجَةُ : وهي العَقَبَة التي يُلزق بها ريش السهم .

الريش: وهو ريش طير يُركّب على جانبي السهم في الفروض التي فُرِضت له ثم يُشدُّ عليه بالعَقَبِ أو يُلصَقُ بالغراء إذا كان بلا فروض . ومن شأن الريش أن يجعل السهم متوازناً ويحولَ دون اضطرابه عند انطلاقه وأن يسرع به إلى هدفه ، وعددُ ريش السهم ثلاث وقد يُكتَفَى باثنتين [١] .

ويجب أن يكون الريشُ من جناح طير واحد لِئلا يتفاوت كبراً وصغراً وثقلاً وخفةً ، وأجودُ الريش ريشُ النسر ثم ريش العقاب ، وريش الأذناب خيرٌ من ريش الجناحين .

ويُلحَقُ بالقوس والسهم (الخَتيمَة) وهي كيسٌ صغيرٌ من جلد يلبسه الرامي في إبهامه لئلا يؤذيه الوتر عند الرمي وهو يشبه الكشتبان الذي يلبسه الحائكون في أناملهم ليقيهم وخز الإبر .

كما تُلحَق به الكِنانة وهي الجَعْبَةُ التي تودع فيها السهام .

وعلى الرامي إذا أراد الرمي أن يمسكَ القوس من قبضته بيسراه ثم يثبّت

(١) انظر الشكل في ص (٨٤) من هذا الكتاب .

(فُوقَ) السهم في وسط الوتر ، ثم يجـذب الوتر إليه بيـــده اليمنى بحيث يتساوى مرفقه الأيمن مع كتفه، ثم يسدد نظره نحو الهدف حتى إذا بلغ الوترُ نهايته أطلـَقـَهفيعود إلى وضعه الأول بِشدّةٍ ويدفع أمامهالسهم إلى هدفه[1].

٢ — الصيد بالرمح :

ومن أدوات الصيد الرمح وجمعه أرْماح ورِماح ، ويقال له : القناة أيضاً والجمع قَنوَات وَقناً وقُنِيّ، ويدعى الطاعن بالرمح : الرامِحُ [2].

وهو سلاح عريق في القدم شاع استعماله عند الشعوب القديمة وبخاصة عند أولئك الذين كانوا يسكنون الصحراء .

والرمح عمـاد البدوي في حيــاته ، يركزه في الأرض وينشر عليه ثوبه ليستظل به إذا لفحته الهاجرة، ويصيد به الوحوش إذا عضّه الجوع، ويدفع به عن نفسه أذاة السباع ، ويهش به أوراق الشجر على غنمه ، ويصول بـه على خصومه في ساحات القتال ، يتخذه الفقير من فروع الشجر ويجعل سِنانه قرن ثور ، ويتخذه الغني من نادر الخشب وكريم العيـدان ويجعل شَبَاته من فولاذ ثمين ، كلٌّ حسب قدرته ومكانته [3] .

والرمح منه الطويل ويدعى (المِطـْرَح)، ومنه ما ليس بالطويل ويدعى المِطـْرد ، وهذا الذي يُستعمَلُ في الصيد ويُقتَل به الوحش [4] .

وتتراوح أطوال الرمـاح بين أربعة الأذرع وعشرة الأذرع وقد تزيد على ذلك [5] .

---

(١) انظر المخصص : ٦/٤٣ ومـا بعدها ، ونهاية الأرب : ٦/ ٢٢٢ وما بعدها ، والفن الحربي في صدر الإسلام : ١٣٠ ، وما بعدها .

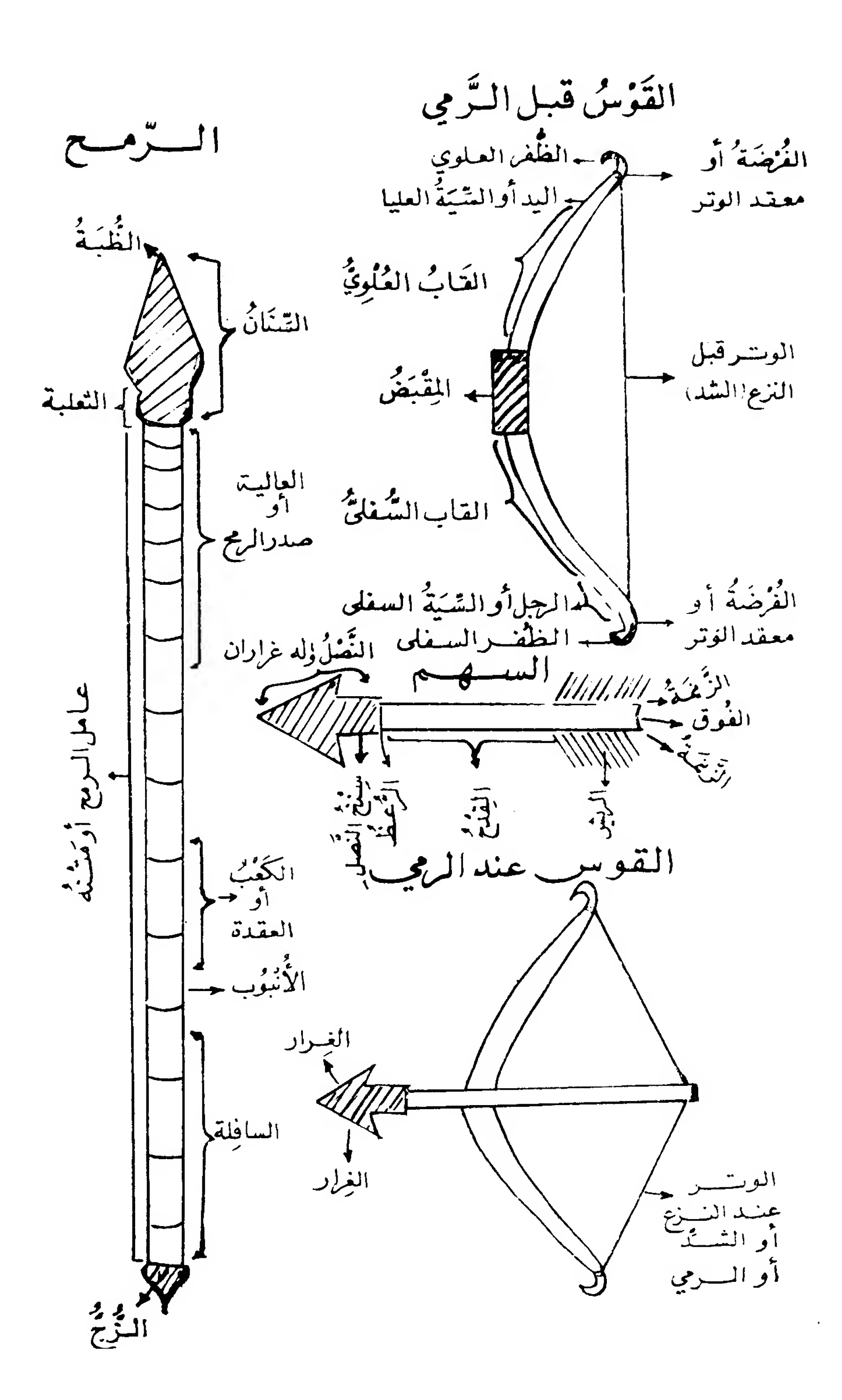
(٢) المخصص : ٦/٣٠

(٣) البيان والتبيين : ٣/٦٤ ط ق ١٩٣٢ ، والفن الحربي في صدر الإسلام : ١٤٤ .

(٤) المخصص : ٦/٣٢ و ٣٤

(٥) البيان والتبيين : ٣/١٩

وكما توجد للقوس أجزاءٌ وأسماءٌ فللرمح أجزاء وأسماء منها :
المتْن أو العامل : وهو جسم الرمح كله من أعلاه إلى أسفله قبل أن يُركَّب عليه النصل .
الكُعُوب : وهي العُقَدُ التي تكون في العود ثم تُسوى حتى تصيرَ ملساء .
والزُّجُّ : وهو حديدةٌ مُدبَّبة الطرف تُركَّب في أسفله لتساعد على تثبيته في الأرض وقد يُطعن بها عند الحاجة .
العالية : وهي نصفه الذي يلي السِّنان ويُسمى صدر الرمح.
السّافلةُ : وهي نصفه الذي يلي الزُّجّ .
السِّنان : وهو الجزء الذي يُركَّب فوقه للطعن به، وكان أولاً يُتخذ من قرون البقر الوحشي لأنها مُمتلئةٌ مُصمَتةٌ غير مجوفة، ولأنها صلبة حادة أيضاً، ثم صار يُتخَّذُ من الحديد الجيد النقيّ، ولذا وصفوه بالزُّرقة لصفائه.
والأسنةَ منها العريض المُدبَّب من نهايته المحدَّد من جانبيه ومنها ما يكون ذا شعبتين إحداهما مستقيمةٌ كالسكين والثانية متعرجة ، ومنها السِّنان الرفيع الطويل المستقيم ، ومنها السِّنان الرفيع المعرج المموج الذي يُحدِث فجوةً عند الطعن به .
الظُّبَة : وهي الجزء المدَبَّب في أعلى السنان .
الثعلَبة : وهي الجزء الأسفل من السنان الذي يدخل فيه أعلى الرمح .
الجُبَّة : وهي مكان اتصال الرمح بالسنان .
الظُنْبُوب: وهو مسمار يكون في جُبّة السِّنان حيث يُركَّب في عالية الرمح .
الزاجِل : وهي حلقة تكون في زُجّ الرمح .
ويستحب في الرمح ان يكون لدْناً ليناً صلباً وأن يكون إذا هُزّ اضطرب من أوله إلى آخره ويدعي بالزاعِبِيّ كما يستحسن فيه أن يكون ذابلاً وهو الذي يَبِسَ والتصقت قِشرته به .



القَوْسُ قبل الـرَّمي
الـــرّمــح
الظُّفُر العلوي
اليد أو السِّيَةُ العليا
الفُرْضَةُ أو
معقد الوتر
الظُّبَـةُ
القَابُ العُلْوِيُّ
السِّنَانُ
الوتـر قبل
النزع (الشد)
المِقْبَضُ
الثعلبة
العالية
أو
صدر الرمح
القاب السُّفليُّ
الرجل أو السِّيَةُ السفلى
الظُّفُر السفلى
الفُرْضَةُ أو
معقد الوتر
النَّصْلُ وله غراران
السهـم
الفوق
عامل الرمح أو مَتْنُهُ
القوس عند الرمي
الكَعْبُ
أو
العقدة
الأُنْبُوب
الغرار
السافِلة
الغِرار
الوتـر
عند النزع
أو الشـدّ
أو الـرمي
الزُّجُّ

ويلحق بالرماح الحرْبة : وهي أصغر من الرمح . والألّة : وهي أصغر من الحربة وفي سنانها عرض. والمِثْل: وهو القرن الذي يُطعن به. والعَنَزَة وهي قدر نصف الرمح أو أكبر وفيها زُجٌ كزُجّ الرمح . والمِزراق وهو أخف من العَنزة .

وأجود الرماح الرُّدَينية نسبة إلى امرأة يقال لها رُدَينة كانت تباع عندها الرماح .

والسمْهرية نسبة إلى رجل يدعى سمْهَر، والخَطّية نسبة إلى الخط ، والخطُّ مرفأ للسفن في البحرين تُحمَل إليه القنا من الهند ولا تصنع فيه .

٣ – الصيد بالجلاهق أو قوس البندُق :

من أدوات الصيد الجلاهق بفتح الجيم وكسر الهاء . والجلاهق في اللغة : البُندق الذي يُرمى به، وهو طين مُدمْلق مدور، ومفرده جَلاهقة ومثناه جلاهقتان ، وهو فارسيٌّ معرب أصله (جله) وهي كبة الغزل [١] .

أما في اصطلاح الصائدين فالجلاهق : قوس تُتخذ من القنا ويُلف عليها لحرير وتُغرّى ، وفي وسط وترها قطعة دائرة تسمى الجوْزة توضع فيها البندقة، فإذا شُدّ الوتر عند الرمي قذف بالبندقة وأصاب الهدف [٢] وتُسمى هذه الآلة : قوس البندق .

وتتخذ البنادق من طين لزج متماسك الأجزاء يُجعَل على شكل كرات صغار مُلْس ثم تُجفف ويُرمى بها عن الجلاهق.

والصائد الذي يستعمل الجلاهق يحمل معه وعاءً من جلد يحمل فيه البندق الذي يرمى به ويدعى هذا الوعاء (الجَرادَة) وهو بمنزلة الكنانة من السهام [٣] .

---

(١) تاج العروس

(٢) نهاية الأرب : ١٠/٣٢٤ وصبح الأعشى : ٢/١٤٥ .

(٣) صبح الأعشى : ٢/١٤٥ .

وقد كان يُرمى بالجلاهق على عهد عثمان رضي الله عنه فشُكي له من ذلك وقيل له : إن البندق يقع على حمام الناس ، فمَنَعَ ذلك في العمران من الحرم بمكة والمدينة ولم يحظره فيما سواه [1] .

وللجلاهق رميٌ دقيق بالغ الدقة وإصابته عجيبة لا تكاد تخطىء فقد قال كشاجم : إنه رأى غير واحد ممن يقول لصاحبه - إذا مرّ الرفُّ من الطير أيها تحب أن أرميه فأصيبه فيذكر واحداً من الطيور فيقول له: فأيّ موضع تحب أن أنال بالبندقية فيمين رأسه أو جناحه أو غير ذلك فيصيب الموضع الذي عُين له ، وإنه رأى آخر يوقف غلاماً له ويجعل في طرفي سبابته وإبهامه حلقة خاتمه ثم لا يزال يرمي البندقية في حلقة الخاتم فتخرج منها من غير أن تمسّ يد الغلام .

وروى عن بعض الثقات أنه أخبره عن رجلين من أهل البصرة كانا مولَعين بالرمي بالجلاهق فخرجا يوماً إلى بعض الأنهار فإذا هما بأسد يساورهما فلما أيقنا بالموت قال أحدهما لصاحبه : اكفني عينه اليمنى وأنا أكفيك اليسرى فرمياه عن يدٍ واحدةٍ فأعمياه وسَلِما [2] .

ويبدو أن الجلاهق الذي استُعمل على عهد عثمان رضي الله عنه قد تغير عما كان عليه بعد اختلاط العرب بالفرس؛ فقد قال السيوطي في كتابه شفاء الغليل: « إن ما يطلق عليه الآن اسم قوس البندق حدث بعد الصدر الاول لكنه واحدٌ لفظاً ومعنى [3] .

ووصف الصابي الجلاهقات في رسالة نثرية فقال: « أقبلت رفقة الرماة... مقلدين خرائط ... تحمل من البندق الموم ما هو في الصحّة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم ... وقد اختُبِر طينُه ، ومُلِك عجينُه فهو كالكافور

---

(١) المصايد والمطارد : ٢٤٧

(٢) المصايد والمطارد : ٢٤٧ و ٢٤٨

(٣) شفاء الغليل : ٥٩

المُصاعِد في اللمس والمنظر ، وكالعنبر الأذفر في الشم والخبر ، مأخوذ من خير مواطنه ، مجلوب من أطيب معادنه ، كافل بمطاعم حامليه ، مُحقق لآمال آمليه ، ضامنٌ لحِمام الحَمام ، متناولٌ لها من أبعد مرام ، يعرج إليها وهو سمٌ ناقع ، ويهبط بها وهو رزق نافع وبأيديهم قِسِيٌّ مكسوة بأغشية السندس، مشتملة منها بأحسن ملبس... حتى إذا جُردت من تلك المطارف، وانتُضِيت من تلك الملاحف، رأيت منها قدوداً مُخطفة رشيقة، وألواناً معجبة أنيقة » [١] ، وقد أكثر شعراء الطرد في العصر العباسي من وصف الصيد بالجلاهق كثرة تلفت النظر .

٤ — الصيد بالأوهاق :

ومن آلات الصيد الأوهاق ، وهو جمعٌ مفرده وَهَق بالفتح وقد يسكن مثل نَهْر ونَهَر وهو حبل مُغار من أذناب الخيل يُرمى في أنشوطة فيعلق بعنق الطريدة وتُؤخذ به [٢] ، وأهل الجبل بنها وندَ وما يليها يصيدون الأسد بالأوهاق حيث يرمونها عليه فلا تخطئه ، وطريقة صيده أن يقف على كل جانب من جانبي الطريق أو الوادي رجلٌ بحيث يكونان متقابلين وفي يد كلٍ منهما وَهَق فإذا مرَّ الأسد رَمَيا الوَهَقين رمية واحدةً فيقعان في عنقه ثم يجذبه كلٌّ منهما إلى جهته فيسقط على الأرض ويؤخذ [٣] .

٥ — الصيد بالشبكة :

ومن آلات الصيد الشبكة وهي شَرَكةُ الصائد يصيد بها في البر والماء، وجمعها شَبَكٌ وشِباك [٤] .

وهي تُتخَذُ من خيوط الكتان أو القطن أو الحرير تُعقدعقداً حتى تتشابك ثم تُناط بحافاتها أوتادٌ تشدُّها إلى الأرض .

---

(١) انظر نهاية الأرب : ١٠/٣٢٤ وما بعدها .
(٢) المصايد والمطارد : ١٧٩ .
(٣) لسان العرب (شبك) .
(٤) انظر أنس الملا : ١٣٧ ، والمصايد والمطارد : ٤٧ ، وصبح الأعشى ٢/١٤٥

وتختلف طول خيوطها وعدد عيونها باختلاف الطرائد التي تُصاد بهـا ، والشباك تكون ظاهرة بخلاف الأشراك فإنها تكون مستورة .

وتُنصب الشباك في المراعي المخصبة ، وفي الدروب التي تؤمها الوحوش ، وعلى مشارع المياه ويُكثَّرُ حولها من العلف الذي يُغري الطرائد بالاقتراب منها ويُؤدّي بها إلى السقوط فيها ، وأول من تصيّدَ بالشبكة المتوكل وقيل المعتصمُ وكان المستنجد بالله شبكة ، والشبكة من أدوات الصيد الخاصة بالسلطان[1] وهي تُدعى الحِبَالةُ أيضاً .

٦ - الصيد بالفخّ :

ومن آلات الصيد الفخُّ وجمعُه فُخوخ وفِخاخ وهو آلة حديدية مُقوّسة لهـا دفّتان تُفتحان قسراً وتُعاقان عن الانغلاق بطرف شظاةٍ أو نحوها فإذا مرَّ بها الحيوان وأصابها انطبقت عليه[2] ويدعى الفخ « شركا » .

٧ - الصيد بقصب الدّبقِ :

ومن أدوات الصيد قصب الدّبقِ أو عيدان الدّبقِ ، والدّبقِ في اللغة حَمْلُ شجرٍ فيجوفه مادّةٌ كالغراء وهو لازقٌ يلزق بجناح الطائرفيُصاد به ، ويقال دبّق فلانٌ الطائر تدبيقاً ودَبقهُ يدبِقهُ دبْقاً أي صاده بالدّبق[3] .

وعيدانُ الدّبق : قضبان من أغصان الشجر تُطلى بالدّبق بعد تَسويتِها وتُنصبُ عند مشارع المياه وغيرها مما يسقط عليه الطير ، فإذا وقف الطائر فوقها علِق بها ، وكلما رام الخلاص ازدادَ بها علوقاً وعليها التصاقاً .

ويقال : إنّ أولَ من دبّق رجلٌ من أهل البصرة يقال له إبراهيم البازيار كان في زمن الرشيد ، وكان يصيد بعيدان الدبق جميع الطير ، فـذاع صيته

---

(١) البيزرة : ١٣٨ ، وتاج العروس (حبل) .

(٢) انظر صبح الأعشى : ٢/٥ ١٤ ولسان العرب (فخخ) والمصايد والمطارد : ٤٧

(٣) لسان العرب (دبق)

حتى استدعاه الرشيد وضمّه إليه وبلغ عنده منزلةً عاليةً لمعرفته بالدّبق، وعلمه بالضواري .

ومن إبراهيم البازيار تفرّع التّدبيق وشاع بين الناس وجعل الصائدون يُدبّقون بخمس قصبات أو أكثر زمن المأمون [1] .

٨ – الصيد باللّبّاد :

ومن أدوات الصيد « اللّبّاد » وهو في اللغة قِباءٌ من اللّبد، واللّبد كل شعر أو صوف تداخلت أجزاؤه ولزق بعضُها ببعضٍ فتلبّدت [2] .

ويتّخِذ الأشداءُ المهرةُ من الصائدين من اللباد أكسيةً مُضاعفةً لهم تسترهم من الأسود وتقيهم أذاها، فيخرجون لصيدها مرتدين هذه اللبابيد ومعهم أوهاق وأثوابٌ وقيودٌ، فإذا مرّ بهم الأسد لم يفطن إليهم بسبب أكْسِية اللبادِ؛ فيرمونه بالأوهاق فتعلّق به، أو يلقون عليه الأثواب فتغطي وجههُ وجسده وتشل حركته، ثم يأخذونه ويقيدونه .

وقد روى صاحب المصايد والمطارد أن بعض الأعراب ألمّ ببيت فإذا فيه عجوز فقال لها : هل من قِرىً ؟ فقالت : أنظرنا، لك الخيرُ، فلم يلبث أن جاء ابن لها وعليه لبابيدُ مضاعفة وهو يحمل نمراً عظيماً فطرحه على الأرض، وقامت العجوز فأخرجت من النار سفودا فأولجته في أست النمر فمجّ عجّةً عظيمةً ثم هدأ فكشطوه وشووه فأكلنا منه حتى امتلأنا وبتنا في خصب [*] .

وإنما فعلت العجوز ذلك ليسلم لها الجلد [3] .

---

(١) أنس الملا : ٨٢

(٢) انظر لسان العرب : (لبد)

(*) لعل ذلك كان في الجاهلية ؛ فالإسلام حرم أكل هذه السباع .

(٣) المصايد والمطارد : ١٧٩ و ١٨١ و ٢١٢

٩ – الصيد بالتطريب :

ومن وسائل الصيد «التَّطْريب» ، ذلك أن بعض الحيوانات كالأيِّل مثلاً يرتاح إلى الغناء العذب ويستهويه الصفيرُ الحسن وهو لا ينام ما دام يسمع ذلك.

فإذا رام الصيادون صيده شغله بعضهم بالغناء والصفير وأتاه بعضهم الآخر من خلفه فإذا رأوه مُسترخيَ الأذنين أدركوا أنه مشغول بما يسمع مأخوذ به فيثبون عليه ، أما إذا كان لا يزال منتصب الأذنين فذلك يعني أنه لم يزل يقظان فيكفون عنه [١] .

١٠ – الصيد بالنار :

ومن أدوات الصيد النار ، ذلك بأن طائفة كبيرة من الحيوانات إذا أبصرت النار دهشت وذهلت وأُخِذت ، فالظبي مثلاً يُصاد بإيقاد النار قريباً منه فهو لا يزال يتأملها ويُدمن النظر إليها حتى يعشى بصرُه ويذهل عقله ولا سيما إذا أُضيف إلى النار تحريك الأجراس فإنّه يفترُ ويضعف ولا يبقى به حراك البتة . والنعام يُصاد بالنار أيضاً ، فإنه إذا رآها دهش وتسمّر في مكانه فيتمكن منه الصائد ويأخذه .

وكانت العرب إذا خافت الأسود – أوقدت حولها النيران وهوّلت بها عليها ، فإذا عاينها الأسد حدّق إليها ، وجعل يتأملها ، فكثيراً ما كانت تشغَله عن السابلة وتكف عن الناس أذاه [٢] .

١١ – الصيد بالحفائر :

ومن وسائل الصيد الحفائر وأهمها الزُّبْيَة : جمع زُبية وهي حفرة تُتخذ على مكان مرتفع من الأرض وتغطى بما يسترها ، ويوضع فوقها أو بالقرب منها حيوان ممّا تشتهيه الأسود فإذا رآه الأسد أتى إليه ليفترسه فيسقط في

---

(١) نهاية الأرب : ٩/٣٢٥

(٢) انظر الحيوان : ٤/٤٨٤ والمصايد والمطارد: ٢٠٧ ، ونهاية الأرب : ٩/٣٣٣ و ٣٤٠

الزبية ويؤخذ، ولا تكون الزبية إلاّ في مكان عالٍ حتى لا تمتلىء بماء السيل. ولذلك قيل في المثل : « بلغ السيل الزبى » أي عمّ وطمّ . ومن حفائر الصيد الكَـمْحَة ، وهي ممّا تُصاد به الذئاب ، والحِبالة وهي مما تصاد به الظباء [1] .

١٢ – الصيد بالحيلة :

ومن وسائل الصيد إعمال الحيلة لاقتناص الطيور والوحوش ، وقد أكثر الصائدون من الاحتيال لطرائدهم وافتنّوا في ذلك ما وسعهم الافتنان .

من ذلك محاكاة أصوات بعض الحيوانات ، فالدُرّاج مثلاً يصاد بصفير يشابه صفيره ، فإذا أتقنه الصائد وصفّر به أصغى إليه وقصد الموضع الذي يسمعه منه فيسهل عليه صيده [2] .

وتصاد النعام بالخِرَق السود تنشر في مرابضها ومراتعها حتى إذا أَلِفتها وأنست بها لبسها القانص واصطادها [3] .

ويصاد البَبْر – وهو سبع هنديٌ شديد المراس لا يقدر أحد على صيده – بأن تُسرق جراؤه – وهو شديد الولع بها عظيم الحرص عليها – ثم تُحمل في أمثال القوارير من الزجاج ويُركَض بها على الخيول السوابق، فإذا أدركهم أبوها رموا إليه بقارورة منها فيشتغل بالنظر إليها ويعمل الفكر في إخراج جروه منها فينطلق الصائدون ببقيتها ويأخذونها ويربونها فتألف وتأنس .

ويصاد العَقْعَق بأن تنصب له شبكة ويُشدّ فيها سنور أبلق شديد الشبه بـه ، فإذا وقع في الشبكة تهافتت عليـه سائر العقائق وترامت في الشبكة وصيدت جميعاً [4] .

---

(١) المصايد والمطارد : ١٠٥ وعيون الأخبار : ٧١/٢

(٢) المصايد والمطارد : ٢٧٣

(٣) المصايد والمطارد : ٢٢٢

(٤) نهاية الأدب : ٢٤٢/٩ والدميري : ١١٣

ويصاد طير الماء بالقَرْعة، وذلك بأن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة فيُرمى بها في الماء ؛ فهي لا تزال تتحرك فإذا أبصرها طير المـاء خاف منها في أول أمره ثم لا يلبث أن يألفها شيئاً فشيئاً فإذا أنس بها وجعل يسقط عليها أخذ الصائد قرعـة وقطع رأسها وخرق فيها موضعاً لعينيه ثم يُدخِل رأسه فيها وينزل إلى الماء ويغمس فيه جسده كله إلا رأسه ويمشي نحو طير الماء رويداً رويداً وكلما دنا من طائر قبض عليه من رجليه ثم غمسه في المـــاء ودقّ جناحيه وتركه فيبقى طافياً فوق الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران حتى إذا فرغ من صيد ما يروم صيده رمى بالقرعة والتقط الطيور الطافية وذهب بها [1] .

ومما يلحق بأدوات الصيد: القُتْرة ، والناموس ، والقُرْموص ، والزريبة وكلها حفر أو بيوت صغيرة يتخذها الصائد ليخفي فيها شخصه عن الوحش والطير، ويدخّن على نفسه بأوبار الإبل لئلا تجد الحيوانات ريحه فتنفر منـه، ومن هذه الكمائن يصيد القانص الطيور ، ويرقب الشباك والشراك ، ويرمي السباع والوحش .

وبعد فإن ما أوردناه آنفاً من أدوات الصيد ووسائله لا يعد شيئاً في جنب الجوارح والضواري ، وسيجد القارىء فيما يلي بحثاً ضافياً عن جوارح الصيد وضواريه .

---

(١) المصايد والمطارد : ٧٥

الفصل السادس

الجوارح
سِيَاسَتُها والصَّيْدُ بها

أطلق العرب كلمة « الجَرْحِ » على التأثير بالسلاح ونحوه ، كما أطلقوها على الكَسْب؛ فقالوا : جَرَحَ فلانٌ الشيءَ واجترحه بمعنى كسبه ، وفلانٌ يَجرَح لعياله ويجترح لهم أي يكسِب لهم ، وفلان جارحُ أهله وجارحتهم أي كاسِبُهم.

وقد جاء في التنزيل : وَهو الذي يتوفّاكم بالليلِ ويعلم ما جَرَحْتُم بالنهار [1] .

ودُعِيتْ حيوانات الصيد من الطير والسباع والكلاب بالجوارح لأنها تجرح لأهلها وتكسِب لهم [2] .

أما كلمة الضراوة فأطلقوها على الوَلَع بالشيء والدربة عليه والتعوُّد له فقالوا : ضَرِيَ فلان بالشيء إذا اعتاده فلا يكاد يصبر عنه ، وضري الكلب بالصيد إذا تطعّم بلحمه ودمه ، وكلب ضارٍ بالصيد مُعتاد له ، وضرّى

---

(١) سورة الأنعام : ٦٠

(٢) انظر لسان العرب مادة (جرح)

الرجلُ الكلب وأضراه: عوّده على الصيد وأغراه به. وقالوا : إنّ الضاري من السباع مـا ضَرِي بالصيد ولهج بالفرائس[1] وقد أطلق القرآن الكريم كلمة الجوارح على حيوانات الصيد كلها فلم يفرق بين طائر يطير ووحش يسير حيث قال تعالى في محكم كتابه :

« وما علّمْتُمْ من الجوارح »[2] غير أن علماء البيزرة اصطلحوا – كما يبدو – على أن يطلقوا كلمة الجارح على ما يطير كالبازي ، والشاهين ، والصقر ، ونحوها ، وكلمة الضاري على ما يسير كالكلب والفهد وغيرها .

وتبدو هذه التفرقة واضحةً عند كشاجم في كتابه المصايد والمطارد حيث عقد باباً للجوارح تحدّث فيه عن البازي والشاهين والصقر والغراب جاء فيه قوله : « وبدأنا بالجوارح قبل الضواري لخلال أوجبت ذلك، منها أن البازي وما أشبهه يعلو على أيدي الملوك ويبلغ من منفس الأثمان ما لا يبلغه شيء من الضواري من كلب وفهد وما أشبهه »[3] .

وصاحب كتاب البيزرة ينحو هـذا المنحى فيعقد باباً لشدّ الجوارح على الكنادر يقول فيه: « قد ذكرنا في كتابنا هذا ما لم يذكره الناس في كتبهم من شدّ الجوارح على الكنادر من البزاة والبواشق »[4] .

كما يقول في مكان آخر عن المكتفي « إنـه كان أكثر ما يُدْمِنه الصيدُ بالفهد والعقاب وهما سبعا الضواري والجوارح »[5] .

فجعل الفهـد سبع الضواري ، والعقاب سبع الجوارح على طريق اللف والنشر المرتب .

---

(١) انظر لسان العرب مادة « ضرى »

(٢) سورة المائدة : ٤

(٣) المصايد والمطارد : ٤٨

(٤) البيزرة : ١٨٤ .

(٥) البيزرة : ٤٨ .

وقد تحدّث عن البازي فنعته بملك الجوارح [1] ، ثم عقد فصلا أورد فيه ما قيل عن ابتذال الملوك لنفوسهم عند الصيد بالفهد فقال : «ذِكر ما قيل في ابتذال الملك نفسه في الصيد بهذا الضاري » [2] .

كما عقد فصلاً لما قيل في الجوارح من الشعر أورد تحته ما قيل في البازي والباشق والشاهين والصقر ولم يرو شيئاً مما قيل في الضواري من الفهد ونحوه.

غير أن صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب لا يذهب مذهب صاحبيه في اصطلاحها الذي ارتضياه وإنما يطلق كلمة الجوارح على جميع ما يُصاد به من الحيوان ، ثُمّ يقسم الجوارح إلى قسمين أحدهما جوارح الطير كالعقاب والزمّج والبازي والباشق والصقر والشاهين، وثانيهما جوارح البهائم كالفهد والكلب والنمر وعَناق الأرض [3] .

ونحن سنأخذ في كتابنا هذا بما اصطلح عليه كشاجم وصاحب البيزرة من إطلاق كلمة الجارح على ما يطير، والضاري على ما يسير إيثاراً للاصطلاح المفرد على المركب وتمشياً مع ما أخذ به كشاجم ، وهو أبو هذا الفن ، وكتابه المصدر الأول لكل من كتب في البيزرة .

(١) البيزرة : ٧٠
(٢) البيزرة : ١٢٨
(٣) انظر الصيد والطرد عند العرب : ٣٤ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠

أولاً ـ الجوارح

اختلف علماء البيزرة في عدد الجوارح وأنواعها وأسمائها .

فقسمها صاحب المصايد والمطارد إلى فصائل وجعل تحت كل فصيلة من الفصائل أنواعاً أو صلها جميعاً إلى ثلاثة عشر جارحاً [١] .

وسلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى مسلك كشاجم غير أنه خالفه في التقسيم وأوصلها إلى خمسة عشر جارحاً [٢]، وكذلك فعل صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب ، غير أنه خالفهما في التقسيم وأوصلها إلى نيف وعشرين جارحاً [٣] .

أما صاحب البيزرة فعرضها على أنها أنواع مستقلة وأوصلها إلى تسعة جوارح [٤] .

ونحن سنعتمد في بحثنا هذا على التقسيم الذي أورده كشاجم في كتابه المصايد والمطارد .

قسم كشاجم الجوارح إلى أربعة أنواع هي :

---

(١) انظر المصايد والمطارد : ٤٨
(٢) انظر الصيد والطرد عند العرب : ٣٤
(٣) انظر المصدر السابق
(٤) انظر البيزرة : ٤٩ وما بعدها

البُزاة ، والشواهين ، والصقور ، والعقاب . وجعل البزاة خمسة أصناف هي : البازي ، والقِيمي ، والزُّرَّق ، والباشق ، والبَيْدَق.

وجعل الشواهين ثلاثة أصناف هي : الشاهين ، والأنيقي ، والقطامي .

وجعل الصقور ثلاثة أصناف هي : الصقر ، والكَوْنَج ، واليُؤْيُؤ.

أما العُقَاب فهو صنف واحد .

ثم ألحق بهذه الأنواع الأربعة الزُمَّج فصارت جملة الجوارح عنده ثلاثة عشر جارحاً كما أسلفنا آنفاً .

ونحن سنتناول ُكلا من هذه الجوارح على حِدة ، فنصفه وصفاً يميزه من غيره ، ونبرز أهم خصائصه ، ونبين طريق اصطياده، ونوضح كيفية تضريته وتدريبه على الصيد .

١ – **البازي :**

البازي أفضل الجوارح صيداً وأعلاها كعباً ، وأغلاها ثمناً ، وبه يضرب المثل في نهاية الشرف .

وفي نطق اسمه لغاتٌ منها : « البازي » بكسر الزاي وتخفيف الياء ويجمع على ُبزاة ، و « الباز » بغير ياء في الآخر ويجمع على بيزان و « البأز » ويجمع على أبؤز وبؤوز .

و « البازيّ » بإثبات الياء وتشديدها [١] وهو مشتق من البَزَوَان بمعنى التطاول والوثب ، وهو مذكر بلا خلاف [٢] .

ويقال له في أول سنةٍ من عمره : فرخ ، وفي الثانية : ُكرَّز عام ، وفي الثالثة : ُكرَّز عامين .

والكرَّز لفظ معرب عن الفارسية ، حيث يقال للحاذق المجرب «كرّه» فعرّب على ُكرَّز [٣] .

---

(١) انظر المخصص : ١٤٩/٨ وتاج العروس : ٣٦/١٠

(٢) الصيد والطرد عند العرب : ٤٥

(٣) المصايد والمطارد : ٥٩

وابن سيده استعمل الكُرَّز في البازي مطلقاً [1] . أما الراجز المشهورُ رؤبةُ فاستعمله في إحدى أراجيزه في البازي الذي شُدّ لئلا يطير حتى يسقط ريشه [2] ، وكنية البــازي أبو الأشعث ، وأبو البهلول ، وأبو لاحــق [3] ، وفرخ البازي يدعى غِطريفا [4] .

وقد ميزه ابن سيده من الصقر بأنه « الأزرق الأحوي ، والأرقط القصير الجناحين الغليظ » [5] .

الحكماء والملوك يصفون البازي :

ووصف الحكماءُ والملوكُ البزاةَ وأغربوا في الوصف وأطنبوا في المــدح ، فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاعٌ مَريدٌ ، وقال كسرى أنو شروان: البازي رقيق يحس الإشارة ولا يُفَوِّتُ الفرص إذا أمكنت .

وقال قيصر : البازي ملكٌ كريم إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك [6] . وقد وصفه ابن خفاجة فقال : هو طائر يستدلُّ بظاهر صفاته على كرم ذاتــه ، طوراً ينظر نظر الخيلاء في عطفه ، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه ، وقد أقيم له سابغُ الذُّنابى والجناح ، كفيلين في مطالبه بالنجاح .

وهو جيد العين والأثر ، حديد السمع والبصر ، وقد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك ، مورَّدُ المخلب والمنقار ، كأنمــــا اختضب بحناء أو كرع في عقار » [7] .

---

(1) المخصص : ٨/١٤٩

(2) المصايد والمطارد : ٥٩ والمعاني الكبير : ٢٩٠

(3) الصيد والطرد عند العرب : ٤٤

(4) الصيد والطرد عند العرب : ٤٦ ودائرة معارف البستاني : ٥/٩٩

(5) المخصص : ٨/١٤٩

(6) مروج الذهب : ١٦ وما بعدها

(7) نهاية الأرب : ١٠/١٩٠

صفات الجيد من البزاة :

ويُحمد في البازي أن يكون صغير الرأس ، غليظ العنق طويلها ، واسع العينين ودائرتي الأذنين ، والحوصلاء ، قصير الخوافي والذنب ، عريض ما بين المنكبين والزور ، أهرت [١] الشِّدْقين ، مكتنز الفخذين ، ضامر الساقين ، سبط الكفين ، ضخم السُّلاح [٢] ، رزين الحمل ، كثير الأكل ، متتابع النهش ، سريع الاستمراء [٣] ، شديد الانتفاض ، إذا استقبلتَه على يد حامله رأيته وكأنه مُقنَعٍ [٤] .

وقال النويري : إن « صفة الجيد منه المحمودِ في خَلْقِهِ أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادَّهمـا ، وأن تكون عيناه مقبلتين على مِنسَره [٥] وحجاجاهما [٦] مُطِلَّتين عليهما ولا يكون وضعهما في جنبي رأسه كوضع عيني الحمام ، والأزرقُ منه دون الأحمر العين ، والأصفر دونهما » .

ومن صفاته المحمودة أيضاً أن تكون « أشاجع [٧] كفيه عارية ، وأصابعه متفرقـة لا مجتمعة مثل كف الغراب ، وأن يكون مخلبه أسود وأن يكون طويل المِنسَر دقيقه » [٨] .

أمـا صاحب الصيد والطرد عند العرب فيرى أن « أحسن أنواع البازي ما قلَّ ريشُه واحمرت عيناه مع حـدة فيهما ، ودونه الأزرق العينين الأحمر اللون ، والأصفر دونهما ، ثم إن ما صَلُب لحمه ، وطال ذنبه وقصُر جناحه ،

---

(١) أهرت الشدقين : واسع الشدقين

(٢) السلاح بالضم : خرء الطائر

(٣) سريع الاستمراء : سريع الهضم

(٤) انظر المصايد والمطارد : ٥٤

(٥) المنسر : المنقار

(٦) الحجاجان : مثنى حجاج وهو العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

(٧) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بالكفين أو هي عروق ظاهر الكف ، ومفرده إشجع .

(٨) نهاية الأرب : ١٠/١٨٧ وما بعدها

وصفُر رأسه، واصفرت عينه، واستدار كفه فقد حاز الحسنَ والشجاعة[1].

وصفوة القول في فراهة البازي هو أن أعظمَ البُزاة أجمعُها خَلْقاً وأثقلها وزناً وأكثرها طعاماً وأسرعها استمراءً وأوسعها حدقة وألينها وأقلها ريشاً، وأعظمها مِنسرا، وأشدها تشميراً وأوثقها سلاحاً وأشدها انتفاضاً.

اختبار جرأة البازي على الصيد :

وإذا أريـــد اختبار جرأة البازي وُضعَ في بيت مضيءٍ ثم يُقطع عنه الضياء فجأة، فإذا أظلم البيتُ دنوتَ منه ولمسته مسرعاً، فإن وثب على يـــدك وقبض عليها فهو جريء يصيد عظام الطير، وإن انكمش وتقبّض وسكن فليس بجريء.

اختبار قُوّة البازي :

وإذا أُريـد اختبار مدى قُوَّته شُدَّ في زاوية البيت بالقرب من الحائط حيث كان يُشدُّ باز آخر قبله، وتُرك ليلته هناك ثم يُدْخلُ عليه من الغد ويُنظرُ إلى ما رمى على الحائط من ذَرْقه، فإن كان موقعُه أبعدَ من موقع ذرق الأول كان أقوى منه، ويُقدَّرُ تفوقه عليه بالقوة بحسب بعد ذَرْقه، فما كان منهما أقوى ذرقاً فهو أسرع طيراناً، وما كان أسرع طيراناً فهو أصيد.

وعلى الجملة فإن صيد البازي « يكون على قدر خُرْته وبعدُ سلاحه[2] وإذا رأيت البازي مُشرفَ الحاجبين، شديـــدَ بياضهما، كثيرَ الريش، مسترخيَ اللحم عظيمَ الهامة، ملتفّ ريش العنق، قصيرَ القوادم والفخذين، طويلَ الساقين جامدَ الكفين أصفرهما فهو فروقةٌ جبان »[3].

« وأفخر ألوان البازي الأبيضُ ثم الأشهبُ، وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم.

---

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٤٦

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٥ وما بعدها

(٣) انظر المصايد والمطارد : ٥٦

وأما الأسودُ الظهر المُنقَّشُ الصدر بالبياض والسواد فهو الشديدالصلب، وإن اتفق له أن يجمع مع ذلك حمرة العينين بلغ الغاية، وهذا اللون في البزاة كالكُمَيْتِ في الخيل، والأحمرُ من البزاة أخبثها [١] .

وقيل : إن المختار من ألوانه الأحمرُ، والأكثرُ سواداً، والغليظ خطوط الصدر، والأشهب الشديدُ الشُّهبة الشبيه بالأبيض، والأصفر المدبَّج الظهر، ولا تُغتفر صفرة الساق والأكفُ» [٢] .

خصائص البازي :

وللبازي خصائص ينفرد بها عن غيره من الجوارح ويتميز بها عما سواه .

من ذلك سرعة كَسْرِهِ [٣] وانقضاضه حتى قيل : إنَّه أسرعُ من السهم وقد ضُرِب المثل بسرعة خطفته .

فقال بعض الأمويين لمعاوية رضي الله عنه لما دعاه عليٌّ كرم الله وجهه إلى المبارزة بصفين :

ما لِلمُلوكِ وللبراز ؟ وإنما حَظُّ المبارِز خطْفةٌ من باز [٤]

ومن خواصِّه أنه لا يكون إلا منفرداً غيرَ مشاكل للطيور المتآلفة مع أنواعها وكذلك كُلّ ذي مِخْلب منالطير لا يتصرف فيمعاشه إلا مُتوحِّداً .

والباز من الجوارح الوفية لأهلها، وقد رُويت في ذلك أخبار كثيرة وضُربت به الأمثال .

والبازي طائر ذكي الفؤاد، إذا أدبته فأحسنت تأديبه عرف مهمته ولم يتجاوز حدوده، فقد روى أسامةُ بن منقذ أنه كان عند والده باز أثير لديه، وكان في منزلهم حمام وطيور ماء خُضر، وكان والده يدخل إلى المنزل

---

(١) نهاية الأرب : ١٨٧/١٠

(٢) المصايد والمطارد : ٥٥

(٣) يقال كسر الطائر : أي ضم جناحيه يريد الوقوع والانقضاض

(٤) المصايد والمطارد : ٥٠

والبازي على يده فيجلس على أريكة في الدار ويجلس البازي على قفّاز بجانبه، وكانت تغدو الحمائم وطيور المـــاء أمامه وتروح فـلا يلتفت إليها ولا يثب عليها ، ولا كأنها مما جرت عادته أن يصيدها مع أنه كان من أفره البزاة وأشدها ضراوة على الصيد [1] .

« وفي جناح البازي من الريش عشرون : أربع قوادم، وأربع مناكب، وأربع أباهر ، وأربع كُلىّ وأربع خوافٍ والخوافي أخف من القوادم [2].

ومن شأن البازي أن يأوي إلى الأماكن التي يكثر فيها الشجر الباسق والظل الظليل ، والمـــاء النمير ، وهو لا يتخذ وكراً إلا في شجرة كثيرة الشوك ، وإذا أوشك أن يفرخ بنى لنفسه بيتاً وسقّفه تسقيفاً جيداً يقيه من المطر ويدفع عنه وهج الحر [3] .

كيف يصاد البازي :

وطريقة صيد البزاة أن « يتخذ الصياد لنفسه بيتـاً يبنيه بحجارة ويجعله على قدر شخصه ويغطيه بعيدان ويسترها بقش وعشب ويجعل للبيت نافـذة في سقفه ويأخذ طير حمـام ويجمع رجليه على قضيب ويشدهما إليه بخيط أو نحوه ، ويخرجه من تلك النافذة ويدأب على تحريك العود فيتحرك طير الحمام لحركته ويفتح أجنحته فيراه البازي فينقضّ عليه ليأخذه ويعلق بـــه فإذا أحسّ به الصياد جذب القضيب من النافذة إلى داخل الحجرة ومد يده وقبض على رجلي البازي وهو قابض على طير الحمام وأنزله إليه وخاط عينيه [4] .

---

(١) انظر الاعتبار : ٢٠٤

(٢) المصايد والمطارد : ٥٣

(٣) نهاية الأرب : ١٠/١٨٧ وما بعدها ، وعجائب المخلوقات : ٣٠٤

(٤) الاعتبار : ٢٠٠

تعليم البازي وتضريته على الصيد

الصيد طبيعة في البازي لأنــه يؤخذ من وكره فرخاً من غير أن يكون قد صاد مع أبويه فيصيد ابتداءً وقريحةً بلا تضربةٍ بخلاف الصقر فإنه إذا أُخِذ قبل أن يصيد مع أبويه لم ينجُب ولم يصد .

لذا كان تعليمه الصيدَ أيسرَ من تعليم غـيره من الجوارح ، وتعليم البُزاة وهي صغيرة مأخوذة من العش أسهل من تعليمها بعد أن تكبر وتترك العش، فإذا وقع البازي في يد الصيّاد كان عليه أن يخيط عينيه وأن يبادر به إلى البازيار [1] .

وعلى البازيار عند ذلـك أن يقيّد رجليه ، وأن يغل جناحيه وأن يحمله على يده في البيت خلال ستة أيام إلى أن يتعود تناول طعامه منه فإذا تمّ له ذلك كان عليه أن يذهب به إلى السوق عند العِشاء — حيث يكون الظلام مخيّماً — وهناك يفتح عينيه ويقعد بــه ويطيل القعود إلى أن يمضي من الليل ثلاث ساعات أو نحوها ليسمع وقــع الأقدام وجلَبَة الناس ، ثم يرده إلى البيت فإذا كان الفجر الأول عاد به إلى السوق وحمله على يديــه عند العشاء وفتح عينيه وجعله على يده ولم ينزله عنها وقعد بـــه ست ساعات بدلاً من ثلاث ، فإذا كان أذان الفجر الأول حمله على يده إلى أن يصبح .

(١) صبح الأعشى : ٢/٥٦



البازيُّ جــارح ذكي الفؤادِ مرهفُ الحس شديد الأنفة يأبَى الإهانــة ،
وهو إلى ذلك قوي البأس ، سريـع الإفتراس تخافـه جميـع الطيور التي تماثله
في الجسم

وعلى البازيار أن يحاذر من أن تتراءى للبازي الوجوه قبل أن يأنس ، فهو إذا رآها اضطرب على يده وعراه القلق والخوف ، ثم يمضي البازيار في تضريته على الصيد ، وذلك بأن يأخذ شقة من حمام ويطعمه منها ، فإذا تم اعتياده على تناول الطعام منه أحضر له حمامة وشدّها بخيط ورماها له فإذا أخذها ذبحها البازيار عند كف البازي وأطعمه منها ما شاء أن يأكل ، فإذا اعتاد ذلك أركبه معه على دابّة وغدا به إلى الفلاة ومعه رفيق له راكب دابة أيضاً ومعه حمامة مشدودة بخيط فاذا صارا إلى الفلاة شدّ البازيارُ البازي بخيط وأمسك طرفه بيده وجعل البازي بعيداً عنه بعض الشيء ، ثم دعاه إليه فاذا استجاب له وجاءه ذبح الحمامة عند كفه وأشبعه منها وهو في مكانه ، فاذا كرّر البازيار ذلك ثلاثة أيام وجاءه البازي في كل مرّة مستجيباً لدعائه ألقى إليه الحمامة في اليوم الرابع فإذا بادر إليها وأخذها ذبحها عند كفه وشقّ منها شقة ثم يركب الدابة ويناديه بها مرّة أو مرّتين فاذا جاءه أشبعه منها ، ثم يفعل ذلك مراراً حتى إذا صار يلبي دعاءه ويستجيب له من غير تأخير جرّده من قيوده ودعاه إليه فإذا جاءه أشبعه .

فاذا ألف ذلك واعتاده وغدا يجيبه كلما دعاه ، سواء أكان قريباً أم بعيداً جاثماً على الأرض أم واقفاً على نشزٍ أو جدار أو نخيل ، فعليه أن يخطو في تعليمه خطوة جديدة ، وذلك بأن يعوّده الركوب في السحر وأن يغدو به بين الناس ذاهباً آيباً، فاذا هدأ عند سماع الأصوات واستأنس برؤية الناس كان ذلك دلالة على كمال تعلّمه .

فإذا أراد أن يضرّيه على صيد طير الماء عمد إلى طائر من «البلق» وشدّه بخيط ووضعه في حقيبة وخرج بالبازي إلى الصحراء وهناك يطلقه أمام البازي ويشدّه ليتحرّك فإذا رآه وأخذه تركه حتى يهم بنتفه بنفسه فإذا باشر ذلك أخذه منه وستره عنه، فإذا جعل يبحث عنه ويجدّ في طلبه رماه له فإذا أخذه ذبحه البازيار عند كف البازي وتركه يتلذذ بنتفه ، فإذا فرغ

من ذلك ، شقّ عن جوفه وأخرج له قلبه وأعطاه معه من لحم الحمام ما يكفيه .

فإذا كان غدُ ذلك اليوم خرج به كرّة أخرى ومعه طير ماء ، وأراه إياه فإذا عاينه في يده أمسك به من جناحيه ورماه في الجو فإذا بادر إليه البازي وأخذه فعل به ما فعله في الأمس .

فإذا كان غدُ ذلك اليوم خرج به إلى الفلاة – ومعه طبل – واستتر عنه في مكان وأعطى رجلاً من أعوانه طير ماءٍ وجعله مستتراً عنه أيضاً، وجعل العلامة بينه وبين صاحبه أن يطلق الطير إذا هو سمع فاذا هبّ البازي لِصَيدِهِ نقر البازيار في إثره بالطبل ليعتاد سماعه، فاذا أخذ الطير أشبعه منه. فإذا اعتاد ذلك وأتقنه خرج به إلى الفلاة وتوخى مكاناً فيه ساقيةُ ماء هادئة وأرسله على طير الماء الواقع عليها فإنه يصيده .

فإذا صاد أشبعه ، وإن أخطأ رمى طيراً في كفه وذبحه عند رجليه وأشبعه منه فإن ذلك يجعله يصيد في غده ، فإذا صاد وشبع خمس شبعات أو أكثر فإنه يبدأ بالكبار من الطير كالحبارى والإوز وغيرها ، ويجرؤ على الكبار من الأرانب أيضاً .

وإذا كان البازيار في مِنطقة يكثر فيها طيرُ اليابسة فالأفضلُ ألا يرسله على طير الماء ، ذلك لأن طير الماء يفسده ولا يلجأ الصيادون إلى استعماله فيه إلا إذا كانوا لا يجدون سواه [1] .

ويحسن أن يُضَرّى البازي على الطائر الأكبر والحيوان الأعظم حتى إذا أُرسِلَ بعد ذلك على الصغير الهَيِّنِ اجترأ عليه ، أما إذا ضُرّي على الصغير الهيّن ثم حُمِلَ على ما هو أعظم منه فربما أحجم عن منازلته وارتد عنه وخاصةً إذا أصابته منه آفة أو عراه بسببه عَنَتٌ أو تعب [2] .

---

(١) انظر البيزرة : ٦٦ ، ٦٧

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٧

والأفضل عند تضرية الصغير من البزاة أن يُرْسلَ بالعشيات في أول أمره ، لأن البازي يتجنّب التحليق في العشيات ويعمد إلى الإسفاف في طيرانه والاقتراب من الأرض .

وفي تعويده على الإسفاف فائدة كبرى ذلك بأن كثيراً من الطرائد تحتال عليه باللجوء إلى الأرض واقتحام بعض الأماكن الضيقة التي تَعِزُّ عليه لأنها تعلم أنه لا قِبَلَ لها به إذا طاردها في الجو ولا قِبَلَ له بها إذا لجأت إلى بعض مخابىء الأرض واستترت عن عينيه ، ومن هنا حَسُنَ أن يُتَوخى في تضريته وتعليمه كثرةُ وقوعه على الأرض وإسفافه [1] عليها حتى يتتبع طرائده ويُبْطِل حِيَلها عليه [2] .

وحدُّ تعليم البازي شرعاً أن يجيبك إذا دعوته ولا يشترط فيه أن يترك الأكل من طريدته .

ومن شأن البازي المعلّم أن يزج بنفسه صاعداً وهابطاً وأن ينقلب على بطنه حتى يلتقف فريسته .

ومن عادته إذا أخطأ صيدَه وفاته ، وكان في فلاة لا شجرَ فيها أن يُوَلّيَ ممعناً حتى يجد كهفاً أو جداراً يأوي إليه ؛ ولهذا يُعلّقُ عليه جرَسٌ ليدل على مكانه إذا خفي عن العيون [3] .

والبازي يصيد ما بين العصفور والكركي [4] وهو لا يقتصر على صيد الطير وإنما يصطاد الحيوانات الصغيرة كالأرانب وأمثالها [5] .

---

(١) الإسفاف الطيران الذي يقرب فيه الطائر من الأرض ، وقد قال عبد الله بن عباس : والله لو وجهني أمير المؤمنين حكماً مع عمرو بن العاص لقعدت في مدارج أنفاسه، أسف إذا طار وأطير إذا أسف .

(٢) انظر المصايد والمطارد : ٥٧

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) نهاية الأرب : ١٨٧/١٠

(٥) نهاية الأرب : ١٩٧/١٠

قرنصة البازي

تطلق القَرْنَصَة في اللغة على عدة معان منها: اقتناء البازي للاصطياد به، تقول قرنصتُ هذا البازي أي اقتنيته، ومنها ربطُ البازي ليسقط ريشُه، فهو مُقَرْنَص والقرنَسَة بالسين كالقرنصة بالصاد، أما علماء البيزرة فيريدون بالقرنصة إراحة الجارح مُـدّة معلومة من الزمن يتساقط خلالها – غالباً – ريشُه وينبتُ له ريشٌ جديد .

وهي لا تكون إلا للبزاة، ووقتها من دخول أيار وهو اليوم الحـادي والعشرون من الثور ومدتها مائة يوم تقريباً .

فـإذا أردت قرنصة البازي فأتْعِبْه قبلَ ذلـك في الصيد أياماً كثيرة إتعاباً وافياً إلى أن تراه قـد ألقى ثلاث ريشات من كل جناح أو أربعاً، ثم أعمد إلى بيت واسعٍ باردٍ نظيفٍ مصونٍ من الغبار والدخان والهوام ولا سيما قمْلِ الدجاج وافرشه بالخِلاف والسوسن والآس والريحان ومـا إلى ذلك من الخضرة، وإن كان فيه مـاءٌ جارٍ فهو أجود وإلا فبدّلِ الماء والخضرة كلّ ثلاثة أيام مرّة ثم أعمد إلى خشبة ملساء مستوية طولها خمسة أشبار وثبّتْ أحد طرفيها في الجدار مما يلي صدر البيت وفي زاوية من زواياه وتوثق منها، وليكن ارتفاعها عن الأرض أقل من ذراع ولا تجعل الخشبة غليظة فتنبسط كفا البازي لدى وقوفه عليها ولا دقيقة فلا يمكنه الثبات عليها، وإنما اجعلها

متوسطة بحيث يجمع كفيه عليها واجعل له تحت الخشبة رملاً حتى لا يتألم وتُؤْذَى مخالبُه إذا ما اضطرب ووقع على الأرض الصلبة ، واطرح له في الرمل شيئاً من الشعير فهو لا يلبث أن ينبت سريعاً في ذلك المكان النديّ ، فإنّ البازي يُسرُّ ببردِه ويستريح في النوم عليه ، ويَنشطُ لرؤية الخضرة .

وأسكِن البازي في ذلك البيت واجعل مجثمه فوق الخشبة ، واجعل عن يمينه إناءً واسعاً من خزف لطيف السمك وضع فيه ماءً وغيِّره في كل يوم ليغتسل فيه ويشرب منه ، وتوخَّ أن يكون وحده في المكان وألا يكون بيتُه ممرّاً للسكان أو قريباً من ممرّهم لأنه لا يُؤمَن عليه إن سمع ما يزعجه من أن يضرب بنفسه الحائط فيهلك ثم هو إذا أُكثِرَ من المرور به شُغِلَ بذلك عن إلقاء ريشه وتأخر خروجه من القرنصة .

ومن الخير للبازي أن يُترَكَ ليلقي ريشه بنفسه فذلك أصلح له وأسلم . أما إذا أردت أن تختصر مدة قرنصته فاعمد إلى نتف ريشه بنفسك وأبدأ بريش ذنبه ؛ وذلك بأن تضع يدك في أصل الذنب وأن تقلع ريشه قلعاً رفيقاً لئلا تزعجه وتوجع ظهره وانتف نَبْقَه وهو ما حول زمكاته [1] من الداخل ليخرج ريشه بخروج ريش الذنب .

ويَحسُنُ ألا تبدأ بذلك حتى تريحه أياماً وتسمّنه بعض السمن ولا تكثرنّ من الطعام على البازي في بداية قرنصته رغبةً في تسمينه فإنه يسمن بالطعام المعتدل أكثر مما يسمن بالكثير من الطعام .

ولا تحرص على إسمانه حتى ترى ريش ذنبه قد طلع لأنه إذا سمن قبل طلوع ريشه لم يؤمن أن يسدّ الشحم مطالع الريش ؛ فلا تخرج الريشة بعد ذلك إلا بعلاج .

وعلاجه أن تصنع من خشب الداذين [2] أوتاداً على قدر أنابيب الريش

---

(١) الزمكى بكسر الزاي وسكون الميم وفتح الكاف : منبت ذنب الطائر

(٢) يستفاد من تاج العروس أن الداذين مناور تصنع من خشب الأرز للاستصباح .

وتغمس هذه الأوتاد في دهن البيض الطريّ وأن تقبض على البازي من خلفه حتى تأمن عليه من الاضطراب ولْيكُنْ معك مِنقاش ثم فتّش عن الريشة التي غطاها الشحم فاقلعها واجعل موضعها وتِداً من تلك الأوتاد فانها تنبت، واجعل طعامه في أثناء قرنصته خاليف الحمام السمان النواهض التي طارت، ولا تطعمه الفراخ التي لم تطر فانها تثقله إذا أكلها ولا يسيغها بسرعة وأطعمه البط السمان والقنابر والعصافير الطرية البَقْلية وما أشبه ذلك، ولا تداوم على طعام واحد مما ذكرناه بل غَيّرْ عليه هذه اللحوم فهو أصلح له من أن تداوم به على لحم واحد، ولا تطعمه لحماً بارداً وأنت تقدر على إطعامه اللحم الحار.

وإذا رأيت بازك قد ألقى بعض ريشه الصغار وطلع شيءٌ من ذنبه فتَعَهّدْه بالأدهان واجعل في طعامه دهن الخروع أو دهن القنب بين الحين والحين فإنها مع دسومتها شديدة الحرارة وإذا أكل منها ألقى ريشه، وليكن ذلك بقدر .

فاذا تمّ نبات ريش ذنبه وجناحيه وأردت مزاولةَ الصيد به فاعمل على إذابة شحمه وانقاصه قبل ذلك بأيام [1] .

---

(١) انظر في قرنصة البازي البيزرة : ٧٥ وما بعدها ، والصيد والطرد عند العرب : ٦٨

آداب معاملة البازي

رسم علماء البيزرة لسياسة البازي حدوداً تعارفوا عليها وسنّوا لحسن القيام عليه آداباً ، والتزموا بها ، وذلك لما يتمتع به هذا الجارح من مزاج لطيف ، ولما له من منزلةٍ في نفوس هواة الصيد ومكانة عند المولعين به .

فاشترطوا في حامل البازي أن يكونَ نظيفَ الثوبِ ، طيب الرائحةِ ، كريم الشمائل عالماً بشؤون البازي وأحواله .

وحذروا من أن يحمله الأبخر لأن الرائحة الكريهة تكسر شهوته إلى الصيد وتجعله ينفر من حامله .

فإذا حمله الأبخر أياماً ثلاثة عرفه واشمأزّ منه وجعل يهرب من وجهه كلما أقبل عليه .

وإذا حمله طيب الرائحة ارتاح إليه وأنس به واشتدّ إلفُه له حتى إنّه ليلصق جسده بجسده ويجلس مطمئناً فوق يده ، أو يجثم مرتاحاً فوق رأسه [1] .

وقد سَنّ علماء البيزرة لإمساكه آداباً تختلف عن إمساك الجوارح فذهب جمهورهم إلى أنه يجب أن يُحمَل على اليد اليسرى .

---

(١) انظر أنس الملا : ١٢٠ — ١٢١

وذهب بعضهم إلى أن امساك البازي باليمنى أمكَنُ في الحمل وأدنى إلى إصابة الهدف وأدعى إلى الوقوع على الطريدة .

وسواء أحمل البازي على يسرى الرجل أم يمناه فإنّ على حامله ألا يغفل عنه في أيّ حال من أحواله وألا يحطّ يده إلى الأرض ليأخذ منها شيئاً .

وقد كانت ملوك فارس تحمله على اليسرى وكان الآيين في ذلك أن يأتي البازيار والجارحُ على يساره فيعارض الملكَ ورأسُ كلّ واحد منهما إلى كفل الآخر فيحوله من يساره إلى يسار الملك ، وأخذ العرب بهذا المذهب في حمل الجوارح وجَرَوْا عليه [1] .

والبازي جارح مرهف الحس يؤذيه كلُّ مـــا يؤذي أصحاب الأمزجة اللطيفة لذا حذروا حامله من أن يأكل ثوماً أو بصلاً أو أيّ طعام آخر تتغير له رائحة الفم فان ذلك يجعله بَرِماً بصاحبه ويحمله على تحويل وجهه عنه، وهو طائر كريم النفس حَمِيُّ الأنف يأبى الإهانة لذلك حذروا مؤدبه من أن يصيح في وجهه أو ينهره فإن ذلك يقضي على مـــا بينهما من حسن الصلة ويفضي إلى زوال الألفة .

والبازي طائر يحفظ الجميل لذلك دعوا سائسه إلى مداراته والرفق به عند حمله ، وأن يتعهّده في غير أوقات طعامه باللقمة الصغيرة .

وحضّوه على أن يلقّمه من فمه ليألف ذلك منه وليتعلّق بفيه وليلتفت إليه عند ندائه ، وليستجيب إلى دعوته إذا دعاه [2] .

ومن حسن سياسة البازي أن يُجوَّع في الليل حتى يصطاد في النهار فإذا صاد ما يجب أن يصيده أطعِم وأُشبِع وأريح حتى يُؤتى بغيره من البُزاة وهكذا .

---

(١) انظر أنس الملا : ١٢٢ والمصايد : ٦١

(٢) انظر البيزرة : ٧٨ ، ٧٩

البَـــاشِـق



الباشق من أخفّ الجوارح طيراناً وأسرعها نهوضاً ، وهو يشارك البازي في حِدّة المزاج وقوّة النفس ويصيد ما يصيده البازي .



والبـازي طائر يرتاح إلى السباحة وينشَط على الاستحمام ويرغب فيهما ، وهو يشير إلى رغبته هذه بِخَضْخَضَةِ منْسَره في الماء ، فـإذا فعل ذلك قُدِّمتْ له جفنة كبيرة فيها ماء فإنه يطير إليها ويسقط فيها ويرف بجناحيه في الماء حتى ينالَ بغيته من السباحة ، وعند ذلـك يُمَدُّ له قفاز من الخشب يقف عليه ويُدْنَى منه منقل نار ليستدفىء به إن كان الجَوُّ بارداً، فيتمشّق حتى يتساقط الماء عن ريشه وينشف جسده ، ثم يُبْسَط له فرو مَطْوِيٌّ لينزل إليه وينام عليه [1] .

أنواع البزاة :

البزاة خمسة أنواع هي : البـــازي ، والباشق ، والبيدق ، والزُّرّق ، والقيمي [2] أمـا البازي – الذي هو رأس هذه الفصيلة من الجوارح – فقد وفينا الحديثَ عنه فيما سلف ، وأما الأنواع الأربعة الأخرى فنسوق الكلام عليها فيما يلي :

(أ) الباشق :

اتفق كشاجم في كتابه المصايد والمطارد [3] والدميري في كتابـه حياة الحيوان [4] والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى [5] والنويريّ في كتابه نهاية الأرب [6] على أن الباشق صنفٌ من أصناف البزاة ، وشاركهم في قولهم هذا صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب[7] بينما جعله صاحب البيزرة جارحاً مستقلاً بنفسه وقدَّمه على سائر الجوارح بمـا فيها البازي مخالفاً بذلك جميع

---

(١) الاعتبار : ٢٠٤
(٢) هذا تقسيم صاحب المصايد والمطارد
(٣) المصايد والمطارد : ٧٣
(٤) حياة الحيوان : ١٠٩/١
(٥) صبح الأعشى : ٥٨/٢
(٦) نهاية الأرب : ١٩١/١٠
(٧) الصيد والطرد عند العرب : ٤٥

مؤلفي كتب البيزرة الذين لا يقدمون على البازي جارحـاً من الجوارح [١] ،
والباشق لفظ أعجمي معرب [٢] .

ويمتاز الباشق من البازي بأنـــه أصغرُ منه حجماً وأقل وزناً ، فوزن البازي قريبٌ من ثلاثــة أرطال ونصف الرطل بينما لا يزيد وزن الباشق على مائــة وثلاثين درهماً وهو ألطف من البازي وأقرب إلى الألفة ، وهو أخف الجوارح طيراناً وأسرعها نهوضاً وأصغرها جثة بيد أنه طائرٌ قلق يأنس حيناً ويستوحش حيناً آخر .

وهو يشارك البازي في حدة المزاج وقوة النفس[٣]، والباشق طائر حسن الصورة [٤] خفيف المحمل حلوُ الشمائل يليق بالملوك[٥] وهو من درجة البازي حيث يَصيد أفخر ما يَصيدُه البازي من الدرّاج والحمام والورشان [٦] .

والباشق الذي يُؤخَـذ من وكرِه يـدعى الغِطْرَاف [٧] وإناث الباشق تُسمى الفُوَيسِقَة ، وقيل : إن الفويسقه صِغارُه لا أنثاه [٨] .

والعامة في مصر والشام تطلق على الباشق اسم « الساف » [٩] .

وقد وصفه أحد الأندلسيين فقال : كأنما اكتحل بلهب، وانتعل بذهب، من سيوفه منقارُه ، ومن رماحه أظفارُه [١٠] .

---

(١) البيزرة : ٥٠ .
(٢) لسان العرب : ١١/٣٠٢
(٣) عجائب المخلوقات : ٣٥٤ والصيد والطرد عند العرب : ٤٨
(٤) عجائب المخلوقات : ٣٥٤
(٥) نهاية الأرب : ١٠/١٩٣
(٦) الصيد والطرد عند العرب : ٤٨
(٧) المصايد والمطارد : ٧٧
(٨) الصيد والطرد عند العرب : ٤٨
(٩) المصايد والمطارد : ٧٥
(١٠) نهاية الأرب : ١٠/١٩٣

ويُحمد في الباشق أن يكون صغيراً في جرمه ثقيلاً في وزنه طويل الساقين قصيرَ الفخذين [١] . وهو ذو ألوان متعددة ، فمنه الأحمر والأخضر والأصفر والإسْبَهْرَج . الذي يشبه لون البزاة ، فما كان أحمر الجسم أسود الظهر فهو صبور على الكَدّ ، أما الأحمر الظهر والبطن فهو رِخو قليل الجلد [٢] .

ووزن الباشق يتراوح بين خمسة وتسعين درهماً ومائة وثلاثين ، وقلما يكون الكبير منه فارهاً وإنما الفاره الأوسط [٣] ، وأجود أصناف الباشق ما أُخِذَ فرخاً قبلَ أنْ يلقي شيئاً من ريشه [٤] .

ويُضَرّى الباشق على الصيد كما يضرى البازي ويُقَرْنَص كما يقرنص مع اختلاف يسير [٥] .

(ب) الزُرّق :

الزرق بضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة صنف من البزاة ، ويجمع على زراريق وزَرَارِقة [٦] وهو بين البازي والباشق [٧] أسود الظهر أبيضُ البطن أحمرُ العينين أصفر الرجلين إلا أن مزاجه أحر من مزاج البازي ، لذلك كان أشدّ جناحاً وأسرع طيراناً وأقوى إقداماً وهناك من يرى أن الزرق ليس صنفاً من البازي فحسب ، وإنما هو ذكرُ البازي لأن البازي عنده لا يكون إلا أنثى وذكره الزرق [٨] .

والزرق خَتّال خبيث ، ذلك أنّه إذا أُرْسِلَ على طائر ابتعد عنه ،

---

(١) حياة الحيوان : ١٠٩/١

(٢) المصايد والمطارد : ٤٩

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) نهاية الأرب : ١٩٣/١٠

(٥) انظر البيزرة : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٩

(٦) انظر الحيوان : ١٨٢/٣ ، ٢٢٩/٤

(٧) انظر الدميري : ٥/٢

(٨) انظر المصايد والمطارد : ٥٥

وَحلَّق في غير مَطَارِه ، ثم عطف عليه من حيث لا يحتسب وانقضّ عليه وأظهر له الشدة بعد اللين [1] .

وخير ألوان الزرق ما كان أسود الظهر أبيض الصدر أحمر العين. وأفرَه أنواعه ما كان أعدل خَلْقاً ، وأقل ريشاً وأثقل محملا ، وأملأ فخذاً ، وأرحب شدقاً وأوسع عيناً وأصفى حدقة وأصغر رأساً وأطول عنقاً وأقصر خافية وأشدّ لحماً ، وأن يكون إلى ذلك أخضرَ الرجلين وسيع المخالف مُتَمَرّياً من اللحم [2] .

و « الزرق طائر يقبل التأديب [3] ، وهو يُساس كما يساس البازي ويُضَرّى مثلَ تضريته فهو صنفٌ منه طبعُه كطبعه ، وصيدُه كصيده ، وتأديبُه كتأديبه ، وداؤه كدائه ، وعلاجُه علاجه ، ولا فرق بينهما إلا أن البازي أضخم جثة وأقدر على الصيد [4] .

ويصيد الزرق ما يصيده البازي إلا الكركي [5] وهو على الرغم من ختله وخبثه ربما عجز عن صيد الحبارى، وعلى الجملة فالزرق جارح أثير لدى هواة الصيد و « معدود في جملة جوارح الملوك » [6] .

(ج) البيدق :

البَيْدَق بالدال المعجمة أو المهملة صنف من البزاة لا يصيد غير العصافير، وهو قليل الغناء ، وقلما وُجِدَ في نوعه ما هو فارِهٌ كريم ، وهو قريب الطبع من العَفْصِيّ.

---

(١) نهاية الأرب : ١٠/١٩١

(٢) انظر المصدر السابق

(٣) الحيوان : ٤/٤٧

(٤) المصايد والمطارد : ٥٥

(٥) المصدر السابق

(٦) الحيوان : ٦/٣٧٣و٤٨٧

والمفصي – كما نعته الدميري – أصغر الجوارح نفساً ، وأضعفها حيلة وأشدّها ذعراً وأيبسها مِزاجاً يصيد العصفور في بعض الأحايين وربما نجا منه ، وهو يشبه الباشق في الشكل إلا أنه أصغر منه [(١)] .

(د) القيمِيُّ :

لم يتعرّض أحد من أصحاب كتب البيزرة والحيوان لهذا الجارح سوى كشاجم في كتابه المصايد والمطارد ، وكل ما قاله فيه : إنه « باز قضيف [(٢)] ذاهلُ النفس» كما أنه لم يورد فيه شيئاً من الشعر كما فعل في الجوارح الأخرى [(٣)] .

٢ – الشاهين :

الشاهين هو النوع الثاني من أنواع الجوارح وجمعه شواهين وشياهين ، وقد تكلمت به العرب قديماً وليس بعربيٍّ [(٤)] .

ويدعوه العرب بِمُلاعِبِ ظِلّه وهو طائر يَسْتَحُّ كذا مَرّة وكذا مرة كأنه ينصبُّ على طائر ، وهو أكدر أبغث ، والبُغْثَة شُكْلَةٌ كلون الرماد. وقال بعضهم في وصفه : إنه أخضر الظهر أبيض البطن طويل الجناحين قصير العنق [(٥)] .

والشواهين أكبر ذوات الريش حجماً [(٦)] . وهو من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأيبس مزاجاً لذلك كانت حركته من العلو إلى السفل شديدة ، وهو ينقضُّ على صيده من غير تحويم [(٧)] .

---

(١) انظر المصايد والمطارد : ٧٧ ؛ والدميري : ١/١١٠ ونهاية الأرب : ١٠/١٩٤ ، والصيد والطرد عند العرب : ٤٨

(٢) القضيف : الدقيق النحيف والجمع قضاف وقضف

(٣) المصايد والمطارد : ٧٣

(٤) الصيد والطرد عند العرب : ٥٤

(٥) المخصص : ٨/١٥٠

(٦) البيزرة : ١٠٥

(٧) الصيد والطرد عند العرب : ٥٤

والشاهين أرق من الباشق مزاجاً ، وأقل من الصقر صبراً على الكد ، وأدنى منه فراهة [1] .

ويسمى الشاهين الحُر ، واسمه بالفارسية «شوذانة» فعُرِّب على ألفاظ شتى منها ، شُوذانِق ، وَشَوْذَق ، وشُوذْنيق ، وشِيْذنوق . وقد وردت هذه الأسماء كلها في المخصص لابن سيده بالسين بدلاً من الشين [2] .

وللشواهين أسماء تختلف باختلاف الحالة التي صيدَت فيها ، « فما صيدَ منها في أوكارها قيل لها الفطاريف الوكريّة ، وما صيد منها حين تطير قيل لها المتنقلة ، وما صيد منها بعد أن اكتملت وصادت قيل لها البَدْريّة ، وما صيد منها وقد أمطِرتْ قيل لها الممطورة ... وما صيد منها وقت الهياج قيل لها الرواجع [3] .

وتكاد تجمع كتب البيزرة وغيرها على أن أول من لعب بالشواهين وضرّاها قسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه رأى شاهيناً محلّقاً على طير ماء يصطاده فأعجبه ما رأى من فراهته ، وسرعة طيرانه ، وحسن صيده ، ذلك بأنه وجده يحلق في طيرانه حتى يلحق عنان الجو ثم يعود في طرفة عين فيضرب طير الماء فيأخذه قناصاً ، فقال : ينبغي أن يصاد هذا الطائر

---

(1) البيزرة : ١٠٤

(2) الصيد والطرد : ٥٤ والمخصص : ٨/١٥٠

(3) البيزرة : ١٠٧

ويعلّم فإن كان قابلا للتعليم ظهرت منه الأعاجيب في الصيد ، فأمر بصيده وتعليمه؛ فصيد وعُلّم وحمله على يده ثم ربضت له الشواهين بعد ذلك وعُلّمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظلله من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فإذا نزل وقعت حوله [1] .

والشواهين منها البحرية وهي التي تفرخ في ناحية البحر وتمتاز بعظمها وبياض ما اعتمّت به رؤوسها من الريش كما تمتاز بكثرة ريشها ورقة ألوانها.

ومنها ما يقال له « الكوستانيات » وهي على خلاف البحرية من حيث لطافة حجمها وحمرة ما اعتمّت به رؤوسها من الريش وقلته وغلظ ألوانها[2].

والشاهين كاسمه الذي يعني الميزان ، لأنه لا يحتمل أدنى حال من الشبع أو الجوع ، وإذا احتاجت الشواهين إلى الطعام ولم تجده فلربما قتلت نفسها ، لأنها كثيرة الغضب سريعة الحدة والنفور [3] .

وقد ذكر العلماء بالجوارح أن الشواهين أسرع الجوارح كلها وأشجعها وأحسنها تقلّباً في الجو وأجودها إقبالاً وإدباراً وراء الطريدة وأشدها ضراوة على الصيد ، إلا أنهم عابوها بالإباق ، وربما يعتريها من شدة الحرص على الطريدة ما يجعلها تضرب بأنفها على ما غلُظَ من الأرض فتموت [4] .

والشاهين إذا أبق مرّة ، وبات ليلة بعيداً عن صاحبه لم يُنتَفع به بعد ذلك ، لأنه متى اعتاد الهرب لم يُقلِع عنه أبداً ولذلك دُعي بالآبق [5] .

---

(١) انظر أنس الملا : ١١٧ والقانون في البيزرة : الورقة ٦ وما بعدها ونهاية الأرب : ٢٠٢/١٠ ومروج الذهب : ١٦٠/١ وما بعدها وصبح الأعشى : ٥٩/٢

(٢) البيزرة : ١٠٦

(٣) الصيد والطرد عند العرب : ٥٤

(٤) المصايد والمطارد : ٧٩

(٥) البيزرة : ١٠٦

صفات الجيد من الشواهين :

والمختار من الشواهين الأحمر إذا كان عظيم الهامة ، واسع العين حادها ، سائل السَّفْعَتين[1] تامّ المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلىء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب العقدة من الفقار طويل الجناحين قصير الذنب سَبْط الكف ، أحْصَرها[2] ، قليل الريش لَيِّنَه ، تام الخوافي ممتلىء العَكْوَة[3] ، يفتل ذنبه فتلاً شديداً .

وقد زعم أهل الاسكندرية أن السُّودَ منها هي المحمودة وأن السواد أصل لونها غير أنها تتلوّن بلون البرية التي تحيا فيها ويكون فيها تلميع[4] .

« والحكماء يحمدون من الشواهين ما قُرْنص[5] داجناً ويفضلونه على ما قُرْنِص وحشياً[6] ، وقيل في صفاته المحمودة أيضاً أن يكون عظيم الهامة واسع العينين رحب الصدر ممتلىء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قليل الريش رقيق الذنب حتى إذا ما أرخى جناحيه على ذنبه لم يفضُلْ منهما شيءٌ ، فإذا كان كذلك صاد الكركيّ[7] .

والشاهين يكون إسْبَهْرَج اللون ، وهو الذي يغلب عليه البياض ، ويكون أحمر وأسود ، والأسود هو البحري الخالص[8] ، والحمر تكثر في الأرياف والمواضع السهلة أما الشُّهْب فتكثر في الجبال والبرية »[9] .

---

(١) السفعة : العين

(٢) أحصرها : ضيقها

(٣) العكوة : أصل الذنب . بضم العين وكسرها

(٤) المصايد والمطارد : ٧٩ ، ٨٠

(٥) قرنص الباز وباز مقرنص : أي معد للاصطياد

(٦) المصايد والمطارد : ٧٩

(٧) الصيد والطرد : ٥٤ ، ٥٥

(٨) البيزرة : ١٠٤

(٩) المصايد والمطارد : ٨٢

الشاهين



الشاهينُ لفظ فارسيٌّ معناه « الميزان » ، وقد دُعيَ كذلك لأنـه يتأثر بأقل حال من الجوع ، وإذا جاع ولم يجد فلربما قتل نَفْسَه . وهو من أسرع الجوارح وأحسنها تقلباً في الجو ، وهو ينقضُّ على الطريدة انقضاضاً من غير تحويم .

وأوزان الشاهين تتراوح بين رطلين ونصف الرطل بالبغدادي، وبين ثلاثة أرطال ، وربما زاد على ذلك أو نقص [1] .

تدريب الشاهين على الصَّيدِ :

والشاهين من الجوارح القابلة للتأديب والتضرية [2] فإذا أردت تضريته وكنت قد صدته من الكوخ [3] ، فخِطْ عينيه ليهدأ على اليد أياماً ، ثم افتحهما وَعرِّضهما للنور فانه مثل الباشق في ذلك، واصطنع الرفق في معاملته فهو أرقّ من الزجاجة مكسراً ... فإذا أنس ؛ فادْعُهُ وهو مشدودٌ بخيط إلى حمامة فإذا جاء فأشبعه منها ثم صبحه في غده بحمامة أُخرى وادعه إليها، فاذا دنا منها فاسترها عنه ، وصِحْ في وجهه فاذا وَلَّى وأنت ممسكٌ بالخيط الذي في رجله فـلا بدّ من أن يلتفت إليك فاذا التفت فارْمِ له الحمامة فاذا أخذها فأشبعه منها .

ثم صبحه في غده وهو مقيد وخذه على يدك وأره الحمام وَخلّه من يدك، فاذا دار حولك دورتين أو ثلاثاً فارم له الحمام وأشبعه منه فاذا اعتاد ذلك فاجعل في الحقيبة طائر ماء وخذ الشاهين فارفعه وترقب سكون الجو ، فإذا سكن فأخرج الطائر من الحقيبة وأطلقه أمامه فاذا أخذه فاذبحه وأشبعه منه وأردده إلى البيت، وأشدّده على الكندرة فاذا كان بعد ثلاثةُ أيام فاخرج به إلى الغيط وخذ معك طائر ماء وابتغ له ساقيةً فيها طير الماء ، وارفعه على يدك ... فانه كلما علا كان خيراً له، وأطلقه واجتهد في أن يكون هو فوق الريح والطير تحته، أما إذا كان هو تحت الريح فلا تطلق له الطائر ، فإن صاد فأشبعه من صيده .

وإنْ أخفق وذرق فأشبعه مما معك فانه لا يلبث أن يصيد [4] .

---

(١) البيزرة : ١٠٤

(٢) الحيوان : ٤٧/٤

(٣) أشرنا إلى طريقة صيد الجارح من الكوخ عند الحديث عن طرق الصيد

(٤) البيزرة : ١٠٤

ما يصيده الشاهين :

والشاهين يصيد ما يصيده الصقر وهو فوق الأنيقي [1] ، والشاهين البري يصيد الكركي والحَبْرج [2]، والفاره من الشواهين يصيد الغزلان أيضاً ، فقد روى صاحب البيزرة أنــه مَرَّ ومن معه بقطيع غزلان فانفردت منــه شاة فأرسل عليها شاهيناً فأضلته وأضلّ الشاة فلم يزل يطوف في الصحراء بحثاً عنه إلى قبيل المغيب فرأى شيئاً عن بعد فقرُب منه فنفر بــه فرسُه فإذا بالشاهين قد وقع على الشاة وقــد قطع ذنبها وتلطخ بدمها فركض نحوهما فلما أحسّت به الشاة عدت طالعة في الجبل فانطلق الشاهين وراءها حتى أمسكها فنفضته عنها وَعَــدَتْ فلحقها وصادها فنزل وَكَبَّرَ عليها وذبحهــا وأشبع الشاهين عليها [3]

أنواع الشواهين :

والشواهين ثلاثة أنواع هي : الشاهين ، والأنيقي ، والقطامي [4] .

أما الشاهين وهو رأس هذه الفصيلة فقد أفضنا القول فيه أنفاً . وأمــا الأنيقي فتسميه أهل العراق (الكرك) وهو دون الشاهين في القوة إلا أن فيه سرعةً وهو يصيد العصافير وفيه يقول الشاعر :

غَنِيتُ عن الجوارح بالأنيقي بمثل الريح أو لَمــعِ البروق
أصُبُّ بــه على العصفور حتفاً فأرميه بصخرة منجنيق [5]

وأما القطَـامي وهو الصنف الثالث من أصناف الشواهين وتسميه أهـل العراق « البهرجة » ويقال إنــه في طبع الشاهين ، والعرب تخالف في ذلك

---

(١) البيزرة : ١٠٥

(٢) الحبرج : ذكر الحباري

(٣) البيزرة : ١٠٢

(٤) نهاية الأرب : ١٠/٢٠٠

(٥) نهاية الأرب : ١٠/٢٠٤ والمصايد والمطارد : ٨٣

وتسمّي بعض الصقور بالقطامي، غير أن المشتغلين بالجوارح لا يأخذون بذلك [1].

« والقُطامي بضم قافه وتفتح ، وهو من أعظم الطيور التي يصاد بها وهو عزيز الوجود » [2].

وليس في الكتب التي بين أيدينا على كثرتها شيء أكثر من هذا الذي أوردناه عن هذين الجارحين .

٣ – الصقر :

الصقر هو النوع الثالث من أنواع الجوارح، ويبدو أن العرب كانوا يطلقون اسم الصقر على سائر الجوارح ، فقد ذكر كشاجم في المصايد والمطارد أن « الشاهين والزرق واليؤيؤ والباشق كلها صقور » [3] . وقال صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب « والعرب تسمّي كل طائر يصيد صقراً ما خلا النسر والعقاب ، وعن أبي زيد الأنصاري أنه يقال للبزاة والشواهين وغيرها صقر ، ونحوه عن ابن سيده » [4] .

غير أن العرب على ما يبدو جعلوا يفرقون شيئاً فشيئاً بين هذه الجوارح ويميّزون ُكلاً منها باسم خاص ، وكان في جملة هذه الجوارح التي ُميّزَت من غيرها الصقر ، ويؤيد ما ذهبنا إليه ما ذكره القلقشندي عند حديثه عن الصقر من قوله : وهو « المخصوص في زماننا باسم الصقر » [5] .

وُيجمع الصقر على أصقُر وُصقُور وِصقَار وُصقُورة وِصقَارة ، وعن سيبويه : إنما جاءوا بالهاء في مثل هذا الجمع للتوكيد نحو بعولة ، وكل كلمة

---

(١) نهاية الأرب : ٢٠٤/١٠

(٢) الصيد والطرد عند العرب : ٥٥

(٣) المصايد والمطارد : ٨٤

(٤) الصيد والطرد عند العرب : ٣٤ والمخصص : ١٤٨/٨

(٥) صبح الأعشى : ٦٠/٢

فيها (صاد) بعدها (قـــاف) ففيها اللغات الثلاث . فيقال : (صقر) و (زقر) بابدال الصاد زاياً و (سقر) بابدالهـا سيناً . والأنثى صَقرَة وَزقرَة وسَقرَة [1] .

أسماء الصقر وكناه :

والعربُ تُسَمّي هـــذا النوع (الحر) [2] ، وقيل : إن الحر نوع من الصقور قصير الذنب عظيم المنكبين كبير الرأس أغـبر اللون أسفعه ، وقيل أيضاً إنّ الحر من الصقور شبيه بالبـازي يَضرِب إلى الخضرة ، وهو أصفر الرجلين والمنقار [3] .

ويقال للصقر: الأجدَل، والأكدَر، والهَيثَم، والمضرَحيُّ ،والقَطامي، والأسفَع ، والزُهدم وقيل الزّهدم فرخ البازي .

وُدعِي بالأجدل لشدته، وبالمضرَحيّ لطول جناحيه وكرمه، وبالقطامي لِقَطمِه اللحم بِمِنسَره [4]. وكنية الصقر أبو شجاع ، وأبو الإصبع ، وأبو الحمراء ، وأبو عمران ، وأبو عوان [5] .

وأول من صاد بالصقر وضراه الحـارثُ بنُ معاوية بن ثور بن كندة ، ثم اتخذته العرب من بعده [6] .

وقــد أخذت الفرس عن العرب الصيد بالصقور فقد جـــاء في كتاب (القانون في علم البيزرة) أن كسرى بهرام بن سابور لمـا بلغه تضريةُ العرب للصقور على صيد الظبي أرسل إلى نصر بن خزيمة صاحب الجزيرة يلتمس منه

---

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٤٩ والمخصص : ٨/١٨٤

(٢) لا يزال البداة في نجد يدعون الصقر بهذا الاسم .

(٣) المخصص : ٨/١٥٠

(٤) انظر المخصص : ٨/١٤٨ وما بعدها والمصايد والمطارد : ٨٤ وصبح الأعشى: ٢/٦٠

(٥) انظر الصيد والطرد عند العرب : ٥١

(٦) انظر المصايد والمطارد : ٨٤ ، ٨٥ وكتاب الطيور ، الورقة : ١٢ والقانون في علم البيزرة الورقة : ٦ وما بعدها ونهاية الأرب : ١٠/١٩٥ .

صقوراً فأرسل له منها ما كان قد ضَرَّاه وعلمه الصيد فلما رآه كسرى يقتنص الظبي والأرنب اشتدّ إعجابه ، واتخـــذ الصقور ، وأظهر الروم فضلها على الشواهين [١] .

ومن هنا قال الجاحظ عن الصقر : « إنه عربي » [٢] .

صفات الصقور الجيدة :

« والعرب تحمَدُ من الصقور ما قُرنص [٣] وحشِيّاً ، وتذم ما قُرنص داجناً وتقول : « إنه تبلّد ولا يكاد يفلح » [٤] .

والمختار من الصقور هو ما كان « أحمر اللون عظيم الهامة دامع العين تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلىء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب العقدة من الفقار ، طويل الجناحين قصير الذنب سَبط الكف غليظ الأصابع فيروزجها أسود اللسان » [٥] ومتى توافرت له هـذه الصفات فانه يجمع « الفراهة والوثاقة والسرعة » [٦] .

وألوان الصقور مختلفة ، فمنه « الأشهب الكثير البياض وهو الحصاويُّ ، وموطنه الجبال والبراري ، والأحمر ومـــأواه الأرياف والسهول ، والأسود البحريُّ وهو الذي يشتو في الجزائر على شاطىء البحر ، والأصفر والأخضر وهو الذي يضربُ ظهرُه إلى الخضرة وقلّ من يعرف هذا اللون » [٧] .

أما أوزان الصقور فمنها ما يكون وزنه رطلين ونصف رطل بالبغدادي

---

(١) القانون في علم البيزرة : الورقة : ٦ وما بعدها

(٢) الحيوان : ٦/٧٨ .

(٣) قرنص الباز والصقر : اتخذ للصيد

(٤) المصايد والمطارد : ٨٤

(٥) المصايد والمطارد : ٨٥

(٦) المصايد والمطارد : ٨٥

(٧) البيزرة : ٩٥

ومنها ما يكون وزنه على الصيد رطلين وثلث رطل، ومنها ما يكون وزنه رطلين .

ما يصيده الصقر :

«والصقر جارح صيود يمتاز بشدة صبره حتى قيل إن الصقور من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنها أقوى على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء وأحسن ألفة وأشدّ إقداماً على جِلّة الطير من نحو الكركي وغيره » [١] .

والصقور إذا ضُرّيت على صيد الظباء أمكنها ذلك [٢] وقد فضّل صاحب البيزرة الصقر على الشاهين وقدمه عليه لما رأى وجرّب من حسن بلائه في الصيد ، وقد خالف بذلك أكثر البيازرة [٣] .

صقرٌ يصيد غزالاً :

والصقر يُضرّى على صيد الغزال تعاونه في ذلك الكلاب لكنه قد يصيدها منفرداً فقد رُوي عن ابي عليٍّ التنوخي عن فارس بن مسعف قال : « كنت في عسكر هارون بن غريب بن الحبّال ، وفيما كان يتصيد ذات يوم بالقرب من حلوان إذ عَنَّ له غزالٌ فأرسل عليه صقراً من صقوره — ولم يكن الكلاّبون بالقرب منه حتى يرسل معه كلباً — لأن العادة جرت أن يُطلَق الصقر على الغزال فيقع على رأسه ويعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدّة العدو فيلحقه الكلب فيصيده ، غير أنه لما خشي أن يفوته الغزال وعزّ عليه وجود الكلاب رأى ان يشغل الغزال بالصقر ريثما تلحقه خيلنا ورماحنا ، فطار الصقر ، وتراكضنا خلفه وكنت أنا ممن ركض ، وجرى الغزال حتى وافى إلى منحدر جبلٍ فلما انحدر فيه وقع الصقر عليه ، وثبّت مخالبه في عنقه وخدّه ، وحمله الغزال وهو يعدو ، فما كان من الصقر

---

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٥٠ وانظر المصايد والمطارد : ٨٤

(٢) المصايد والمطارد : ٨٤

(٣) البيزرة : ٩٥

إلا أن شدّ أحد جناحيه حتى خط به على الأرض يريد بذلك تعويقه عن الجري ، وما زالا كذلك حتى وصلا إلى موضع في الصحراء فيه شوكٌ فعلق بمخلب الصقر جذع شوك عظيم فاذا بـه يجذب رقبة الغزال بالمخلب الآخر ويـدق عنقه ويصرعه ، فلحقناه ووقعت البشارة ، فقال ابن الحبال ومن معه : ما رأينا قط صقراً أفره من هـذا ، وخلع على الصَقّارِ [١] خلعة سَنيّة » [٢] .

والصقر من أثبت الجوارح جَناناً ، وأقواها طيراناً وأحرصها على اتباع الطرائد والظفر بها .

وهو يصيد الكركيّ وما في منزلته من البط وطير الماء [٣] .

ومزاج الصقر أبرد من مزاج سائر الجوارح التي عرفناها وأرطب ، لذا فهو يعاف الماء ولا يشتهي شربه [٤] .

ومن شأن الصقر ألا يأوي إلى الأشجار أو رؤوس الجبال ، وإنما يسكن المغاور والكهوف وصدوع الجبال ، والصقر كالسبع من حيث إن له كفّيْن في يديه يجمع بهما ما يأخذه [٥] .

حاجة الصّقر إلى البرقع :

وقد حضّ البيازرة على استعمال البرقع للصقر ، وتغطيةِ رأسِه وعينيه به لكيلا يثب عن يد صَقّارِهِ لغيرِ حاجةٍ ولئلا ينطلق على الطريدة قبل الأوان فتخور قواه وتضعف عزيمته ، والبراقع بالنسبة إلى الصقور بمنزلة الأغماد بالنسبةِ إلى السيوف ، فإنّ الغمد يصون السيف من الصدأ وهو لا يُجرّد منه إلا وقت استعماله .

---

(١) الصقار : سائس الصقر

(٢) الصيد والطرد عند العرب : ٥٣

(٣) صبح الأعشى : ٦١/٢ .

(٤) نهاية الأرب : ١٩٥/١٠ .

(٥) الصيد والطرد عند العرب : ٥١

أمـــا البازي فلا يستعمل له البرقع ، وليس البرقع إلا للصقر والشاهين والعقاب والزمج [١] .

ومن حسن سياسة الصقر ألا يُطلق على الغزال إلا إذا كان معه كلبٌ ، ذلـك لأن الصقر يقع على رأس الغزال فيعقره ويضرب بجناحيـه بين عينيه فيمنعه من شدة العدو فيلحقه الكلب ويصيده [٢] .

كيف يدرّب الصقر على الصيد :

والصقور كغيرها من الجوارح تُعَلَّم الصيد وتُضَرّى عليه ، وللمشارقة مذهب يختلف عن مذهب المغاربة في تضرية هذا الجارح ؛ فاذا صِيدَ الصقر من الكوخ وجب أن تخيط عينيه وأن تبقيه على ذلـــك أسبوعاً كاملاً حتى يعتاد الهـدوء على يدك [٣] فاذا هـــدأ فافتح عينيه واجلس به بين الناس ليأنس ، ثم رضه على أخذ الحمامة وهو مربوط بخيط وعَوِّدْه على أن يأتيك إذا دعوته من بعيد، فاذا ألف ذلك ووثقت من حسن استجابته لك ، فانزع الخيط منه واجعله في السباق [٤] .

فإذا ضَرَّيْتَ عدداً من الصقور على هـــذا الوجه الذي أشرنا اليه آنفاً فأرسلها اثنين اثنين ثم ادعهـا معاً فما أجابك منهما مع صاحبه فآخ بينه وبين صاحبه في الصيد وأطلقهما معاً ، فانهما يتعاونان على الطريدة ويشد أحـدهما أزر أخيه .

كيف يدرّب الصقر على صيد الغزال :

ويُضَرّى الصقر على صيد الغزال في الربيع وذلك بأن يُؤخذ جلد غزال

---

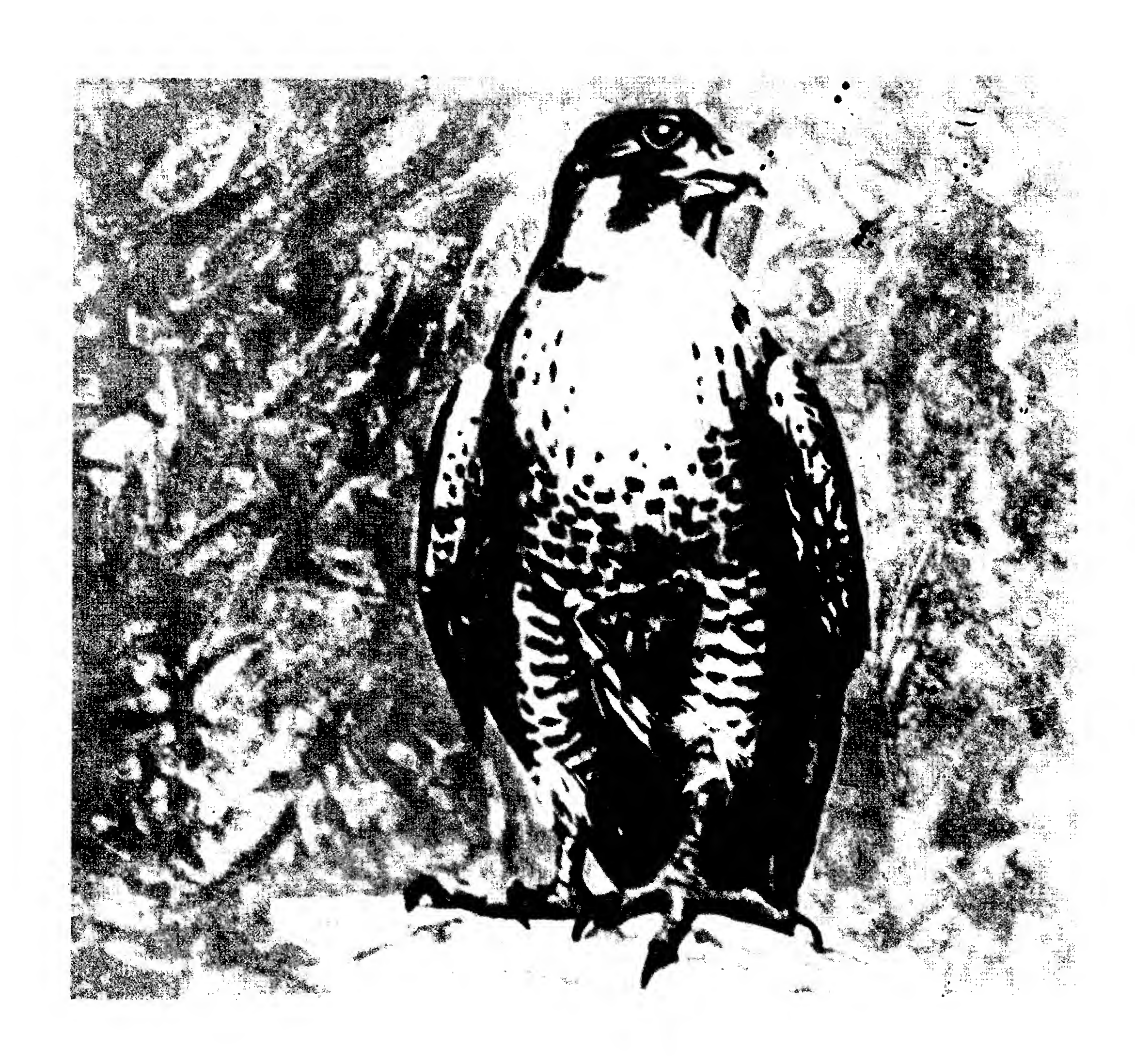
(١) أنس الملا : ١١٤

(٢) الدميري : ١/١٧٧

(٣) هذا هو فعل بيازرة المشرق أما بيازرة المغرب فلا يخيطون عينيه .

(٤) السباق : القيد .

الصقر



تكنّيه العرب بـأبي شجاع ، يصيد الظبي والأرنب ، تُغَطّى عيناه بالبرقع لكيلا يثب عن يدِ الصقّار لغير حاجة .

تام ويُحشى تبناً حتى يمتلىء ويتشكل بشكل الغزال ، وتوضع في أماكن القوائم عيدانٌ تماثلها في الطول والغلظ ، ويُخاط كل فتق في الجلد، ثم تُشَدُّ قطعةُ لحم بين قرني هذا الغزال ويُطعَمُ الصقر عليه حتى يعتاد الخروج إليه والوقوف فوقَه .

ثم يُنقَصُ اللحم شيئاً فشيئاً يوماً بعد يوم حتى يخرج الصقر إلى الغزال بغير لحم كلما دُعِيَ إليه .

فإذا ضُرِّيَتْ عِدةُ صقور على ذلك واعتادته خَرَجَ بها الصقَّار إلى الصحراء وأخذ معه غزالاً واستصحب غلاماً ، فيعمد الغلام إلى حبلٍ طويل من القنب أو نحوه ، ويربط به رجل الغزال فوق العرقوب ، ويجعل طرفه الآخر في يده ويجلس في مكان يستره عن الصقور، ويمكّنه من رؤية الغزال ، وهو مستقبلٌ للريح ، ثم يُخرِج الصقَّار صقوره ويجعلها في وضع ترى فيه الغزال ، فإذا أبصرته أرسلها عليه وعند ذلك يبادر الغلام فيصيح بالغزال حتى ينفر ويجري ، ويركض هو وراءه ، فإذا طَرَدَتِ الصقورُ الغزالَ ووقعت عليه جرّه بالحبل حتى يسقط على الأرض ، فإذا سقط قام الصَقَّارُ إليه فذبحه بين أرجل الصقور وأشبعها منه .

ثم يريحُها بعد ذلك يوماً ويخرج بها في اليوم التالي إلى مكانٍ غير المكان السابق ويصنع معها ما صنعه في اليوم الأول غير أنه يجعل الغزال يجري أكثر مما جرى في المرة الأولى ، فإذا وقعتِ الصقور عليه وَعلِقَتْ به ذبحه بين أرجلها وأشبعها منه وأراحها واتخذ طعامها في يوم الراحة من قلب خروف أو من لحمٍ حارٍّ بحيث يكون نصيب كُلٍّ منها ما زِنَتُه خمسةُ دراهم ثم يخرج بها في البكور إلى مكان قَصِيٍّ من الصحراء لم تره من قبل، وليكن معه غلامٌ ، ومع الغلام غزال مخبوء في مخلاة ، وقد قطع أحد عراقيبه ، أو شق بعض أظلافه بالسكين شقاً جيداً ليكون أقلَّ قدرة على الجري ، ثم يأمر غلامه أن يخلّيَ الغزالَ في الصحراء وحيداً ، وأن يصيح به لينفر ويجري ، وليكن معه كلبُ صيد .

ثم يطلق الصقورَ على الغزال ، فإن صادته ذبحه بين أرجلها وأشبعها منه شبعاً وافياً وإن خشيَ أن يفوتَ الغزالُ الصقورَ أرسل عليـه الـكلبَ فإذا أمسكه ذبحه عنـــد أرجلها وأشبعها منه ، ثم يريحها كما أراحها من قبل ، ويَصْنَع بها ذلك ثلاث مرات .

ثم يخرج إلى الصحراء ويلتمس جدياً صغيراً ويرسلها عليه فإنها تصيده ولا ترجع عنه ، ويكرر ذلك مراراً ، وكلما صـــادت أشبعها من صيدها حتى تزداد ضراوتها على الجدي ، فاذا غـــدا صيدُه عادةً لها طلب بها شاةً فإنها تصيدها [1] .

كيف يقرنص الصقر :

والصقور تُقَرْنَصُ كما تقرنص البزاة والشواهين ، فاذا أخذ الصقرُ يلقي ريش جناحيه حتى يَبْقَىَ على ثلاثِ ريشات في كل جناح كفّه صقّاره عن الصيد وأقامه في المنزل للقرنصة .

والصقر لا يحتاج في أثنـاء القرنصة إلى شيء غير التقوية وذلك بإعطائه الطعام الحار والشّيرج المقشر مع اللحم الحار في كل أسبوع ثلاثة أيام حتى إذا نال حَظّه من الراحة سَلَّ ويشَ ذنبه وتركه فإنه ينبت بعد أربعين يوماً .

وإن كان الصَقّار قد عوّد صقوره على شرب الماء فلا يقطعه عنها في كل أسبوع مرة خلال القرنصة ، وإن لم يكن عودها شربه فلا يقدمه لها [2] .

أنواع الصقور :

الصقور ثلاثة أنواع : هي الصقر ، ثم الكونج ، ثم اليؤيؤ .

أما الصقر فقد أفضنا القول فيــه آنفاً ، وأما النوعان الآخران فنلم بهما فيما يلي :

---

(١) البيزرة : ٩٩ ، ١٠٠

(٢) البيزرة : ١٠٠ ، ١٠١

(أ) الكَوْنَجُ :

الكونج هو الصنف الثاني من أصناف الصقر ، ويسمى بمصر والشام (السقاوية) ونسبته من الصقر كنسبة الزرق من البازي إلا أنه أحر منه ولذلك كان أخفّ من الصقر جناحاً ، وهو يصيد الأرنب ويعجز عن الغزال لصغره ، ويصيد أشياء من طير الماء ، وشِدّة نفس الكونج أقلُّ من شدة بدنه ولذلك كان أطولَ لَبْثاً عند البيازرة وأصبرَ على مقاساة الشقاء من الصقر [1] .

(ب) اليُؤْيُؤ :

واليؤيؤ هو الصنف الثالث من أصناف الصقور ويسميه أهل مصر والشام (الجلم) لخفة جناحيه وسرعتها ، وهو طائر قصير الذنب .

أما مزاجُه فهو بارد رطب إذا قيس بمزاج الباشق ومن هنا كان أصبر منه نفَساً وأثقل حركة وهو يشرب الماء شرباً لازماً كما يشربه الباشق ، ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حارٌ يابس ، ولذلك كان أشجع منه ، فهو يتعلق بما يفترسه ، ويصيد ما هو أجل منه كالدراج ، ويقال : إن أول من صاد به واتخذه للعب (بهرام جور) [2] ذلك بأنه شاهد يؤيؤاً يطارد قُبَّرَةً ويراوغها ويرتفع معها إلى أن صادها فأعجبه واتخذه وصاد به [3] .

وقد وصف أبو إسحاق الصابىَ اليؤيؤ نثراً في رسالة له فقال : « وكم من قُبَّر ألحقنا عليه يؤيؤاً لنا فعرج إلى السماء عروجاً ، ولَجّج في إثره تلجيجاً ... حتى غابا عن النُّظّار ، واحتجبا عن الأبصار ، وصارا كالغيب المُرَجَّم ، والظن المُتَوَهَّم ، ثم خطفه ووقع به ، وهما كهيئة الطير الواحد فأعجَبَنا أمرهما ، وأطرَبَنا منظرهما [4] .

---

(١) نهاية الأرب : ١٩٨/١٠

(٢) أحد ملوك الأسرة الساسانية ولي الملك سنة ٤٢٠ م (انظر تاريخ إيران ٥٩٠/١

(٣) نهاية الأرب : ١٩٩/١٠

(٤) نهاية الأرب : ٢٠٠/١٠

٤ – العقاب :

العقاب أعظمُ الجوارح صيداً ، وسيد الطير عِزَّةً ، وأكبره بعد النسر جسماً [١] قوية المخالب ، مُسَرْوَلة [٢] الساقين [٣] ، واسعة الأشداق، ذات مِنسَر قصير أعْقَف، يخالف منقارُها الأعلى منقارَها الأسفل [٤]، وتُجمَعُ العقاب على أَعْقُب وعِقبَان ، وعَقَابين [٥] ، وقيل إن « عقابين » جمع الجمع ، وهي مؤنثة وتذكر [٦] .

أسماء العقاب وأوصافها وكناها :

والعرب تسمّي العقاب «الكاسر» إشارة إلى قوتها وقدرتها على الانقضاض حيث يقال : كسر الطائر كسراً إذا ضَمَّ جناحيه يريد الوقوع [٧] .

وتسمى العقاب (عنقاء مُغرِب) ، دُعِيَت بذلك لأنها تأتي من مكان بعيد ، ولا يراد بالعنقاء هنا الطائر الأسطوريُّ المعروف [٨] .

وتسمى (لَـِقْوَة) أيضاً بفتح اللام وكسرها لأنها لا تساور شيئاً إلا أخذته وقيل : إنها دُعِيَت بذلك لسعة أشداقها ، ولاعوجاج منقارها ، وتسمى (صوْمَعَة) لأنها ترتفع دائماً على أشرف مكان تَقدِرُ عليه .

ويقال : عقاب نُسارِيَّة لأن في ريشها شبهاً من ريش النسر ، وريش النسور تُرَاش به السهام [٩] ، كما يقال لها السُّهُوم والهَيْثَم .

---

(١) المخصص : ١٤٦/٨
(٢) أي في ساقيها ريش
(٣) المصايد والمطارد : ٩٣
(٤) المخصص : ١٤٦/٨
(٥) المخصص ١٤٥/٨
(٦) لسان العرب : ١١٣/٢ والمخصص : /١٤٥
(٧) الصيد والطرد عند العرب : ٣٧
(٨) انظر الصيد والطرد عند العرب :٣٦
(٩) المخصص : ١٤٥/٨ ، ١٤٦

ومن أسماء العقاب (الصَّرار) وهو يطلق على العقاب العظيمه الكدراء التي تضرب إلى التوشيم ، والتَّوْشيمُ خطوطٌ تكون في قوائم الحُمُر [١].
وتوصف العقاب بأنها عجزاء إذا كان في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشتان .
وعشراء إذا كان في جناحها قوادم بيض ، وعنقاء لأنها تُعنِقُ بصيدها ثم ترسله ، وَفتخَاء لما في جناحيها من اللين ، وَقنواء ولَموعٌ وملاعٌ لما فيها من سرعة الاختطاف .

وتوصف بالخائِتَة وهو صوت جناحيها عند انقضاضها ، وبالخدارية لسواد لونها [٢] أما ذكر العقبان فيدعى الفَرَن ، وعلماء البيزرة يقولون إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجسوم لا تساوي شيئاً يلعب بها الصبيان في دمشق [٣] ويقولون أيضاً إن الزُمَّج هو ذكر العقاب [٤] .

وكنية الذكر من العقبان أبو الأشيَم ، وأبو الحجَّاج ، وأبو حسَّان ، وأبو الدهر ، وأبو الهَيْثم .

وكنية الأنثى أم الحوار ، وأم الشُّعور ، وأم طُلبَة ، وأم رَوْح ، وأم الهَيْثَم [٥] . وفرخ العقاب يسمى الناهِض ، والهيثم ، والتُّلجُ ، والتُّلْدَة والتُّلد [٦] .

والعقبان ذوات ألوان مختلفة متعددة ، فهي تكون سوداء جوجيَّة [٧] وبقعاء سفعاء ضارباً لونُها إلى السواد ، وخرجاء فيها بياضٌ مختلط بسواد ، وحمراء وشقراء .

---

(١) المخصص : ١٤٦/٨
(٢) المصايد والمطارد : ٩٥
(٣) المخصص : ٨/ ١٤٥ وما بعدها
(٤) المخصص : ١٤٦/٨
(٥) الصيد والطرد عند العرب : ٣٦
(٦) المخصص : ١٤٧/٨
(٧) انظر المخصص : ١٤٥/٨ وما بعدها

ومن العقبان مـــا تكون ذات نقط بيض في رأسها وتدعى (الصقعاء) ومنها ما يكون بعض قوادمها بيضاً وتُدعى (العسراء) ومنها مـا يكون فيها خطوط بيض وتدعى المُسيَّرة [١] .

وأما أوزانها فهي تتراوح بين عشرة أرطال وأربعة عشر رطلا بالبغدادي وليس فيها ما يزيد على ذلك [٢] .

والمختار من العقبان ما ضُرّى ربيباً داجناً، أما الوحشي فهو عسر الألفة صعب الرياضة [٣] والنجيب منها ما توافرت له « وثاقة الخلق وثبوت الأركان وحمرة اللون وغؤور العينين بالحماليق ، وأن تكون سفعاء، عجزاء ، ولا سيما ما كان منها من أرض (سَرْت) أو جبال المغرب فإنها لا تُخْلِف أبداً [٤]» وعقبان المغرب أصلب من عقبان المشرق وجهاً وأقوى منها صيداً [٥] .

صفات العقبان وخصائصها :

والعقاب تأوى إلى قنن الجبال الشواهق، وتقتعد الأماكن المرتفعة ولذلك دُعِيَتْ بالصومعة، غير أن هناك من العقبان ما يأوي إلى الصحاري، ومنها ما يأوي إلى الغياض ، ومنها ما يقطن حول المدن [٦] ويدعى وكر العقاب المَقْنَاة [٧] .

والعقاب من أشد الجوارح حرارة ، وأسرعها طيراناً ، ولذا قيل: «أطير من عقاب » [٨] . والعقاب جارح عزيز المنال ، حديد البصر ، قوي السمع،

---

(١) المخصص : ١٤٦/٨ والمصايد والمطارد : ٩٤ والبيزرة : ١١٠
(٢) البيزرة : ١١٠
(٣) أنس الملا : ١٢٠
(٤) المصايد والمطارد : ٩٦ وصبح الأعشى : ٥٣/٢
(٥) البيزرة : ١١٠
(٦) الصيد والطرد : ٣٧
(٧) المخصص : ١٤٧/٨
(٨) الصيد والطرد عند العرب : ٣٨

شديد الحزم ، لذا قيل في الأمثال : فلان أعزُّ من عقاب الجو ، وأبصر من عقـاب ، وأسمع من فرخ عقاب ، وأحزم من عقاب ، فإن قيل مـــا حزمُ العقاب ؟ أُجيب : إنـــه يخرج من بيضه على رأس جبل عال فلا يتحرك من مكانه حتى يكتمل ريشه ولو تحرك لسقط [١] .

وهي طائر خفيف الجناح سريع الحركة إن شاءت ارتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقربه [٢] .

ما تصيده العقاب :

ومن خصائص العقاب أنهـــا لا تمارس الصيد لنفسها إلا في القليل النادر ولكنها تسلب كل جارح صَيُودٍ صَيْدَه [٣] فهي لا تزال تجثم على مَرْقَبٍ عال فإذا رأت واحداً من جوارح الطير صاد شيئاً انقضت عليه فإذا أبصرها ذُعِرَ منها وولى هارباً وخَلّى لها الصيد ، أمـا إذا جاعت فلا يمتنع عليها شيء من ذوات الريش حتى البزاة فإنهـــا تصيدها ، ولا يعز عليها شيء من ذوات الوبر حتى الذئب وحمار الوحش فإنها تصيده [٤] .

طعام العقاب :

والعقابُ تأكل الحيات إلا رؤوسها ، والطيرَ إلا قلوبها وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العُنّاب والحشف البالي [٥]

ومن عجيب أمر العقاب أنها إذا شكت أكبادَها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ [٦] .

---

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٣٩

(٢) نهاية الأرب : ١٩٢/١٠

(٣) الحيوان : ٣٧/٧

(٤) الصيد والطرد عند العرب : ٣٩ والمصايد والمطارد : ٩٧ ، ٩٨

(٥) نهاية الأرب : ١٩٢/١٠

(٦) الصيد والطرد عند العرب : ٣٩

وتبيض العقاب ثلاث بيضات في الغالب ، وتحضنها ثلاثين يوماً ، وما عداها من جوارح الطير يبيض بيضتين ويحضنها عشرين يوماً ، وإذا خرجت أفراخ العقاب من البيض ألقت واحداً منها لأنه يثقل عليها طعام الثلاثة لقلة صيدها ، والفرخ الذي تلقيه يعطف عليه طيرٌ آخرُ يسمى كاسِر العظام ويسمى المُكَلِّف فيربيه .

ومن عادة كاسِر العظام هذا أن يحتضن كل فرخ ضائع ويزقُّه [1].

وليس في الطير ما هو أخْفَى لفراخه من العقاب [2] ومن شأن العقاب أن جناحها لا يزال يخفق .

وأن سباع الطير تخشاها وتهابها وأنها صعبة المرام على غيرها من السباع ، فقد رُوى أنه « قيل لأخي بشار بن برد : لو خيّرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان فأيُّ شيء كنت تتمنى أن تكون ؟

قال : عقاب ، قيل : ولِمَ تمنيت ذلك؟ قال : لأنها تبيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير [3] .

خطأ شائعٌ يجب تصحيحه :

وقد أخطأ كثير من المؤلفين في ترجمة العقاب والنسر ، وخلطوا بينهما مع أن العقاب طائر من أعظم الكواسر التي تصيد بينما لا يصيد النسر أبداً وإنما يقع على الجيف ويأكل منها .

ومن هنا كان تلقيب الطيارين بنسور الجو خطأ وإنما يجب أن يُلَقّبوا بعقبان الجو إذا أُريد بذلك سرعةالطيران وشدّة الانقضاضوقوة الكسر[4].

---

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٣٩

(٢) المصايد والمطارد : ٩٧

(٣) الحيوان : ٧/٣٧

(٤) انظر معجم الحيوان لمعلوف : ٩٣ والدميري

العُقَــاب



جـــارحٌ مهيبُ الطلعة ، يبني عشه في قمم الجبال الوَعرة ، يستفيد في طيرانه من التيارات الهوائية الصاعدة فيرتفع إلى أبعد مدىً بأقــل مجهود ، والعرب تُسمي العُقاب « الـكاسِر » إشارة إلى قوتها على الإنقضاض .

كيف تدَرَّبُ العقاب على الصيد :

والعقاب – على الرغم من عزّتها وشدّة بأسها – طائر قابل للترويض ، يُؤدِّبُــه البيازرة فيتأدب ، ويُضرّونه على الصيد فيَضرَى ، ويزجرونه فينزجر ، ويربونه في البيوت ويتخذونه للصيد ، فيألف ويأنس ويصيد [١].

وسبيل تضرية الوحشيّ من العقبان أن يُرفَقَ به غاية الرفق وأن يُطعَم إطعاماً جيداً إلى أن يألف ويأنس .

وتُضرّى العقاب على صيد الكراكي ويكون ذلك بأن تُقدَّم لها الكراكي ميتةً فتعتاد رؤيتها وتأكل من جيفتها ولا تزال كذلك حتى تعرف صورتها وتثبت هيئتها من أيّ جهة رأتها .

ثم يُخرَجُ بها إلى الفلاة وتطلق على كركي فإذا صادته ذُبِحَ بين رجليها وأُشبِعتْ منه ، ثم تُراحُ يوماً ويُصاد بهـــا يوماً آخر إلى أن تُضرّى على الصيد وتمرن عليه .

وتُغيّر عليها المواضع في كل يوم لئلا تألف مكاناً بعينه [٢] .

غير أن الأصل في ترويض العقبان هو أن تُراض على الظباء لأنهـــا تهوي صيدها ثم تليها الأرانب والكراكي [٣] .

ما تصيده العقاب :

وتصيد العقاب الظباء والثعالب والأرانب وقد تصيد حمر الوحش ، فهي إذا رأت القطيع من حمر الوحش ألقت بنفسها في الماء حتى يبتل جناحُها ثم تخرج فتقع على التراب وتتمرّغ فيه حتى تحمل منه أو من الرمل مــا يعلَق بجناحيها ، ثم تطير طيراناً ثقيلاً حتى تقع على هامة حمــار من الحمر فتصفق

---

(١) انظر المخصص : ١٤٦/٨

(٢) البيزرة : ١١٠

(٣) الصيد والطرد عند العرب : ٣٧

بجناحيها فوق رأسه فتمتلىء عيناه تراباً من ذلك التراب الذي علِق بجناحيها فلا يبصر بعد ذلك ولا يستطيع المسير ولا يدري أين يذهب فيدركه القانص ويأخذه .

وحمر الوحش تعرف ذلك من العقاب فإذا سمعت خَفق جناحيها وأدركت ثقل طيرانها حادت عنها يَمنة أو يَسرة ولاذت بالفرار [١] .

٥ — الزُمّج :

الزمّج بضم الزاي وفتح الميم المشددة ثم جيم : طائر دون العقاب يُصاد به وقد يقال زُمّجة وزِمّجى [٢] .

والعامة تبدل زاي « الزمج » جيماً والجيم زايـــاً فتقول « جُمّز » [٣] وزعم الفارسي أنه معرب وتسميه العجم « دَهْ برادران » وترجمته : « أنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه » [٤] .

وقد عدّه صاحب المصايد والمطارد صنفاً من الجوارح قائماً برأسه [٥] بينما اعتبره الجاحظ في الحيوان [٦] والقلقشندي في صبح الأعشى [٧] والدميري في حياة الحيوان [٨] والنويري في نهاية الأرب [٩] صنفاً من العقاب .

---

(١) المخصص : ٨/١٤٦ وأنس المــلا : ٨٦ والمصايد والمطارد : ٩٥ ونهـــاية الأرب : ١٠/١٨٢

(٢) لسان العرب : ٣/١١٤ والمخصص : ٨/١٤٧

(٣) صبح الأعشى : ٢/٥٥

(٤) المخصص : ٨/١٤٧ ولسان العرب : ٣/١١٤

(٥) المصايد والمطارد : ١٠١

(٦) الحيوان : ٣/١٨٢

(٧) صبح الأعشى : ٢/٥٥

(٨) الدميري : ٢/٨

(٩) نهاية الأرب : ١٠/١٨٤

أمـا ابن سيده في المخصص [١] وابن منظور في اللسان [٢] فجعلاه ذكر العقبان وذهب هذا المذهب صاحبُ كتاب الصيد والطرد عند العرب [٣] .

وهو طائر دون العقاب ، في قمّتـِه حُمرةٌ ضاربةٌ إلى الفتحة [٤] وهو من خفاف الطير ، تعرفُ ذلك في عينيه وحركته وشدّة وثبه ، وبــه تصيد الملوك [٥] .

والزمج جارح من جوارح الفرس فهم أول من ضرّاه على الصيد واصطاد به، ذلك أن (أزدشير) [٦] أحد ملوكهم هو الذي عرف شأن الزمج حيث قايس بينه وبين البازي وأدرك ما بينهما من شبه فضرّاه وصاد به .

والعجم تنتقص من قدر الصائد الذي لا يصيد بالزمج ، وتصفه بقــلة الخبرة في الصيد، وهم يسمونه بالفارسية «ده برادران» كما أسلفنا من قبل [٧].

وألوان الزمج هي الأحمر والأصفر والإسبهرجُ ، وفيها مــا يضرب إلى السواد ، ووزن الزمج يتراوح بين خمسة أرطال وستة أرطال [٨].

صفات الجيِّد من الزُّمج :

ويحمدُ البيازرة من الزمج مــا ضُرّي داجناً فهو يكون أكثر دربة ، وأوفى ذكاء وقدرة ، أما ما قُرْنص وحشياً فهم لا يحمدونه [٩] .

---

(١) المخصص : ١٤٧/٨

(٢) لسان العرب : ١١٤/٣

(٣) الصيد والطرد عند العرب : ٤١

(٤) المخصص : ١٤٧/٨ واللسان : ١١٤/٣

(٥) الدميري ٨/٢ والصيد والطرد عند العرب : ٤١ وصبح الأعشى ٥٥/٢

(٦) هناك أزدشير الأول وأزدشير الثاني وكلاهمـا من الأسرة الساسانية ولي الأول الملك سنة ٢٢٦ م وهو مؤسس الدولة الساسانية وولي الثاني الملك سنة ٣٧٩ (انظر تاريخ إيران : ٥٢٥/١ و٥٨٤) .

(٧) انظر حاشية كتاب الصيد والطرد عند العرب : ٤٤

(٨) انظر البيزرة : ١١٢

(٩) انظر الصيد والطرد عند العرب : ٤٤ وما بعدها

وقيل إن أجود أصناف الزمج ما كان أحمر الريش أسود العينين متوسط الحجم ، أما الكبيرُ فما وُجد فيه فارهٌ أبداً .

وهناك نوع آخر من الزمج يدعى « زمج الماء » وهو الذي يُسمى بمصر (النَّوْرس) وهو أبيض اللون في حجم الحمام أو أكبر منه قليلاً ، يعلو في الجو ثم يزج بنفسه في الماء ويختلس منه السمك ، وهو لا يقع على الجيف ، وحكمه حلّ الأكل بخلاف بقيةِ الجوارح .

اليابانيون يصيدون السمك بالزّمج :

واليابانيون يستخدمون هذا الجارح في صيد السمك فهم يربطونه بخيط متين يشدون نهايته إلى مكان ثابت في المركب ثم يطلقونه فيسقط على السمك ويمسكه بمنقاره ثم يعود إلى المركب فيأخذه صاحبه من فمه ثم يدفعه إلى البحر ثانية وهكذا دواليك حتى يستكفي، ثم يطعمه جزءاً مما اصطاده [١].

وعلماء البيزرة يصفون الزمج بالغدر وقلة الألفة لكثافة طبعه وكونه لا يتقبل التعليم إلا ببطء [٢] .

وهو يجمع شيئاً من خصائص البازي وخصائص العقاب، فيتلقّف الطائر في الجو كما يتلقفه البازي ، ويصيد على وجه الأرض كما يصيد العقاب [٣] .

طريفةٌ من طرائف الحيوان :

ومن طريف ما يُحكى عن الزمج ما رُوي عن أبي فتح البصري أن صيّاداً من أهل أرمينية قال : خرجت إلى الصحراء يوماً فنصبت شبكتي أبتغي صيد بعض الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها وجعلت

(١) انظر حاشية الصيد والطرد عند العرب : ٤٤

(٢) الدميري : ٢/٨ وصبح الأعشى : ٢/٥٥ ونهاية الأرب : ١٠/١١٤

(٣) نهاية الأرب : ١٠/١١٤

فيها طائراً مستأنساً ودخلت في كرّيخة [1] تحت الأرض تسترني وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى يقع فيها شيء مما رُمتُ صيده ، فلما كان الوقت قريباً من الظهر إذا بِزُمُّجَة لطيفةٍ قـد طارت فوق الشبكة فلما رأتها نفرت منها وترجّلت غير بعيد عنها... وإذا بعقاب يجوز في الجو فلما رأى الزمجة ترجل بإزائها وجلسا معاً وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمجة قَبـل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تزل تُزايله إلى أن صادته وجاءت به فنسرته وصار لحـماً وأقبلت تأكل فجاء العقاب وأكل معها فلما أتيا على اللحم كله زاف العُقابُ عليها فضربته في وجهه بجناحيها فزاف ثانية فضربته أشد من الأول فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلـك ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت ، فعجبتُ من نفورها من الشبكة وقلت : لعلها عرفت الشبكة بحكم العادة ، وأما ما سوى ذلك من مبادرتها للطير قبل العقاب حتى صادته ، ثم إنها منعت العقاب من سِفادها لأنه قصّر عن الصيد وأكل من صيدها ثم إنها لم ترض بذلك حتى قتلته لمّا ألحّ عليها وطمعتُ في صيدها لأصيد بها ... فلما كان من الغد وإذا هي قـد ترجّلت قريباً من الشبكة أيضاً مثل ذلك الوقت فاجتاز بهـا عقاب فنزل فجلس معها وعَنّ لهما صيد فوقع للعقاب الثاني ما وقع للأول سواء بسواء بـلا اختلاف ، وطارت الزمجة فزاد تعجبي منها وحرصي عليها وبت ليلتي الثانية فلما كان في اليوم الثالث إذا بها قـد ترجّلت على الصورة التي ذكرناهـا ... وإذا بعقاب لطيف الجثة وحشيّ الرأس قد ترجّل فما مضت ساعة حتى عَنّ لهما صيد فهمت الزمجة بالنهوض إليـه فضربها العقاب بجناحيه ضربةً كاد أن يقتلها بها ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به ونسره وطرحه بين يديها ولم يذق شيئاً منه حتى أكلت الزمجة واستوفت ، ثم أكل هو بعدها مـا بقي من اللحم ،

---

(١) الكريخة : كوخ أو حفرة مستترة بأغصان الشجر يختفي فيهـا الصياد فيرى الشبكة ولا يراه الطير .

فزاف عليها العقاب بعد ذلك فزافت له ولم تمنعه وزاف الثانية فركبها حتى سفدها ثم طارا معاً [1] .

ويُضرّى الزمج كما تضرّى العقاب غير أن الزمجة أرق، وسبيلها أن يرفق بها إلى أن تجرّد وتُطلق للصيد ، وهي تصيد الكركي بلا كبير عناء [2] .

---

(١) الصيد والطرد عند العرب : ٤٣ ، ٤٤

(٢) البيزرة : ١١٣

الفصل السابع

الضواري
سياستها والصيد بها

المعتبر من الضواري ثلاثة هي الكلب ، والفهد ، وعَناق الأرض ، فهي التي عُنيَ الصائدون بها وعملوا على تأديبها وتضريتها على الصيد .

غير أن بعض الحُذّاق لم يكتفوا بهذه الضواري الثلاثة وإنما عمدوا إلى تضرية ما لا يُظنّ أنه يُضرّى فأدّبوه وأحكموا تأديبه حتى صادوا به .

من ذلك ما رواه الجاحظ عن السوراني[1] القناص أنه بلغ من حِذقه بتدريب الجوارح وتضريتها أنه ضرّى ذئباً حتى اصطاد به الظباء وما دونها صيداً ذريعاً وأنه ألّفه حتى رجع إليه من ثلاثين فرسخاً ، وأنه ضرّى أسداً حتى اصطاد به حُمُرَ الوحش فما دونها صيداً ذريعاً ، وأنه ضرّى الزنابير فاصطاد بها الذبان[2] .

ومن ذلك ما رواه كشاجم من أن رجلا أخبره بأنه رأى من ضرّى حيّة

(١) السوراني أو السوداني : رجل من قيس عيلان .

(٢) الحيوان : ٦/٢٦ والمصايد والمطارد : ٤٢ .

فكان يستخرج بها الدرّاج [1] ثم إن ابن عرس يُضرّى على الصيد أيضاً فيُجعَل حبلٌ في عنقه ويُدْخلُ بـه على الثعلب في وِجاره [2] فلا يخرج إلا وهو معه غير أن ذلك قليلٌ نادر [3] .

ونحن سنعرض فيما يلي لكلٍّ من الضواري الثـلاثة المعتبرة التي هي الكلب ، والفهد ، وعَناق الأرض عرضاً وافياً .

---

(١) المصايد والمطارد : ٤٢

(٢) الوجار : وجمعه أوجرة ووجرة : جحر الضبع وغيرها .

(٣) صبح الأعشى : ٢/٢٩

كلب صَيد أوربي





١ ـ الكلب

أطلق العرب إسم الكلب على ُكلّ سبع عقور ، ثم غلب على الكلب النابح المعروف وجمعه كلاب وأكلُب ، وجمعُ الجمع أكالِب وكِلابات ، والأنثى كلبة وجمعها كلبات .

والكلّاب : صاحب الكلاب والمكلِّب: الذي ُيعلّم الكلاب الصيد [١] والكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ، ُمشترَك الطباع ، فهو بين السبع والبهيمة لأنه لو َتمّ له طباع السبع لما ألف الناس ، ولو َتمّ له طباع البهيمة لما أكل اللحم [٢] .

والكلاب أصناف كثيرة غير أنها في جملتها تقسم إلى قسمين: هما الكلاب الأهلية وكلاب الصيد .

وُيراد بالكلاب الأهلية ما ُخصّصَ للحراسة والماشية والزرع وما إلى ذلك مما لم ُيعدّ للصيد .

ويراد بكلاب الصيد ما ُيضرّى على الصيد وهي نوعان : سلوقية وزغارية، والسلوقية منسوبة إلى أرض سلوق باليمن أو إلى (سلقية) في بلاد

---

(١) انظر لسان العرب (كلب) والمخصص : ٧٩/٨

(٢) انظر صبح الأعشى : ٣٩/٢

الروم ، والزغارية منسوبة إلى « لزغور » موضع ببـــلاد الروم ، والمشهور عند العرب من هذين النوعين الكلاب السلوقية [1] .

وهـذا لا يعني أن الكلاب الأهلية لا تصيد إذا هي ضُرِّبت على الصيد وإنما هي تصيد ولكنها تُقصّر عن السلوقية في ذلـــك ، فكلا النوعين من الكلاب الأهلية والسلوقية في الطبيعة سواء غير أن الثاني أكثرُ استعداداً لتعلُّم الصيد وممارسته من الأول [2] .

وتمتاز الكلاب السلوقية من غيرها أنها أجود شمّاً وأرهف حساً، وأطول مناخرَ وقد يكون طولُ مناخرها سبباً في شمها العجيب وحسها اللطيف[3].

وقيل : إن أول من اتخذ الكلاب للصيد « دارا » أحدُ ملوك الفرس[4].

شأن الكلب عند العرب :

وقـد كان للكلب عامة وللسلوقيّ خاصة شأنٌ كبير عند العرب فكانوا ينسبون الكلاب كما ينسبون عِتاق الخيل [5] من ذلك كلب « جدعان » وهو السَّلْهب بن البُراق بن وَثّاب بن مُظفّر بن مُحارش[6]، وكانوا يُسمُّون بها على التفاؤل لما اتّسمتْ به من كريم الخلال كالحراسة واليقظة وبُعْد الصوت والكسب على أصحابها وغير ذلك[7]، وكانوا يشتقّون من أسمها أسماء لأنفسهم في موضع النباهة وعلوّ الشأن نحو كُلَيب بن ربيعة، هو كُلَيب وائل... وقد ضُرب به المثل فقيل : « أعز من كُليب وائل » وكانت ربيعة إذا انتجعتْ معه لم توقد ناراً ولم تحوّض حوضاً وكان يحمي الكلأ ولا يُتكلّم عنده إلا

---

(١) انظر الحيوان : ٣١٢/١ . وأنس الملا : ٣٧

(٢) انظر الدميري : ٢٧٨/٢

(٣) انظر الحيوان : ١٦٥/٢

(٤) انظر الحيوان : ١٦٥/٢ و٣١٢ والصيد والطرد عند العرب : ٧٣

(٥) انظر صبح الأعشى : ٤٠/٢

(٦) المصايد والمطارد : ١٣

(٧) انظر الحيوان : ١٧/٢

خَفضاً، وكان يجير الصيد ويقول: صيد أرض كذا وكذا فيجواري لا يباح[1].

وما اشتُق من اسم الكلب وجعِل علماً للأشخاص كثير فمن ولد ربيعة بن نزار: كلب بن ربيعة، وكلاب بن ربيعة ومُكالِب بن ربيعة ومَكْلَبَة بن ربيعة بن نزار ... ومن هذا الباب كُليب بن يربوع وكلاب بن ربيعة وكلب ابن وَبَرة ومنه بنو الكلبة، والكلبة نعت مَيّة بنتِ علاج بن شحمة العنبري وبنوها بنو الكلبة الذين أشاد بهم الشعراء[2].

بل إن العرب أطلقوا على الشعراء اسم كلاب الحي وذلك لأنهم ينبحون دونهم ويحمون أعراضهم[3] وقد أكثر العرب من ضرب الأمثال بالكلب فقالوا: «آلف من كلب» و «أبصر من كلب» و «أطوع من كلب» و «أحرص من كلب» و «أسمع من كلب» و «أشمّ من كلب» و «أمرح من لحسة كلب» «واسأل من َفلْحَس» و «أحب أهلي إلى كلبهم الظاعن»، وقالت: أصبر على الهون من كلب، وإن لكل رفقة كلباً، وأبول من كلب على أن المراد به كثرة الجراء فإن البول يكنّى به في كلام العرب عن الولد[4].

خلال الكلب وصفاته:

وإنما استحقت الكلاب هذا المقام عند العرب وغيرهم لما امتازت به من صفات وما انفردت به من خلال.

فالكلب «يحرس ربه ويحمي حريمه شاهداً وغائباً وذاكراً وغافلاً ونائماً ويقظان ولا يقصّر عن ذلك وإن جفوه ولا يخذلهم وإن خذلوه»[5].

فالكلب «أيقظ الحيوان عيناً في وقت حاجة أصحابه إلى النوم، وأنوم

---

(1) الحيوان: ٣٢٠/١

(2) انظر الحيوان: ٣١٣/١

(3) الحيوان: ٣٥١/١

(4) الحيوان: ١٧٣/٢

(5) انظر الحيوان: ١٧١/٢ ونهاية الأرب: ٢٠٤/٩

الحيوان نهاراً عند استغنائهم عن حراسته ثم إذا نام فهو لا ينام إلا غراراً ...
وهو في أشد حالات نومه يفتح عينيه بقدر ما يكفيه للحراسة ويكون مع
ذلك أسمع من فرس وأحذر من عَقعقٍ[1] . وهو حيوان قليل السآمة
شديد الصبر على الجفوة واحتمال الجراحات الشّداد ، وجوائف[2] الطعان ،
ونوافذ السهام ، وإذا أصابه ذلك لم يزل ينظّفه بريقه لمعرفته بأن ذلك
دواؤه حتى يبرأ فلا يحتاج إلى طبيب ولا إلى مرهم ولا إلى علاج .

والكلب أشد الحيوانات فكاً وأرهفها ناباً وأطيبها فماً وأكثرها ريقاً ،
يرى العظم الصلب فيعلم بالغريزة أنه إن عضّه رضّه وإن بلعه استمرأه .

والكلب بعد هذا أسبح حيوان على وجه الأرض لذا قيل فيه إنه: «أسبح
من حية » .

وقد وُصف الكلب بالسرعة في الحُضْر ، وبالصبر على طول العدْو وبسَعة
الإهاب وأنه إذا عدا ضَبَع وبسط يديه ورجليه حتى يمس قفصُه الأرض
وحتى يشرط أذنيه بشَبا أظفاره ويكون ذلك إذا أسرع في عدْوه وجعل
يفترش ذراعيه حتى يصيب صدرُه الأرض فعندئذ كثيراً ما يَنشِط أذنيه
ويخرّقهما حتى يدميهما[3] .

وهو ألوف للناس .. بل إنه أشد إلفاً للناس من الإنسان الألوف ، وهو
يكون في كثير من حالاته آنس بالناس منه بالكلاب — مهما كانت قريبة
منه — فلا تراه يلاعب كلباً ما دام هناك إنسانٌ يلاعبه[4] .

ومن مزايا الكلب « إثباته وجهَ صاحبه ونظره في عينيه وفي وجهه
وحبُّه له ودنوُّه منه حتى ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤثر ولا

---

(١) الحيوان : ٢/١٧٤

(٢) الطعنة الجائفة : هي التي تبلغ الجوف

(٣) انظر الحيوان : ١/٢٧٢

(٤) انظر الحيوان : ٢/١٧٧ — ١٧٨

يوجع، وله الأضراس التي لو نشبها في الصخر لنشبت والأنياب التي لو أنحى بها على الحصى لرضها »[1] .

«وذكر بعض الرواة أنه كانت للعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات لزمت قبره حتى ماتت عنده »[2] .

ولربما غاب عنه صاحبه حولاً كاملاً فإذا أبصره قادماً اعتراه من الفرح والبَصبَصة والالتواء الذي يدل على السرور وعلى شدّة الحنين بما لا شيء فوقه.

روَى الجاحظ عن صديق له أنه قال : « كان عندنا جرو كلب وكان عندنا خادم مولع بِتَقْريب الجرو والإحسان إليه ، كثيرُ التَفَقُّد له فغاب الخادم عنا إلى البصرة أشهراً فقلت لبعض من عندي أتظنون أن الكلب يُثْبِتُ صورة الخادم وقد فارقه وهو جرو وقد صار كلباً ؟ قالوا ما نشك أنه نَسِيَ صورته وما كان يحوطه به من بِرّ .

فبينا أنا جالس في الدار إذ سمعت صوتاً فلم أرَ فيه ما عهدته من تَوَعُّد ونخوة وإنما رأيت فيه بَصْبَصَةَ السرور وحنينَ الإلف ثم لم ألبث أن رأيت الخادم طالعاً علينا والكلب يلتف على ساقيه ويرتفع إلى فخذيه وينظر في وجهه ويصيح صياحاً يستبين فيه الفرحُ ، ولقد بلغ من إفراط سروره أني ظننت أنه أصيب بالجنون .

ثم كان بعد ذلك يغيب الشهرين والثلاثة ويمضي إلى بغداد ويرجع فأعرف بذلك الضرب من البَصْبَصة وبذلك النوع من النباح أن الخادم قدم .

والكلب يحمي نفسه ويحمي غيره ويعول أهله فيكون لصاحبه غُنْمُه وليس عليه غرمه[3] . والكلب أنوف نبيل ، فمن نبله أنه يتخذ لنفسه دائماً

---

(١) الحيوان : ٢/١٩٤

(٢) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : ١٠

(٣) انظر الحيوان : ٢/١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٦١ ، ١٦٢

أشرف موضع في المجلس وهو لا يرضى بالنوم على عفر التراب إذا كان هناك بساط ، ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوسادة .

وذلك بالإضافة إلى ما طُبِع عليه من إكرام الرجل الجميل اللباس حتى إنه لا ينبح عليه إذا دنا من باب بيت أصحابه مع أنه يثب على كل رَثّ الهيئة وعلى كل سفيه تشبه حالُه حالَ أهل الريبة .

وهو لفرط أنفته وحميته وشدّة تجبُّرِه لا يرضى ممن ينبح عليه في ليل إلا أن يقعد بين يديه مُستسلِماً مُستخزِياً فإذا رآه على هذه الحال دنا منه وبال عليه وخلى سبيله وكأنه حين ظفر بالرجل ورآه تحت قدرته رأى أن يَسِمه بميسم ذلّ كما كانت العرب تَجُزُّ نواصي الأسرى من الفرسان [1] .

معرفة الكلب بطبائع الحيوان :

والكلب — بفطرته — ذو معرفة عجيبة بالصيد وخبرة واسعة بطبائع الحيوانات المصيدة فهو « إذا عاين الظباء بعيدة كانت أم قريبة عَرَف المعتل من غير المعتل وميز العَنز من التيس ، وإذا أبصر القطيع لا يقصد إلا نحو التيس مع علمه أنه أشد عدْواً وأبعدُ وثبةً ويترك العنز وهو يعلم ما فيها من نقصان العدو ، وقصر الخطوة ، وذلك لأن كلّ حيوان إذا ألم به الفزع عرض له سَلَس البول أو التقطير ، والكلب يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين تعسر عليه البول ولم يستطعه مع شدة العدو وَوَضعِ القوائم ورَفْعِها معاً فيثقل لذلك عَدْوُه ويقصر مَدى خطاه ويعتريه البُهْرُ حتى يلحقه الكلب .

أما العنز فهي إذا اعتراها البول جمعته وقذفت به لسعة مسيلها ، والكلبُ يعرف ذلك كله ويفيد منه ، وهو يعرفه بالفطرة لا بالتجربة ولا يحتاج في إدراكه إلى معاناة أو تعليم أو تدريب [2] .

---

(١) انظر الحيوان : ٢/١٦١ ، ١٦٢

(٢) انظر المصايد والمطارد : ١٣٣ وما بعدها .

ومن خصائص الكلب أن الصائد يخرج به إلى الصيد في يوم الجليد والثلج وهما متراكان على الأرض حتى لا يثبت عليها قدم ولا خف ولا حافر ولا ظلف فيمضي الكلاّب وهو إنسان عاقل وصيّاد مجرّب ومع هذا فهو لا يعلم أين موقع جحر الأرنب ولا موضع كِناس الظبي ولا مَكو [١] الثعلب ولا غير ذلك من مَوالج [٢] وحوش الأرض فيتلفت الكلب بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ويتشمّم ويتنسّم ويتبصّر حتى يقف على أفواه تلك الجُحرة فيثير ما فيها ؛ ذلك أن أنفاس الوحوش القابعة فيها وبخار أجوافها وأبدانها وما يخرج من الحرارة المُستَكِنَّة فيها تذيب الثلج الذي يستر فم الجحر حتى ترققه وتُمكّن الكلب من الاهتداء إلى ما فيه من الوحوش [٣].

وفي طباع أرحام الكلاب أعجوبة لأنها تَلقَح من حيوانات غير الكلاب كالذئب ونحوه ، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان فتؤدي شبه ما لقحت منه [٤] . وقد كانت للزهريّ [٥] كلبة صيد، فكان يطلب لها الفحول يتلمس نسلها [٦] .

وللكلب « ضروب من النغم وأشكال من الأصوات وله نَوْح وتطريب ودعاء وُخوار وَهرير وُعواء وَبصبصة وشيءٌ يصنعه عند الفرح، وله صوت شبيه بالأنين إذا كان يغشى الصيد ، وله إذا لاعب أشكاله في غدوات الصيف شيء بين العُواء والأنين [٧] .

---

(١) المكو : جحر الثعلب والأرنب

(٢) الموالج : المحال التي تلج فيها الحيوانات وتستتر

(٣) الحيوان : ٢/١٢٠

(٤) انظر الحيوان : ٢/١٨٠

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري تابعي من أهل المدينة وهو أول من دون الحديث توفي سنة ١٢٤ هـ .

(٦) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : ٢٧

(٧) الحيوان : ٢/١٩٤

وللكلب من حدة البصر والسمع والشم ما يُضرب بـه المثل فقد قال قطرب [١] : « والله لفلانٌ أبصرُ من كلب وأسمع من كلب وأشم من كلب » فقيل له : أنشدنا في ذلك ما يشبه قولك فانشد لمرة بن محكال السعدي [٢] :

يا ربـة البيت قومي غيرَ صاغرة ... ضُمّي إليك رِحالَ القوم فالقُرَبا [٣]

في ليـلة مـن جُمَادى ذاتِ أنـدية ... لا يبصر الكلب من ظلمائها الطُنُبا [٤]

لا ينبح الكلب فيها غـير واحـدة ... حتى يَلُفَّ على خَيشومه الذنبا [٥]

أمارات نجابة الكلاب :

وللكلاب الفارهة أمارات تـدل على نجابتها ، وعلامات تشير إلى كرمها وذلـك أن يكون الكلب طويل مـا بين اليدين والرجلين قصير الظهر عريضه [٦] ، صغير الرأس ، طويل العنق غليظها أغضَف الأذنين [٧] مفرط الغضف ، أزرق العينين ، طويل المقلتين [٨] ناتىء الحدقة [٩] ، طويل الخَطم [١٠] واسع الشدقين ، بارز الجبهة عريضها قصير اليدين طويل الرجلين [١١].

---

(١) هو محمد بن المستنير النحوي الذي لقبه سيبويه بقطرب .

(٢) شاعر إسلامي ، عاصر جريراً والفرزدق .

(٣) القرب : جمع قراب وهو غمد السيف ، وكان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رحله وبقي سلاحه معه لا يؤخذ منه خوفاً من البيات فقال مرة يخاطب امرأته : أن ضمي إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فإنهم عندي في عز وأمن من الغارات .

(٤) الأندية جمع ندي ، والطنب : حبل البيت

(٥) أي لا ينبح غـير نبحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستدفىء ، (انظر الحيوان وشروحه : ٢/٣٥٢) .

(٦) ذلك من أمارات سرعته .

(٧) الأغضف : المسترخي الأذن .

(٨) المقلة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .

(٩) الحدقة : سواد العين .

(١٠) الخطم : مقدم الفم والأنف .

(١١) فهو إذا كان كذلك كان أسرع في الصعود وراء الأرنب إذ لا يكاد يلحق الأرنب في الصعود إلا كلب قصير اليدين طويل الرجلين .

الكلب السلوقي الأفغاني



جسمُ الكلب السلوقي يساعده على السرعة فهو عـالي القامة صغير الرأس ضيّق الصدر نحيف البطن دقيق القوائم قويها . والسلوقي العربي أصفر اللون أجرد الشعر ، أما السلوقي الأفغاني فهو ذو فروٍ جميل ناعم الوَبَرِ ملوّنه .



ومن علامات فراهته أيضاً أن يكون طويل الصدر عريضَه مما يلي الأرض غليظَ العضدين ، مستقيم اليدين ، مضموم الأصابع بعضها إلى بعض حتى إذا عدا لم يدخل بين أصابعه شيء من التراب أو الطين أو غيرها مما يعيق عَدْوَه.

وأن يكون عريض ما بين مفاصل أعطافه وما بين عظمي أصل فخذيه اللذين يلتقيان مع أصل الذنب .

وأن يكون شديد لحم الفخذين، رزين الحزم [1] رقيق الوسط، مستقيم الرجلين ، منحني الركبتين قصير الساقين دقيقهما فكأنهما خشبة من صلابتهما .

وأن يكون ذنبه قصيراً [2] يابساً مُنجَرِداً من اللحم ليس له منه قليل ولا كثير مع لين شعره .

وأن يكون أهرَتَ الشدق ، طويل اللسان ، كثير الريق ، منحدر القصة [3] سابغ الضلوع رحب الجلد ، لاحق البطن .

وأن يكون الشعر الذي تَحتَ حَنَكَيه كأنه طاقة [4] وأن يكون هو وشعر خديه غليظاً .

ومن علامات الفراهة التي ما بعدها علامة أن يكون على ساقيه أو على إحداهما أو على رأس ذنبه مخلبٌ ، وإذا كان على الساقين وجب قطعه لئلا يمنعه من العدو [5] .

وقد أشاد علماء البيزرة وشعراء الطرد بالكلاب الغُضْف المسترخية الآذان وغالىَ بعضهم في ذلك حتى ذهب إلى أن الصيد إنما يحل بالكلب

---

(١) الحزم : موضع الحزام من الدابة . والرزين الثقيل، وعنترة جعل هذه الصفة من أمارات فراهة الجواد أيضاً فقال في معلقته :

وَحشِيّتي سرج على عَبْل الشَّوَى نَهْدٌ مراكلهُ نبيل المِحزَمِ

(٢) هذا إذا كان الكلب ذكراً ، أما الأنثى فلا يكره لها طول الذنب .

(٣) القصة : رأس الصدر .

(٤) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه .

(٥) انظر الحيوان : ١/٢٨٧ و ٢/٤٨

النضو المسترخي الآذان، أما صاحب البيزرة فيقول : « وأفرَه ما رأينا من الكلاب ما يجيء من المغرب وخير ما فيها البُلْقُ وهي حسان فُرْهٌ على كل ما أُرْسِلَتْ عليه من الطرائد، وخير كلاب الشرق ما جاء من عند الأكراد»[1].

وعلى الجملة فإن كُلّ صفة يوصف بها الجواد الكريم هي صفة للفاره من الكلاب .

فقد رُوي أن المأمون قال لبعض أصحابه : إمض إلى بادية كذا وكذا فابتع منها خيلاً تستجيدُها فقال : يا أمير المؤمنين ، لستُ بصيراً بالخيل قال : أفلست بصيراً بالكلاب ؟ قال : نعم . قال : فأبصِرْ كل ما تتوخاه في الكلب الفاره المنجب ، فالتمس مثلَه في الفرس [2].

وخير ألوان الكلاب ما كان يذهب إلى الأسود من الصفرة أو الحمرة أما التبقيع فهُجْنة [3] .

وعيون الكلاب حمر ، حتى إنه لتُشَبَّه بها عينا الكَمِيّ الشجاع وهو يقبل مُغْضَباً على قِرْنه ، وهي إذا أبصرت الصيدَ بدت أشد حمرة [4] .

أما إناث الكلاب فيُسْتَحَبُّ فيها ما يستحب في ذكورها إلا قصر الذنب وأن تكون أطباؤها عِظاماً [5] .

وأما الجِراء فإذا أردت أن تتخير واحداً منها فانظر « فإذا كانت الكلبةُ قد ولدت واحداً فهو أفره من أبويه ، وإن ولدت اثنين فالذكر أفره من الأنثى وإن ولدت ثلاثة فيها أنثى لها شبه من الأم فهي أفره الثلاثة وإن كان في الثلاثة ذكر واحدٌ فهو أفرهها » [6] .

---

(١) البيزرة : ١٤٩
(٢) المصايد والمطارد : ١٣٧
(٣) الحيوان : ٧٨/٢
(٤) انظر الحيوان ٢٠١/٢ ، ٢٢٩/٤ و ٢٣٠
(٥) انظر أنس الملا في وحش الفلا : ٣٦
(٦) انظر المصايد والمطارد : ١٣٧

وهناك علامـة أخرى لفراهة الجراء وهي « أن تؤخذ كلّها وهي صفار قبل أن تقوم على قوائمها فتُلقَى في مكان نَدٍ فأيّها مشى على أربع ولم يكثر سقوطه فهو الأفره »[1] .

ويُعرف هرم الكلب وفتاؤه من أسنانه فإذا كانت سوداً كليلة دلّ ذلك على الكبر، وإذا كانت بيضاً حادّة دلّ ذلك على الشباب.

وهو حيوان شديد المضغ والاستمراء فهو يَعَضُّ العظم ليرضه فإذا امتنع عليه وكان مما يسيغه ابتلعه واثقاً بأنه يستمريه[2] .

ولأبي إسحاق الصابي طردية نثرية يصف فيها كلب صيد فارهاً جاء فيها: « وكأن معنا كلب عريق المناسب، نجيحُ المكاسِب، حلو الشمائل نجيب المخايل، حديـد الناظرين، أغضَفُ الأذنين، أسيل الخدين، مُخْطَفُ الجنبـين[3] عريض الزَّوْر[4]، متين الظهر أبيُّ النفس، مُلهَبُ الشّدّ، لا يمَس الأرض إلا تحليلاً[5] وإيماءً، ولا يطؤها إلا إشارة وإيحاء[6] » .

لهذه المزايا التي ذكرناها كان للكلب قدرٌ كبير عنـد الناس ومنزلة قلما دانتها منزلة حيوان آخر غير الجياد .

وقد بلغ ولَعُ بعض الصائدين بالكلاب حدّاً جعلهم يُنيمونها على فرشهم ويُجلسونها على وسائدهم[7]، بل إن « بعض الملوك كان يركض وراء كلبـه وقد دنا من ظبي وهو يقول له : إيه فدتك نفسي »[8] .

---

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٣٧

(٢) المصايد والمطارد : ١٣٥

(٣) مخطف : ضامر .

(٤) الزور : الصدر أو وسطه .

(٥) أي مسا خفيفاً لا مبالغة فيه وذلك لسرعته وخفته .

(٦) نهاية الأرب : ٩/٢٦١

(٧) انظر أنس الملا في وحش الفلا : ٧٧

(٨) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : ١٣

وقد رُوِيَ عن الأصمعي أنه قال : « حَضَرتِ الوفاةُ بعضَ الأعراب، وكلبٌ في جانب خيمته فقال لأكبر ولده : أوصيكَ خيراً به فإن له صنائع لا أزال أحمدها ، يدل ضيفي عليَّ في غسق الليل إذا النار نام موقدها [١] .

تعليم الكلب :

من المعلوم أن الضواري إنما تباشر الصيد بدافع من حاجاتها وحفظاً لبقائها ، ولذا فهي إنما تصيد لنفسها لا لغيرها فإذا استطاع مؤدب الضواري أن يجعلهاتترك ما ألفته بالفطرة إلى ما لم تألفه وأن تُزايل ما اعتادته بالسليقة إلى ما لم تعتده ، وذلك بتغيير طبائعها وجعلها تصيد لأصحابها بعد أن كانت تصيد لنفسها فيكون قد أثَّرَ فيها تأثيراً عميقاً ، ونقلها من حالٍ إلى حال وهو ما يُدعى بتعليم الجارح .

متى يُعدُّ الكلب متعلِّماً :

ومن هنا قيل : « إن الكلب إذا أُغرِيَ بالصيد فاستجاب للإغراء وَجمَلَ يجيش تحفُّزاً لنيل الطريدة ثم لم يأكل منها بعد إمساكها وفعل ذلك مرة بعد أخرى فهو الكلب المعلم » [٢] .

والتعليم شرطٌ في حِلّ أكل الطريدة ، أما طرائد الجوارح التي لم تُعلَّم فهي نجسة لا يباح أكلها .

كيف تعلم الجراءُ الصيد :

ويُباشَر بتعليم الجراءِ الصيدَ وهي صغيرة فإذا صار للجرو شهران أخذ مؤدبه خيطاً طوله خمسة أذرع وربط في نهايته ذنب ثعلب أو قطعةً من جلد غنم وأمر أحد صبيانه أن يجر الخيط أمام الجرو وأن يستثيره لِلَّحاق بما رُبِطَ بالخيط وإمساكه ، وأن يعمل ما في وسعه حتى لا يُمَكِّنَه من ذلك

---

(١) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب: ١٣ ، وقد ورد هذا الكلام على صيغة بيتين من الشعر منسوبين إلى علي بن الجهم .

(٢) المصايد والمطارد : ٢١ ، ٢٢

ليزداد حِدّة وحنقاً، فإنّ هذا مما يزيد في جرأته وحرصه، فإذا صار له خمسة أشهر أخرج له فأراً كبيراً وأغراه بـه حتى يصيده ... فإذا صار له سبعة أشهر خرج به إلى الفلاة التي يأوي إليها اليربوع وأغراه به وضراه على صيده حتى يصيده .

فـإذا أتقن الـكلب الكرّ والفرّ ، وتمرس على الكسر والرّدة أحضرَ له أرنباً صغيراً وشدَّ خيطاً على أعصابها شدّاً يعيقها عن الجري السريـع وخلاّها أمامه ليصيدها فإذا فعل ذلك معه مراراً أطلقه على صيد الأرنب في الفلاة ، ويحسن في هذه الحالة أن يُرْسَلَ مع كلبٍ آخر أعرفَ منه بالصيد .

ولا يجوز لمؤدب الضواري أن يرسل كلبـه في أول أمره على الثعلب فقد يخشاه ويعجز عنه وعمّا دونه .

وينبغي ألاّ يطعَم الكلب في النهـار إلا مرة واحدة ، وخير ما يأكله الخبز وحده ولا يُخلى على المزابل ليأكل ما يجده فإن ذلك يفسده، وينبغي للكلب أن يُضمَّرَ تضميرَ الفرس وأن يُعرَفَ مقـدارُ طعامه وألا يُقدَّم له ما يزيد عن حاجته ولا يُطعَم اللحم إلا من صيده، وعند صيدِه إياه؛ فإن اللحم يسمن الكلب ، والـكلبُ إذا سمن قلّ عدْوُه [1] .

وقد يُلجأ عنـــد تعليم الـكلب إلى الضرب أحياناً ، فإذا أُرْسِلَ الكلب المعلَّم وأكل من طريدته فاضربه أسواطاً وقِفْه على ما صنع فإنه لا يعود[2] .

وللكلب من القـدرة على قبول التعليم وحسن التصرف في أصناف اللعب ما ليس في غيره ...

فالـكلب الزّيني[3] يُوضع السراج على رأسه ساعاتٍ كثيرةً من الليل فلا يتحرك ، وقد كان في بني ضبـــة كلب زينيّ يُوضعُ السراج على رأسه فلا

(١) أنس الملا في وحش الفلا : ٧٧

(٢) المصايد والمطارد : ٢٢

(٣) الكلب الزيني : ضرب من الكلاب قصير القوائم شديـــد الذكاء وجاء في المخصص ، كلب زئني : أي قصير ولا تقل صيني .

ينبِض فيه نابض ، ويدعونه باسمه ويرمون إليه قطع اللحم ، والسراجُ على رأسه فلا يميل ولا يتحرك فإذا أخذ القوم المصباح عن رأسه وثب على اللحم فأكله . وكانت تُعلَّق الزّنبلةُ والدّوْخلة[1] في رقبته وتوضع فيها رقعة ثم يمضي إلى البقال ويجيء بالحوائج ، فهو قد دُرّب فدَرِب وثُقّف فثقِف وأُدّب فقبل التأديب[2] .

ما يصيده الكلب :

أما ما يصيده الكلب من الطرائد فيختلف باختلاف الكلاب من جهة وباختلاف إرسالها وراء الطريدة مفردةً أو مع أترابها من جهة أخرى .

فالواحد من الكلاب يصيد الأرنب ما لم يسلك طريق الجبل ويتعلّق به[3] ، ويصيد الثعلب كذلك إذا عمد إلى المجاودة[4] ولم يستتر بحجر ولا غيره ، بيد أن الثعلب روّاغ ماكر فهو ربما التفت إلى الكلب وقد أخرج لسانه من شدّة العدْو فعضه في لسانه عَضّة تجعل الكلب يرجع عنه ، وربما توارى الثعلبُ عن الكلب في دَغَل من شجر أو نحو ذلك مما يستر عنه .

وأما الأيّل[5] فلا يطيق صيدَه إلا الكلبُ ذو الخَلْق الشديد والبنية الوثيقة والهيكل الضخم شريطة أن يجتمع عليه اثنان أو ثلاثة من أمثال هذا الكلب .

وللكلاب أسماء معروفة عند العرب منها سُحيم ، وسُحام ، وطِحَال وصَبّار ، وزَهْمان — وقيل زهمان وبراقش اسم كلبة وفي المثل — على أهلها دَلّت براقش — وكَسَاب اسم كلبة .

---

(١) الدوخلة : وعاء من خوص والزنبلة نحوها .
(٢) انظر الحيوان : ٢/١٧٩
(٣) انظر الحيوان : ٢/٤٨
(٤) المجاودة : الطراد .
(٥) الأيل : صنف من أصناف بقر الوحش قريب من الظباء يعيش في الجبال وقلما يؤم السهل ، ويقال له : الوعل .

ومن أسماء الكلاب : كُسَيب ، وضمران ، وواشِق وفَلحس ...
وفَلحسُ رجل من بني شيبان كان حريصاً رغيباً ومُلحِفاً مُلحّاً ، ومن هنا قيل فلان أسأل من فلحس، وكان كل طفيلي عندهم يقال له فلحس.

وإنما قيل للكلب كذلك لما فيه من صفات الحرص والإلحاح [1] .

وقد استعمل بعض شعراء الطرد في العصر العباسي بعض هذه الأسماء .

ولزجر الكلاب وإغرائها بالصيد ألفاظ معروفة وصيغ موروثة فتقول : « أشليتُ الكلب وقرْقَسْتُ به إذا دعوته ، وآسدْتُ الكلب وأوْسدْتُه إذا هَيَّجته وأغريته بالصيد، وخسأتْ الكلب إذا أبعدته وطردته .

وهَجْ هَجْ ، وهَجَا ، وهَجاجَيْك ، إذا زجرتَه وهي كلها بمعنى كفّ [2] .

---

(١) الحيوان : ١/٢٥٧

(٢) الحيوان : ٢/٢٠ ، ١٢٧

٢ ـ الفهد

الفهد ضرب من السباع يُتَصَيَّدُ بـه ، وجمعُه فهود وأفْهُد [١] والأنثى فهـدة ، وجرو الفهد يقال له الهَوْبَر والجروة هبيرة [٢] ومؤدِّبـه يدعى الفَهَّاد [٣] ، وقـد اختلف علماء البيزرة في تَوَلُّدِه ، فقال أرسطو : إنه مُتَوَلِّدٌ من لبؤة ونَمِر [٤] ، وقال صاحب نهاية الأرب إنه متولِّد من أسد ونَمِرَة أو لبؤة ونَمِر كما قال أرسطو [٥]؛ ومن هنا كان فيه شبَهٌ من النَّمِر ، لأنَّه أحد والديه على جميع الأقوال .

والفرق بينه وبين النمر أن وجه النمر طويلٌ مثلُ وجه الكلب وعينيه زرقاوان ، أما الفهد فوجهه مُدَوَّر وعيناه سوداوان [٦] .

طباع الفَهْدِ وصفاته :

والفهدُ مُشَابِهٌ للكلب في بعض طباعه حيث يَأنَسُ لمن يحسن إليه[٧]،

---

(١) المخصص : ٨/٧٢

(٢) نهاية الأرب : ٩/٢٤٦

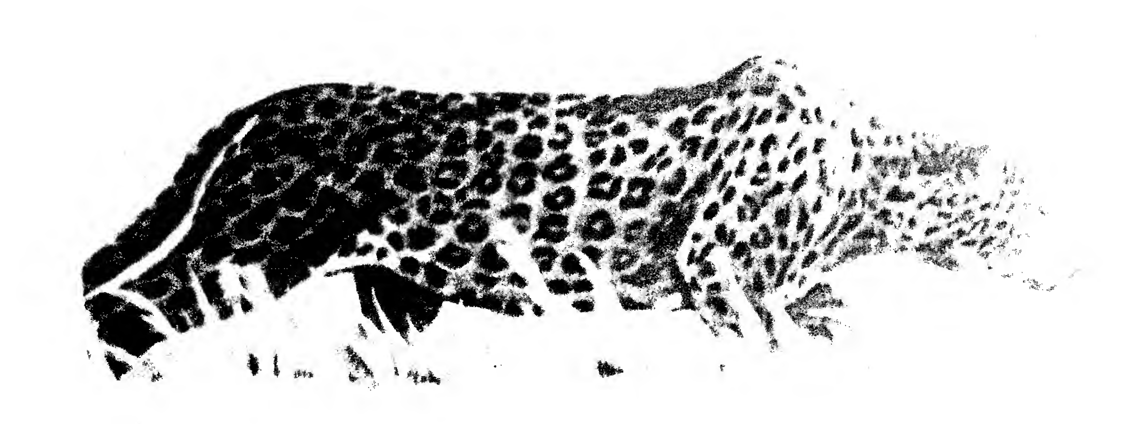
(٣) المخصص : ٨/٧٢

(٤) الصيد والطرد عند العرب : ٧٠

(٥) نهاية الأرب : ٩/٢٤٦

(٦) الصيد والطرد عند العرب : ٧٠

(٧) المصايد والمطارد : ١٨٥



الفهد أكرمُ الحيوانات الصائدة ، وأجلّها نفعاً، وأحسنها صيداً لذا عُدّ من ضواري الملوك .

والفهود إذا هَرِمت وعجزت عن الصيد لنفسها تطوّع لإعالتها فهدٌ فتيٌ أو أكثر فيصيد لها في كل يوم ما يكفيها حتى تموت .



مُشَاكِلٌ له في أدوائه ودوائه ، والنومُ الذي يعتريه يشبه نعاس الكلب[1].

ومن خُلُقه الغضبُ فإذا أخطأ صيدَه رجع حَنِقاً مَغيظاً حتى لربما قتل سائسه[2] ، وهو أكرم الحيوانات الصائدة وأجلُّهــا نفعاً وأحسنها صيداً وأحلاها في العين منظراً وأغلاها ثمناً وأعزُّها جانباً لذا عُدَّ من جوارح الملوك ، وضُرِب به المثل فقيل : « فلان أكسب من فهد » .

وهو ذو جثة ثقيلة ، فمــا من شيء في مثل حجم الفهد إلا والفهدُ أثقلُ منه[3]، والسباع تشتهي رائحة الفهد وتحبها ، وتستدل بها على مكانه وتعجب بلحمه أشد العجب[4] .

وللفهود موسم تسمن فيه ، فإذا سمن الفهد عرَف أن حركته قد ثقُلَت وأنَّه غدا عُرْضَةً للسباع التي تطلبه ، لذا فهو يُخْفِي نفسَه ويجتهد لذلك حتى يعود إلى حاله الأولى وينقضي الزمان الذي تسمن فيه الفهود[5] .

وإناث الفهود أوْعَر خلقاً وأكثرُ جرأةً وأشدُّ إقداماً وأجلّ صيداً من الذكور .

ومن شأن الفهد إذا وثب على طريدته ألا يتنفس حتى ينالها فتحمرّ لذلك رئته وتمتلىء من الهواء الذي حبسه ، وسبيلُه أن يُرَاحَ بعد ذلك حتى يخرج ذلك النفسُ وتبرد تلك الغُلّة ، وأن يُشَقّ له عن قلب الطريدة بعد تذكيتها وأن يُطعَم منها حاجته وأن يُسقَى رِيَّةَ ماءٍ إن كان الزمان قيظاً ودون الريّ إن لم يكن الحرُّ شديداً ، ثم تُبْتَغَى له طريدة أخرى ، ولا يُصاد به في اليوم أكثر من عشر مرات ، وقد يُصاد به في اليوم نحو عشرين مرة على

(١) انظر الصيد والطرد : ٧١
(٢) انظر الحيوان : ٤٧٢/٦ ، ٤٧٨
(٣) المصايد والمطارد : ١٨٣ ونهاية الأرب : ٢٤٧/٩
(٤) انظر الحيوان : ٤٢/٧ ، ٤٣
(٥) انظر نهاية الأرب : ٢٤٧/٩ والمصايد والمطارد : ١٩٥

إعنات . وهو إذا لم يُرَح لم يُفلِح بعد ذلك ، ومن طباع الفهد النومُ الكثيرُ حتى إنه ضُرِب به المثل فقيل : أنوم من فهد ، ويقال أفهَدَ الرجل إذا أشبه الفهد في كثرة نومه. ومن طباع الفهد الحياء ، فلا يُعلَم أنه عاظل أنثاه وهو في يد الإنسان .

وقد حاول بعضهم ذلك واجتهدوا فيه فلم يفعل .

والفهد من السباع الحداد الأسنان وهو يُدخِل بعضها في بعض وكذلك الأسد والكلب [1] .

ومن طريف ما أودع الله في هذا الحيوان أن الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فَتِيّ فيصيد لها في كل يوم ما يشبعها .

ويقال إن الفهدة إذا ثقلت بالحمل حَنّ عليها كل فهد ذكر يراها وواساها من صيده. ومن شأن الفهد إذا ذُهِبَ به إلى الصيد أن يُحمل على دابة أو أن يُرْدَف خلف صاحبه [2] .

وصاحب الصيد والطرد يقول: « إن في الفهد خصالاً حميدة ينبغي لكل عاقل أن يتأسى به فيها من ذلك :

– أنه يكمن للصيد حتى يتمكن منه ... وهكذا فإنه ينبغي للعاقل ألا يجاهر عدوه بالخلاف وإنما يَتَحَيَّن الفرص فإذا أمكنته نال منه من غير تعب للنفس .

– وأنه لا يعدو خلف صاحبه وإنما يركب خلفه ، وكأن لسان حاله يقول: هو المحتاج إليّ ولست بالمحتاج إليه فلِمَ أذل نفسي له؟ وهكذا ينبغي للعاقل ألا يذل نفسه فيما يفعله لغيره .

– وأنه لا يُلجأ في تعليمه إلى الضرب ، وإنما يُضرب الكلب بين يديه

---

(١) المصايد والمطارد : ١٨٤ ، والصيد والطرد : ٧١ والبيزرة : ١٢٨

(٢) انظر : الصيد والطرد : ٧٠ – ٧٢

إذا أكل من طريدته فيتّعظ هو بذلك، وهكذا ينبغي للعاقل أن يتّعظ بغيره، فالسعيد من وُعِظ بغيره.

– وأنه لا يتناول الخبيث من اللحم وإنما يطلب من اللحم أطيبه وهكذا ينبغي للعاقل ألا يتناول إلا الطيب.

– وأنه يثب على طريدته ثلاثاً أو خمساً فإذا لم يتمكن منها تركها ورجع وكأن لسان حاله يقول: لا أقتل نفسي فيما أعمل لغيري، وهكذا ينبغي للعاقل أن يفعل»[1].

والمواضع التي توجد فيها الفهود وتصطاد منها هي ما يلي بلاد الحجاز إلى اليمن، وما يلي الحجاز إلى العراق وما يلي بلاد الهند إلى تبّت كما توجد في عيذاب من أعمال قوص من الديار المصرية[2]

صيد الفهد وتأنيسه.

أما صيد الفهد وتأنيسه فهو أمر في غاية الطرافة والعجب ذلك بأن الفهد سبُع ضارٍ يغتال الإنسان ويفترس الحيوان، فكيف يتم تأنيسه وتأديبه حتى تأمره فيطيعك، وتدعوه فيجيبك ويكون رديفك في سفرك وأنيسك في حضرك ثم يصطاد لك لا لنفسه؟!

إن لصائدي الفهود ومؤدّبيها في ذلك طرقاً رائعةً وأساليب بارعة هدتهم إليها التجربة؛ فصائد الضواري يلتمس أرضاً تكثر فيها الفهود، فإذا أبصر واحداً منها جدّ في طلبه وجعل يتتبعه وهو حريص أشدّ الحرص على أن يحفظ أثره لأنه متى خفي عنه أثرُه لم يجده، ويستمر في تتبعه حتى ينام فإذا نام أزعجه عن منامه وحمله على أن ينهض، ثم أخذ يتتبعه حتى ينام ثانيةً، فإذا نام الثانية أزعجه عن منامه وأنهضه منه وجعل يتتبعه حتى ينام فإذا

(١) انظر الصيد والطرد: ٧٠ – ٧٢

(٢) نهاية الأرب: ٩/٢٤٨

نام الثالثة وغطّ في نومه غطّاً عميقاً وانطرح على جانبه علم الصياد أن الفهد قد تعب التّعب الذي يمكّنه من أخذه ، وعند ذلك يبادر إلى ثوب يكون معه فيغطي به وجه نفسه ويحث الخطى نحو الفهد دون أن تُسمَع له جلبة أو صوت ، ويسارق الفهد النظر من خلال الثوب ليتثبت من بقائه نائماً ولكيلا يرى الفهدُ وجه الصياد إذا كان قد استيقظ فإذا بلغه وكان لا يزال غارقاً في نومه جاء من خلفه واضطجع إلى جانبه وعانق رقبته دون أن يعصرها ، وجعل جنبه الأيمن عليها حتى يمنعه من الجلوس إذا أراد الجلوس وليصدّه عن النهوض إذا رام النهوض ، ثم ينزع الثوب عن وجهه ويلقيه على وجه الفهد ويغطيه به .

ثم يطرح بعد ذلك فخذه ووركه على الفهد ويعصره بها لئلا يتحرك إذا استيقظ ثم يبادر إلى حبل وثيق يكون مع رفيق له فيجعل أحد طرفيه في عنق الفهد من غير أن يضيّقه حتى لا يؤذي الفهد ولا يوقظه ، ومن غير أن يوسّعه حتى لا يخرج رأسه منه ، ويشدّ رفيقه طرف الحبل الثاني إلى شيء ثابت مكين من شجرة ونحوها. ثم يأمر رفيقَه بأن يشد يدي الفهد ورجليه بحبل آخر ويكون الشدُّ فوق كتفيه لا على أعصابه لئلا يؤذيها فإذا أحكم وثاقه دقّ في الأرض وتدين وشدّ اليهما حبلي يديه ورجليه .

ثم يعمد الى رأسه فيشد الثوب الذي عليه بسير وثيق ثم يلبس في كفيه قفازين من كساء متين ويشدّهما عليه .

ويكون مع الصياد جبن وافر ولحم مقطّع قطعاً صغيرة ، فإذا استيقظ الفهد من سُباته قدّم له الصائد من حيث لا يراه شيئاً من الجبن فهو اذا شم رائحته لعقه لوقته ثم يطعمه قطعة لحم بقدر الإبهام يجعلها في فمه ثم يتبعها بقطعة إثر قطعة .

ولا بأس في أن يكشف الصياد عن وجه الفهد في ذلك اليوم على أن يغطي وجهه هو بحيث لا يراه الفهد أبداً ، ويبقى على حاله هذه ثلاثة أيام

إلى أن يألف الفهد أكل الطعام من يده فإذا وجده بعد ذلك يخاف من رؤيته ستر وجه الفهد .

ويجتهد في خلال هذه الأيام في أن يكثر من الحديث حوله ليألف ذلك ، ويحسن أن يجتمع حوله مـا أمكن من الناس ، والصياد قاعد خلفه ورجله اليسرى موضوعة على جنبه ممتدة إلى ما بين رجليه ، وقطعةُ الجبن في يـده يلاقي بها فم الفهد كلما رفع رأسه .

فإذا مضى عليه خمسة أيام وهو في مكانه خفّف عن رقبته بعض ما شُدّ عليها من وثاق وذلك بأن يُحَل العقال عن الوتد ليتمكن الفهد من رفع رأسه .

فـإذا مضى عليـه سبعة أيام قلع الوتـد الذي يشدّ كتفيه ليقـدر على رفع صدره .

فـإذا مضى عليه عشرة أيام اقتلع الوتد الذي يشدّ رجليه ثم يقيده بعد ذلـك بقيدين أحدهما في قائمتيه الأماميتين والثاني في قائمتيه الخلفيتين على ألا يمنعه ذلك من الوقوف والحركة البطيئة .

وعلى الصياد أن يستصحب معه الجبن خلال هذه الأيام كلّها وألا يطعمه، بعد ذلك الا وهو قائم وأن يكثر سهره في الليالي العشر الأولى بحيث لا ينام إلا غراراً فإن ذلك أسرع لِذِلّته وأدعى لترويضه [1].

طريقة أخرى لتأنيس الفهد :

تلـك هي طريقة صاحب « أنس الملا » في معاملة الفهد بعد صيده أمـا صاحب « البيزرة » فله معه شأن آخر وهو أن يطرح عليه الصائدُ إثر صيده كساءً يستر به وجهه ويتخذ له كامة يكتّم بها فمه ويدخله في غرارة على أن يجعل رأسه خارجها لئـلا يموت من ضيق النفس وشدّة الحر ، ثم ينقـله إلى منزله وهو على هذه الحال ، فإذا صار إلى المنزل قـدم له الماء فإن شربه فبها

(١) انظر أنس الملا في وحش الفلا : ص ٦٠ وما بعدها

وإلا رشته على رأسه وأكتافه وخواصره، ثم يُعدُّ له قلادة فيها مِدْوَر حتى لا تلتوي على عنقه إذا دار ويكون في القلادة مجرٌ جيّد متين .

ويضرب له سكةً في مكان بارد ويشدّه فيها إلى آخر النهار ، ثم يأخذ ثلاثة أرطال لحم خروف ويجعله قطعاً صغاراً ويضعها في قصعة الفهد ويحل الكمامة عن فمه ويقف إلى جانبه ، ويقدم له القصعة فإذا أقبل يأكل منها أخذ يمسح جسده ما دام يتناول طعامه فذلك أدعى لأنسه، فإذا أقبل الليل أدخله البيت في رفق ووضع له قنديلاً في سقف البيت وسهر معه أكثر الليل وهو يمسح جسده ليألفه ويطمئن إليه .

ويستمر على هذه الحال ليالي عديدة حتى يأنس الفهد ويقف على قوائمه ويدور حول صاحبه وحينئذ يحل له مَجَرُّهُ عند الأكل [1]

طريقة ثالثة لصيد الفهد وتأنيسه :

وهناك طريقة أُخرى لصيد الفهد ذكرها صاحب المصايد والمطارد وهي أن يلتمس الصائد موضعاً تكثر فيه الفهود فإذا وقع عليها وقف بعيداً منها مستتراً عنها ، وجعل يغني لها غناء مطرباً ، ذلك لأن الفهد شديدُ الولع بالأصوات الحسنة كثير الإصغاء إليها حتى إنه لَينسى نفسه وهو يسمع الصوت العذب [2] فإذا استولى عليه الصائد بشبكة أو نحوها فعلَ فيه ما أوردناه آنفاً .

تعليم الفهدِ الصَيْدَ :

وحين يتم صيد الفهد بأيّ طريقة كانت ويُصار إلى تأنيسه ذلك التأنيس الذي يجعله يطمئن إلى الإنسان يبدأ الفهّاد بتأديبه وتعليمه ركوب الخيل وتضريته على الصيد ويكون ذلك بأن يضع المؤدّب طعام الفهد في مِخلاة وأن

---

(١) انظر البيزرة : ١١٨

(٢) انظر المصايد والمطارد : ١١٣ والبيزرة : ١١٨ وما بعدها

يحمل في يده قصعة وأن يدأب على دعوته إليها واستجابته بها ، وكلما أقبل عليه ولحق بـه مستجيباً للدعاء رَمَى له في القصعة قليلاً من طعامه الموجود في الخلاة إلى أن يأكل طعامه كله ، ويستمر على ذلك أيامـاً حتى يزداد له إلفـاً ويتبعه كما تتبع الكلاب أصحابها ، فإذا تمّ له ذلك بَنى له في البيت تمثالاً على قدر الحصان ووضع عليه الجلال والسرج اللذين يضعها على الدابـة عادة فإذا حان وقت إطعامه وضع القصعة على ظهر التمثال ودعاه إليها فإذا صعد عليه رمى له في القصعة قليلاً من اللحم فإذا أكله أنزل القصعة إلى الأرض فإذا نزل الفهد إليها رمى له فيها قليلاً من اللحم، فإذا أكله رفع القصعة كرّة أخرى إلى ظهر التمثال وصاح به فإذا صعِد إليها أشبعه ولا يزال يفعل بـه ذلك حتى يستوثق من حسن استجابته وإلفه للتمثال .

وعند ذلك يقدم له حصاناً هادئاً ذلولاً ويدعوه إليه فاذا جعل يصعد على ظهره ويحـكم الجلوس عليه ولا ينفر منه أخرجه إلى الصحراء وجعل طعامه فيها ثم لا يزال يؤلّفـه على الحصان ويُحكِم إجابته إليه حتى يجعله يجري وراءه وهو يعدو عدْواً سريعاً ثم يطعمه بعد ذلك يومـاً ويُغبّه يوماً فإذا أنس هذا الأنس الذي يجعله يتبع صاحبه كما تتبعه الكلاب السلوقية ويجري وراء حصانه المُعدّ لركوبه ويمتطي صهوته يكون قـد أُدّب الأدب الذي يُمكّن الفهّاد من تضريته على الصيد .

وعند ذلك يخرج به إلى الصحراء ويأخذ معه غزالاً ثم يخلّيه أمامه فإذا أخذه ذبحه بين يديه وقدّم له القصعة وجعل فيها ما يكفيه من اللحم الطري مع شيء من دم الغزال فاذا شبع أركبه الدابة وعاد به ثم يكرر ذلك مراراً حتى يألفه فاذا أحكم ذلك أخرجه إلى الصحراء وطلب به غزالاً وَطِيّاً فإذا صاده أشبعه منه ثم يكرر ذلـك معه مراراً فاذا أتقنه أخرجه الصائد إلى الفلاة وطلب به عجول بقر الوحش فانه يصيدها [1]

(١) انظر البيزرة : ١١٨ ، ١١٩

ضروب الصيد بالفهد :

وللصيد بالفهد ضروب ثلاثة هي: صيد المُكابَرَة[1] وصيد الدَّسِيس[2] وصيد المُذانَبَة أو الإذْناب .

أمـا صيد المكابرة فهو أن يلقى الصائدُ الظبي بفهده مواجهةً ومكافحة فحيث أمَّ الظبيُ وجّه الصائدُ فهـده نحوه وقابله به وأطلقه عليه فيلقاه وجهاً لوجه كما يلقى الفارس قِرْنه ويجول عليه كما يجول على خصمه .

وفي هذا الضرب من الصيد تعسُّفٌ شديدٌ وإعنات بالغ للفهد وهو صيد الملوك ، ولعلهم آثروه على غيره لأنـه أمتعُ من الضربين الآخرين وأبعث على الإثارة .

أما صيد الدسيس ـ والدسيسُ في اللغة الخَتْلُ وإخفاء المكر ـ فسبيلُه أن يتحرّى الصائد الظباء فإذا وجدها ترعى غافلةً غير آبهةٍ مكَّن فهده من رؤيتها ثم أرسله عليها من بعد مُعارضاً إيّاها لا مواجهاً لها كما هو الشأن في صيد المكابرة

ويتلطف الصائد ما وسعه التلطف في إرسال الفهد من غير إزعاج له أو إقلاق ، عند ذلك تجد الفهدَ في أروع صوره وأبرع حالاته فهو يطأ الأرض برفق ويمضي نحو الظباء الراتعة في خفة ورصانة رافِعاً يداً وواضِعاً يداً على وزن متساوق وقدْرٍ متناسب ، ويستمر على ذلك مـا دامت الظباء ناكسةً رؤوسها في المرعى فـإذا رفعتها وخاف منها أن تنتبه له أمسك نفسه على الصورة التي انتهى إليها ، فلا يتقدّم ولا يتأخر ولا يرفع اليد الموضوعة ولا يضع المرفوعة ، فـإذا طأطأتْ رؤوسها ثانية سلك سبيله الأولى وهو أشدُّ حذراً وأكثر أناةً حتى ليصحّ فيه وهو على هذه الحال الوصفُ الذي وصف به رؤية الصائد حيث قال :

---

(١) المكابرة : اصطلاح يستعمله الفهادون ويريدون به المواجهة

(٢) الدسيس في اللغة إخفاء المكر

« َقبات َ لو يَمْضَغ ُ شَرْيَاً ما بَصقْ »

حتى إذا اقترب من طريدته الراتعة الغافلة حبس أنفاسه وامتلأت رئتاه من الهواء وحمي جسده ووثب على فريسته وأمسكها بكلتا يديه ولبث واقفاً حتى يأتي فهّاده ويأخذها منه .

وعلى الفهّاد عند ذلك أن يريحه ريثما يَخرج نفسُه من رئتيه وتبُرد غلتّه ثم يذبح الطريدة أمامه ويشق له قلبها ويطعمه منها ويسقيه ما يرويه من الماء إن كان الزمان حاراً ودون الري إن لم يكن الحر شديداً ، ثم يبتغي به طريدة أخرى .

أما صيد المذانبة فسبيله أن تكون الظباء سائرة في سرْب فتأتي من خلفها وتطلق الفهد في إثرها ومن وراء أذنابها ، وهو أكثر ضروب الصيد استعمالاً وأقلها إعناتاً للفهد وكداً ، وهو صيد الدهاقين والفهّادين الذين يصيدون لأنفسهم [١] .

وأول من صاد بالفهد كسرى أنو شروان أحد ملوك الطبقة الأخيرة من الفرس [٢] .

ويقال «إن أول من صاد بالفهد ُكلَيب بن وائل وقيل همّام بن مرة وكان صاحب لهو وطرب» وأول من حمله على الخيل يزيد ُ بن ُ معاوية بن أبي سفيان وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراساني » [٣] .

وللفهد عند هواة الصيد مكانة ٌ كبرى ومقام مرموق وقد عقد كلٌ من صاحب المصايد والمطارد وصاحب البيزرة باباً خاصاً لامتهان الملك والرئيس نفسيهما في الصيد بهذا الضاري ومباشرته به [٤] .

---

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٨٣ ، ١٨٤

(٢) صبح الأعشى : ٣٨ ولي الملك سنة ٥٣١ ٢ (انظر تاريخ إيران : ٦١٧/١)

(٣) نهاية الأرب : ٢٤٧/٩ والصيد والطرد عند العرب : ٧١

(٤) المصايد والمطارد : ١٩٦ والبيزرة : ١٢٨

الصابي يصف الفهود :

وقد أولع الشعراءُ والكتاب بوصف الفهود شعراً ونثراً فمن ذلك قول أبي اسحاق الصابي في رسالة طردية: «وكان معنا فهود أخطَفُ من البروق، وأسرع من السهم حين المُروق ، وأثقف من الليوث وأجرى من الغيوث ، وأمكر من الثعالب ، وأدبُّ من العقارب ، خُمْص الخصور، قُبُّ البطون ، رُقْش المتون، حمر الآماق، خرْز الأحداق، هرْت الأشداق عراض الجباه، غُلْب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب ، تلحظ الظباءَ من أبعد غاياتها ، وتعرف حسّها من أقصى نهاياتها ، تتبع مرابضها وآثارها ، وتشم روائحها وأبشارها » [1] .

ابن الأثير يصف فهداً :

ومن ذلك أيضاً ما كتبه ابن الأثير الجزري يصف فهداً بعد أن ذكر ظبياً فقال: فأرسلنا عليه فهداً سَلِسَ الضريبة ، ميمون النقيبة مُنْتَسباً إلى نجيب من الفهود ونجيبة ، كأنما ينظر من جمْرة ويسمع من صخرة ويطأ من كل بُرْثُن على شَفْرَة ، وله إهاب قد جُبِل من ضدين : بياضٍ وسواد [2].

---

(١) نهاية الأرب : ٩/٢٤٨

(٢) نهاية الأرب : ٩/٢٤٩

٣ ــ عَنَاق الأرض

عناق الأرض وجمعه عنق وعنوق ويسمى التَفَّة والغَنْجَل وهو دابـــة أصغر من الكلب وأكبر من السِّنَّوْرِ ، حسن الصورة ، طويل الظهر ، ذو أذنين سوداوين وجسد يشبه في لونه لون البعير الأحمر وهو يحكي بصورة عامة شكل الفهد

وعَنَاق الأرض معدود في جملة السباع لأنه لا يأكل غير اللحوم .

وهو من الجوارح التي تُضَرّى على الصيد فتضرَى وتصيد صيداً غاية في الجودة والملاحة يفوق في جودته وملاحته صيد الكلب .

وهو يصيد كل شيء إذا عُلِّمَ ، شأنه في ذلـــك كشأن الفهد وهو مع ذلك يصيد الطير أيضاً ، فربما صاد الكركي وما قاربه ، فإذا طار الكركيُّ وَثبَ عليه وَثْبَةً شديدة في الهواء وأخذه برجله .

وهو كالفهد من حيث الاستخفاء عن الطريدة وختْلِها حتى يظفر بها .

وهو حيوان وحشي ربما واثب الإنسان فعقره ، وقـد ضُرِبَ به المثل فقيل : « لقي فلان عناق الأرض » أي داهية .

ولم تكاثر كتب البيزرة من الحديث عنه بل إن بعضها أغفله إغفالاً تاماً وذلك لأن أكثر استخدامه في بلاد العجم والموصل وبلاد الروم [1] .

(١) انظر الحيوان : ١/٣٥٢ وأنس الملا: ٧٤ والمصايد والمطارد: ٢٢٥ و الصيد والطرد عند العرب : ٨٣

الفصل الثامن

أمراض الجوارح والضواري وعلاجها

أ – أمراض الجوارح :

لا بُدَّ لمؤدِّب الجوارح من أن يكون عالماً بصحَّة الطيور ، واقفاً على ما يعتريها من الأمراض ، عارفاً بأعراض كل مرض وسُبُل علاجه .

علامات صحة الطَّيْرِ :

وعلامة صِحَّةِ الطائر أن يصبح صافيَ اللون كأنَّ الدُّهن يجري في ريشه ، وأن يُبادر إلى فرْدِ جناحيه ، وأن يكون عظما فخذيه مستويين معتدلين .

وأدَلُّ من ذلك على صِحَّةِ الطائِرِ اعتدالُ نَبْضِه – وهو موجودٌ في أصل جناحيه – فإذا كان نبضُه يضرب أبداً في اعتدالٍ دَلَّ ذلك على سلاَمَتِه ، أمَّا إذا كان يضرب بسُرْعةٍ فذلك يدل على أنَّه محرورٌ ، أو كان يضرب بِصَلابة فإن ذلك يدل على أنه قد استولى عليه اليَبَسَ [1] .

(١) انظر المصايد والمطارد : ١١٥ والصيد والطرد عند العرب : ٥٧

وأدلُّ من هـــذا وذاك على صِحَّة الجارح « ذُرْقه »[1] ؛ فإن الذُّرْقَ للطائرِ بمنزلة البَوْلِ للإنسان ، فكمـــا يستدل الطبيب الحاذق على عِلَّةِ الإنسان بِبَوْلِه فكذلك يستدل البصير بالطيور عامَّة والجوارح خاصَّة على اعتلالها بذُرقها .

بل إن الذُّرْق أصدق دلالة من البول؛ لأنَّ الجارِحَ لا يَتَعَدَّى طعامَه الذي اعتاده وهو اللحم .

أمـا الإنسان فربَّما اشتكى عِلَّة من حرارة شديدة ونحوها مِمَّا يوجب أن يكون بَوْلُه على صفة مُعَيَّنَة ، فيتناول شراباً أو يأكل طعامـاً ؛ فتتغيَّرُ صِفَة بوْله ، ويُصْبِحُ دالاً على عِلَّة غـــير علته ويُشْكِلُ على الطبيب أمره[2] .

فإن كان الجارح صحيحاً معافىً أساغ طعامَه، وإن كان سقيماً لم يُسِغه، ويبدو الأمران في ذُرقـه ، ولا يخفيان على البصير . فإذا كان ذَرْق الطائر نضيجاً متماسك الأجزاء مُتَّصلاً غير متقطّع شديد البياض رقيق السَّواد ، ليِّن الظاهر يابس الداخل ، منفصِلاً عن مكانـه بسهولة فذلك دليل سلامته وخلُوِّه من الأمراض الباطنية[3] .

أمـا إذا جاء الذُّرْق مخالفاً لما وصفناه بأن كانت الذُّرْقة بيضاء شديدة البياض قليلة السواد ، خشِنةً شعِثةً مقطّعة عسِرةً في خروجها فذلك يدل على أنَّ الطائر مصاب بالجِصّ .

وإذا رأيتُ الذرقة قـــد اختلط سوادها ببياضها ، والسوادُ يغلِب على البياض ، فإن ذلك يدل على تعب لحق الطائر بالأمس .

---

(١) يطلق على براز الطائر اسم الذرق

(٢) انظر البيزرة : ٧٩

(٣) انظر المصايد والمطارد : ١١٥ والصيد والطرد عند العرب : ٥٧

وإن رأيتها مختلطة : فيها صُفرةٌ وهي كَدِرَة مقطّعة فإن ذلك يدل على بَشَمٍ حديث .

وإن رأيتها على هذه الصِّفة وهي مدوّرة غير ممدودة ، فان ذلك يدل على تُخمَة قديمة .

وإن رأيتها مُزَنْجِرَةً [1] قد خالطها يسيرٌ من السَّوادِ والبياض وكرَّرها الجارح فإن ذلك يدل على « الإسطارم » ، والإسطارم بالنسبة إلى الجارح بمنزلة السلّ من الإنسان [2] .

غيرَ أنه يحسنُ بسائس الجوارح ألا يتَعجَّلَ في الحكم على ذرق الطائر ، فقد يكون تغيُّرُه ناجماً عن أكله لحم طائرٍ قد رَعى ما يخالف طَبْعَ الجارح فيتغيَّر لذلك ذرقه طَوال يومه ثم لا يلبث أن يعود إلى ما كان عليه ، وربَّما تَغَيَّرَ ذرقه إذا بات على الطوَى فتكون تلك الذرقه من فضول جوفه .

هذا ويجب على سائسِ الجوارح ألا ينظرُ إلى ذرق الطائر وَحدَه ويَدَع ما عداه من الشواهد ، لأن الطبيب الماهر لا يحكم على المريض ببَوله دون أن يَجُسَّ جَسَدَه ، ويتأمّل حاله ؛ فقد تجد في ذرق الجارح ما يدل على أنَّه مُزَنجرُ مسلول ، ويكون مع ذلك صافيَ العين ، مُمْتلِىءَ الصَّدر ، حسن الخال ، والمسلولُ لا يمكن أن يكون كذلك أبداً .

ومن هنا كان على البازيارِ أن يتفَقَّدَ حال الجارح ؛ فينظر إلى عينيه وَجسَدِه ونبضِه وريشه ومِنْسَره ، ومخالبه وحسن استمرائه للطعام ، وإلى ما أكله بالأمس حتى يستطيع الحكم عليه [3] .

فإذا أغمض الجارح عينَه ، وسال منها الماءُ ؛ فهو مطروف ، وقع في عينه قذىً .

---

(1) مزنجرة : مصفرة

(2) انظر البيزرة : ٨٠

(3) انظر البيزرة : ٨٠ — ٨٢

وإذا نفَش ريشَه وجعل يرفع رجْلا ويضع أُخرَى؛ فهو مبرودٌ مقرور.

وإذا كان فاغِرَ الفم دائم اللَّهَثِ جاحظ العين مُنْضَمَّ الريش والجناحين؛ فهو حرّان محموم.

وإذا أغمض عينيه وجعل يمسحُها بمنكبيه، وضرَب فيهما عرقان وأخذ يطرِف كثيراً؛ فقد أصابه الجِص في لَهاته.

وإذا حرّك رأسه، وجعل يضرِبُ صدره، واضطربَ على اليد عند حمْله؛ فقد أصابهُ الرّبْوُ وداء النفَس.

وإذا أرخى ظهرَه وجناحيه وعجُزَه؛ كان به ريحٌ.

وإذا تشقّقَتْ رجلاه وسال منهما الماء الأصفر كانت به بواسيرُ.

وإذا ارتعدَ ولم يثبت على الكندرة [1] فهو مُنقَرِسٌ.

وإذا جعل يشبك مخالبه ويسقُط على جؤجئه [2] ويمتنع عن تناول طعامه؛ فهو مصابٌ بالديدان في بطنه.

وإذا كان يقيء طعامه، ولا يُبقي عليه في حوْصلته، أو يحبسُه فيها ولا يُسيغُه فهو مُتخَمٌ.

وإذا ورم ما فوق كفّيه وتعمّد نتف ريشه، ففيه ديدانٌ كبزر القرع.

وإذا هدل جناحه الأيمن وحكّ مِنْسَره؛ كان مصاباً في كبده.

وإذا جعل يثب على يد حامله في رعْدَة؛ فهو مصاب باحتباس الريح.

وإذا قرْقَرَ بطنه؛ كان به ريحٌ غليظ.

وإذا أكثر من التفلّي، فهو مُبتلىً بالقمل.

وإذا ساء نظرُه وظلّتْ عيناه صافيتان؛ فقد نزل عليهما الماء.

---

(١) كندرة البازي: مجثمه الذي يهيأ له من خشب أو غيره، وهو دخيل، وقد ضبطه صاحب اللسان بضم الكاف، أما صاحب القاموس فقد فتح كافه.

(٢) جؤجؤ الطائر: صدره

عناقُ الأَرْض



عناق الأرض معدود في جملة السِّباع لأنه لا يأكل غير اللحوم ، وهو يصيد كلّ ما يصيده الفهد من الوحوش ، وهو مع ذلك يصيد الطير ، فإذا طار الكركي وثب عليه وثبة شديدة في الهواء وأخذه برجله .

وإذا امتنع عن الالتواء – في أثناء الطيران – على اليمين أو على اليسار ؛ دلَّ ذلك على علَّةٍ في الجانب الذي لا يلتوي عليه .

وإذا لم يثبُت على الكندرة ، وأكثر النزولَ عنها ، وكان مع ذلك عسيرَ التنفُّس شديد الحرارة مكثراً من شرب الماء ، فذلك من علامات موته [1].

وإذا رابك من الجارح أمرٌ ، وتوهَّمت به علَّة فارفق به ، وسمِّنه ، فإنّ السِّمن رُبّما ذهب بالداء من غير علاج ، وإذا كان لا بُـــدّ من العلاج فلأن تعالجه وهو سمينٌ خيرٌ من أن تعالجه وهو مهزول ضعيف [2] .

بعدهذه الإلمامة الموجزة بالأعراض التي تعتري الجوارح سنعرض بالتفصيل لأبرز الأمراض التي تصيبُها مع بيانٍ لما كان يستعمله البيازرة من علاج لهذه الأمراض.

وقد عرضنا هذه المعلومات على أطباء بيطريين مُختصين فأيّدوها وقرّروا أن التشخيص الوارد فيها محكم دقيق؛ غير أنّهم أفادوا بأن علم الأدوية الذي توصّل إليه المحدثون اكتشف من الأدوية مـا هو أيسرُ استعمالاً وأكثر فائدة من ذلك الذي ذكره الأقدمون لكنّهم أفادوا أن هـــذا لا يمنع من استعمال الأدوية القديمة عند الحاجة وفقدان الدواء المستحدث .

أمراض العين وعلاجها

١ – العَشا :

وهو عدم الإبصار ليلاً ، وسببه بَرْدُ الدّماغ ، وعلاجه : منع اللحم عن الجارح ، والاقتصار في غذائه على الحبوب ، ويقطر في عينه ماء الورد الذي حُلّ فيه شيءٌ من السكر النقيّ .

٢ – الغِشاوة :

وعلاجُها: أن يقطر في عيني الجارح مرارة ديك أو غيرِه من الطيورِ ، وأن يكحل بمسحوق السُّكَّر واللؤلؤ .

---

(١) انظر في تشخيص أمراض الجوارح كلا مـن المصايد والمطارد : ١١٥ – ١١٦ والصيد والطرد عند العرب : ٥٧ .

(٢) انظر البيزرة : ٨٠ وما بعدها

٣ – سيلان الدموع والرطوبات :

وعلاجه أن يَقطر في عيني الجارح ماء الآس فإن لم ينجح حُكَّ فيه التوتياء.

٤ – الجدريُّ :

وهو زوائد حمرٌ مستديرَة تعتري أجفان الشواهين والكواهي والعفاصي [١] ، وعلاجه : دَلْكُ الزوائد بالثوم ثم يُذَرُّ عليها رماد ورق الزيتون ، فإمَّا أن تبرأ وإما أن تتحوَّل إلى ثآليل صلبة ، وفي هذه الحالة تقطع بسكينٍ حادَّة محماة بالنار ، على أنَّه لا يجوز قطعُها قبلَ أن تتصلَّب.

٥ – سلاق الجفن واحمراره :

وعلاجه : أن يقطر في عين الجارح ماء الورد ممزوجاً بدهن الفستق .

٦ – البَزْلَة :

وهي بُثْرَةٌ في العين وورم في المآقي يَصحَبُه سيلانٌ وعلاجها إدامة تقطير الخمر في العين ممزوجاً بشيء من دهن الورد .

٧ – الجَرَب :

وهو خشونة الجفن واحمراره ، وعلاجه : أن يُحَكَّ إن كان غليظاً ، وإلا فيقتصرُ على طليه بالخمر المعجون بالإسفيداج .

٨ – كثرة الدَّمع مع تغميض العين والإعراض عن الطَّعامِ :

وسببه دخانٌ أصاب الجارح ، وعلاجه : تقطير دهن البنفسج في العين ممزوجاً بحليب النساء .

أمراض جهاز التنفُّس وعلاجها

كثيراً ما تتعرَّض الجوارح لأمراض جهاز التنفُّس ، فيضعف بسبب ذلك نشاطها وتهِنُ قواها وتعجز عن الصيد .

---

(١) الشواهين والكواهي والعفاصي : طائفة من الجوارح التي مر ذكرها في الفصل السادس من هذا الكتاب .

وعلى البازيار ـ إذا شعر ببوادر المرض ـ أن يكف عن الصيد بهـا وأن يبادر إلى علاجها خشية حدوث المضاعفات التي قد تؤدّي إلى هلاكها. وأمّ أمراض جهاز التنفّس :

١ – التّهيُّج :

وهو ضيق التّنفس ، وعلامتُه أن يفتح الجارح َفمَه ، وأن يتواتر َنفَسُه وُيسرِع نبضُه ، وأن يسخُن كفّاه ويضعف ريشُه ، وأن تهدأ حركته ، وأن يشتد ميله إلى الماء .

وتصاب الجوارح بالتهيج : إمّا بسبب إتعابها وكدّها في الصيد ، وإمـا بسبب تمكينها من الماء إثرَ التّعب الشديد .

وقـــد تكون إصابتها بالتهيُّج ناجمةً عن مجاورتها للدخان أو الغبار أو تعرّضها للحرّ الشّديد .

وعلاجه أن ُيسقى الجارح الصُّموغ المحلولة بالشيرَج أو ُدهن السّوْسَنِ ، وأن ُيلقى الطّينُ الأرمنيُّ في ماء ُشرْبه .

وقد ُيكوَى في جانبي ِمنسرِه ومقدّم رأِسه بعود آسٍ خفيف .

٢ – السلُّ :

وعلامته خفـّة الريش، وارتفاع الحرارة ، وهزال البدن ويعالج بالإكثار من شرب لبن الأُتنِ ، وابن الضّأن ، وينوّم على القـُطـُفِ .

٣ – السّدّة في المِنخرين :

وسببها تعرض الجارح للدخان أو الغبار ، وعلاجها أن ُيقطر في منخري الجارح دهنُ الورد أو البنفسَج ، وأن ُينظف بمرودٍ أو ريشة أو نحوهمـا .

وقد ُيستعملُ في علاج َسدّة المنخرين التحنيكُ بالصبر ممزوجاً بيسيرٍ من الدهن لتسهيل ذلك عليه ، وقد ُيستعمل لذلك الثوم المدقوق الممزوج بخـل العِنب العتيق ، حيث ُيقطر منه في منخري الجارح ، وُيمْسَك مقدار ساعة على اليد ؛ فإنـّه َينفـُض ما في رأسه ، ثم تشده على الكندرة في الشمس ، وتضع بالقرب منه ماءً ليغتسِل فيه ؛ فإنه يبرأ .

وإذا أطعمت الجارح المصاب بالسّدّة ؛ فليكن معك جناح حمـــام فيه بعض اللحم ، ودعه ينتفه فإنّه لا بدّ من أن يسيل من منخريه الماء فيعطس لذلك ويخرج ما في رأسه من الداء في عطاسه .

٤ – السعال :

وهو كثيراً ما يعتري العقاب والبازي فتضعف قواهما ، وعلاجه: أن يُسقى الجارح الألـُعِبة ، وهو دواء يتخذ من بـــذر السَّفرْجل ونحوه ، ويُعطى مع الألعِبةِ الصموغ .

٥ – الخُنَّاق :

وعلاجه أن يبرّد الجارح بماء الورد شرباً وتقطيراً، ويسقى الطين المختومَ ولعابَ بذر الريحان وماء التين ممزوجاً بالطين الأرمني ، ويُنوّم على الآس .

أمراض اللسان والفم

ويلحق بأمراض جهاز التنفس أمراض اللسان والفم ، وأهمها : الخشونة، وهو مَرضٌ يظهر للبازيار بلمس فم الجارح ولسانه ، وعلامتُه الإعراض عن الطعام ، ووجود الرّطوبة في البدن ، وعلاجه أن يُمجّ في فم الجارح مـــاءُ الورد الذي نقِـع فيه السفرْجَـل والِحلبة، وأن يدْلك فمـه ولسانه بذلك، وأن يقتصر في طعامه على لحم المصافير .

ومن أمراض الفم واللسان « تشنُّج عضلات الازدراد » ، وعلامته عـدم القدرة على البلع ، وعلاجه : أن يسقى الجارح من مـاءٍ طبخ فيه التين وأن يمرّخ بدهن اللوز .

أمراض جهاز الهضم وعلاجها

تتعرّض الجوارح لطائفة من الأمراض التي تصيب جهاز هضمها وأهم هذه الأمراض :

١ – البشم :

وهو التـُّخمة، وسببها قلـّة الحركة وبرودة المكان وتوالي الأطعمة الدّسمة، وتتابع الأكل عن شَرهٍ من غير حاجة .

وبعبارة أدق إن اسباب التخمة تنحصر في إدخال الطعام على الطعام ، ومعاجلة الشُرْب ، والاخلال بترتيب الاطعمة .

وعلامة البَشم إرخاء الاجنحة والرأس ، والنزول عن الكندَرة ، وكثرة التمرغ على الارض ، وإذا كان الفساد في الحوصلة – وهي تقابل المعدة من الإنسان – زاد مع ذلك الغثيان والقذف ، وفتح المنسر ، وخروج اللعاب المتغيّر .

وعلاج البَشَم أنْ يطيل البازيارُ جوع الجارح ، وأن يجعل إقامته في بيت مظلم لكيلا يؤذي نفسه بسبب كثرة الاضطراب وأن يُقتّر عليه في الطعام ، وأن يمنع عنه كلّ ما فيه دهنٌ ، وأن يقتصر في طعامه – خلال ثلاثة أيام – على الارْز والذرة والحنطة ، ثم يطعمه لحم الذكور الصغار من الطير كالعصافير ونحوها وعليه أن يبعثه على الطيران من حين إلى آخر .

ثم يؤخذ الزنجبيل والمصطَلى والكراوية و « الدارُصيني » والقُرنفل ويدق ويمزج بعضه في بعض ثم يعجن بالعسل والسكر ويجعل حباً صغيراً كالفلفل ويطعم الجارح من هذه الحبوب بعد لفها باللحم وقد يلجأ إلى ماء التين لتليين ذرقه .

وروى « أدهم » عن « سوماخس » أن البشم يعالج بغلي المصطَلى والقرنفل بالماء ، ثم يسقى منه الجارح ويُنقع فيه اللحم الذي يقدّم له ، ويداوم على هذا العلاج حتى يبرأ الجارح ، وعلامة شفاء الجارح من البشم صفاء ذرقه .

٢ – السّواد والرّياح والقراقر :

وعلاماتها انتفاخ الجارح وقلة أكله ، وعلاجها أن يُطعم الجارح المعجون السابق – وهو المعروف بمعجون الخزف لأنه يدق في إناء خزفي – ، وأن يُقتصر في غذائه على لحم الغزلان والارانب والخطاطيف ، وأن تليّن امعاؤه بزيت الفار ، أو تسهل بأكل كبد الشاة وشرب لبن الاتان .

وإذا أصيبت « الكَـواهي » بهذه الامراض ؛ أخذت قطعة « نوشادرٍ » نقية ولفت بقليل من الزبد والسكر وأطعمت « الكوهي » فإذا أكلها سقي الماء بعد ساعةٍ ، فلا يلبث أن يتقيأ ، ثم يصح .

٣ — الدود :

وهو إمـا أن يكون في حوصلة الطائر وإما أن يكون في أمعائه ، وعلامتـُه ـ إذا كان في حوصلته ـ أن ينكس الجارح رأسه ويكثر من فتح مِنسَره ، وأن يذبل جسده .

أما اذا كان في أمعائه فعلامته أن ينتف الجارح ريشه ، وأنْ يتمرّغ على الارض، وأن يقِل طعامه، كما تكون علامته في خروج الدود مع ذُرْقه.

وعلاجـه أن يُطعم الجارح ورق الخوخ مـع اللحم ، وماء اللفت ساخناً مع العسل .

وهناك وسائل أخرى لعلاج الدود ذكرها البيازرة منها : أن تأخذ شيئاً من قشر الرُّمان الحامض اليابس ثم تدقه دقاً ناعماً ثم تذروه على « بَشْتَـمازك » الماعز وتطعم منه الجارح ثلاثة أيام فإنه يبرأ .

ويعالج أيضاً بـأن تأخذَ رمانة حلوة وتعصرها ، ثم تقطع « بشتمازك » الماعز قطعاً صغاراً وتلقيها في عصير الرمان وتطعم منهـا الجارح . ويعالج أيضاً بأن تأخذ مقداراً من الِحمِّص وتقليَـه قلياً خفيفاً، ثم تقشره وتدقه دقاً ناعمـاً ، وتأخذ ثلاث قطعٍ من اللحم فتدهنها بيسيرٍ من العسل ، ثم تذرّ عليها ذلك الحمِّص ، وتطعمها للجارح ، فإنه يرمي ما في جوفه من الدود .

٤ — البواسير :

وعلامتها ضعف ُقوى الجـارح وتغيُّر براثنه ، وفساد هضمه ، وخروج الدّم مع ذرقه .

وعلاجها : أن يطعم الجارح من طبيخ بزر الكتان وزيته ، وزيت « البطم » ودهن الجوز و « النّارجيل » ، ويدهن بذلك المزيج .

أمراضُ الرّجلين وعلاجها

كثيراً ما تصاب الجوارح بأمراضٍ في رجليها وأهم هذه الأمراض :

١ – مرض المفاصل :

وعلامتُه أن تعتريَ الطائرَ رِعْدَةٌ وألا يستطيع الوقوف ، وهذا المرض إمّا أن يكون ناجماً عن صدْمةٍ أصابت رجل الجارح ، وعند ذلك يُكتفَى فيعلاجه بأن تُدْهن الرجلُ بدهن البابونج و «المومياء» و «اللادن» ، وقد تدعو الحاجة إلى إلصاق شيء على رجله ليثبت عليها الدهن كبراءة خشب العُنّاب ومسحوق الآس والحلَب وإما أن يكون ناجماً عن أسباب باطنيّة داخليّة؛ فإذا كان المرض حادّاً وظهر نتوءٌ على رجلي الجارح وُضِعَ عليها العلق ليمتصّها، وإن لم يكن حادّاً اقتصِرَ في علاجه على دهن البنفسج وشُرْب ماء العُنّاب والورد ، ولصق الطين الأرمني المعجون بماء الورد، هذا إذا كان الوقتُ صيفاً ، أما إذا كان شتاءً فيُعْجَنُ بماء الكرَفْس ... ويُسقَى دهن الجوز والنارجيل أو الخروع ، ويطعم ذكورَ العصافيرِ مع دهن اللوز المرّ والسُكّر ، ويُنطَلُ [١] بالحلبة والبابونج والشّبّ .

ويحسن أن يُسقى الزّعفران بالماء القراح ، وأن يُلقى عند رجليه صوفٌ مغموسٌ بالخلّ بعد أن يُطبخ فيه الحرْمَل .

٢ – النِّقْرِس :

وهو كمرض المفاصل من حيث علاماتُه وعِلاجُه ، لكنّ العلامات في النّقرِس أشدُّ ، والرّعدة أقوى وأكثر ، ويُزاد في العلاج أن يُشرَّح المكان المُنقرَسُ تشريحاً خفيفاً ، وأن يكوَى بالآس ، وأن يُلصَق عليه الصّبرُ والزّعفران ممزوجين بدم الدجاج .

---

(١) يقال : نطل الطبيب رأس العليل إذا صب عليه النطول قليلا قليلا ، والنطول ماء تغلى فيه الأدوية ويصب على العضو المصاب .

٣ – المسمار :

وهو مرض تصاب بـــه الجوارح عامة ، ويغلب أن تصــاب به الصقور والشواهين خاصة .

وعلاجه يكون بالكي ثم ُيطلى بعــد ذلك بعلك البطم [١] والمرهم ، وُتلـَفّ كندرته بلبدة .

وبعض البيـــازرة لا يستعملون الكيّ ، وإنـّما َيلـُفـّون الكندَرة [٢] باللبدة ويبّللونها بالماء والملح ، فإذا وقف عليها الجارح وطال وقوفه؛ سقطت المساميرُ .

٤ – ورم الكفـّين :

قد يكون ورم الكفين ُمتسبّباً عن التـّخمةِ ؛ وقد يكون سببه انصبابُ مادة حادّة على الكفّ .

والفرق بين الورمين أنّ موضع ورم التـّخمة باردٌ ، وموضع ورم المــادة حارٌ .

وقد يحدث الورم من َفتـلِ الجارحِ أصابعَه ، فتصاب كفـه عند ذلك بالورم .

فإن كان سبب الورم التـّخمةَ فليس له من علاج إلا الجراحة ، واستعمال الأدوية التي َتمتَصُ مــا في موضع الورم من فضول .

وإذا َعزَم البــازيار على إجراء الجراحة فعليه أن يلفّ على موضع الورم خرقة كتـّان مبلولة وأن يتركها ساعة ثم ينزعها عنــــه ، ثم يقشر موضع الورم بسكين حادّة حتى يتبيـّن له موضعه، ثم يشرطه طولاً – لا عرضاً – بـِمِبْضَع ، وليُحَاذِرْ أن ُيصيبَ عروقه وأعصابه .

---

(١) البطم : شجر كشجر الفستق له حب على هيئة عناقيد كالفلفل .

(٢) الكندرة : مجثم البازي يصنع من الخشب ونحوه .

ثم يغسِلُ عنـه الدمَ ويدهنه بدهن الوَرْدِ ، ويضع عليه لوقته صفار البيض النّيء ويشدُّه بخرقة فإنّه يبرأ . وإن كان الورم من انصباب المادة الحارّة أو فتل الأصابع فإنّه يعالج بِطَلْيِه بمزيج من القاقيا[1] والمُغاث[2] والمُرّ [3] ودقيق الشعير وبياض البيض .

أمراض المنسر وعلاجها

يتعرّض مِنسَر الجارح إلى طائفة من الأمراض أهمها :

١ - غِلظُ المنسر :

وهو بمثابة الورم بالنسبة إلى الأعضـاء الأُخر ويحدث غلظ المنسر إمّا بسبب خارجيٍّ كصدمة ونحوها وإما بسبب داخليٍّ .

وفي الحالة الاولى يعالج بدَلْكِه بالآس واللادِن ، أما في الحالة الثانية فيعالج بأن يُدْهن بدهن اللوز ، وبيض الحمام ودهن الفستق . وإذا تشقّق المِنسَرُ وغدا عليه مثل القشور دُهِن بالخروع الذي غُلِيَ فيه شيءٌ من قرْن الماعز والعجل .

هـذا وقد يولع الجارح بنتف ريشِه بِمِنسره وقد يُغرَى بنقر مخالبه وإدمائها به .

وسبب ذلك إما طول ربط الجارح ووحشتُه ، وإما رؤيته جارحاً آخر يعمل ذلك ، وإما قوّته وَفرْط نشاطه للصيد . وعلاج هـذه الحالة يكون بتقليم منسره للتخفيف من حِدَّته ، ثم يدلك بالدارصيني .

---

(١) القاقيا : عصارة القرظ وهو الثمر المعروف ، ويتخذ منه رب يداوى به .

(٢) المغاث: شجر يكون عروقاً غليظه في الارض؛ عليها قشر ضارب الى السواد والحمرة، وله أوراق عريضه ، وزهر أبيض .

(٣) المر : - بضم الميم - دواء يسيل من الشجر المعروف باسمه فيجمد قطعا كالأظفار، وهو طيب الرائحه مر الطعم .

وقد يؤخذ لوح رقيق من المُقوّى ونحوه ويخرق من وسطه ويُدخَلُ فيه رأسُ الجارح حتى يبلغ جناحيه وذلك ليحول دون منسره ودون ريشه ومخالبه ، ثم يرفع عنه وقت الأكل .

٢ – القُلاعُ :

وهو داء يُصيب باطنفم الجارح، وعلاجه أن يُحنّك بالصبر والعسَل، ويمكن أن يُشق موضع القلاع بمبضع ، ويُحشى حبّة كافور .

أمراض الريش وعلاجها

يتعرّض ريش الجارح لامراض بالغة الاهميّة وأبرزها :

١ – مرض القمل :

وهو مرَض شديد الخطر كبير الأثر يصيب ريش الجارح فيفسده ، وربما قضى على الانتفاع بالجارح قضاءً مبرَماً ؛ ولذا قال البيازرة : « إن إحكام معالجة هذا المرض نِصفُ البيزرة » .

والقمل يتولّد في الجارح بفعل البازيار نفسه وبتفريطِ منه ؛ فهو إذا أطعم الجارح اللحم قد يبقى على مِنسَره شيء منه فيبيت وهو عالق به . والجارح من عادته أن يضع رأسه تحت جناحيه ليلا ، فإذا فعل ذلك وفي منسره شظايا اللحم وأثر الدُّهن أصابه القمل . وإذا لحق القملُ الجارحَ حرَمه طيبَ المنامِ ، ولذة الطعام ، ومصّ دمه ، وأذاب جسَدَه وتركه جلداً على عظم وحال دونه ودون الصيد .

وقد لا يُرى القمل لصغره ، ولاختفائه في أصول ريش الجارح ، وعند ذلك يُستدَلُّ عليه بقلق حركته ، ونفش ريشه ، ووهن قواه ، وغُؤور عينيه .

وعلاجه أن يُطلى جسَدُه كله بالزرنيخ ، وأن يُخص بذلك عنُقُه وأصولُ ريشه من تحت جناحيه وأصل ذنبه .

وليس هناك علاجٌ أبلغ من الزرنيخ في إبادة قمل الجوارح .

٢ ـ ضعف الريش والتواؤه :

وهو مرَضٌ يغلب أن تُصاب به الجوارح المهزولة، وعلاجه: أن يداوَى جهاز الهضم عنده وأن يكثر من الكلس في غذائه .

أمراض الحَرّ والبرد وعلاجها

١ ـ مرض الحَرّ :

كثيراً ما يصاب الجارح بمرض الحر وقد يتسبب ذلك عن إجهاده بالصيد في يوم قائظ .

فإذا أصيب الجارح بمرض الحرارة أريح من الصيد ، وجعِل في طعامه شيءٌ من دهن الورد وجعل في شرابه شيء من ماء الورد وتُرِك على هذه الحال مدة يومين ، فإن ذلك يبرئه .

٢ ـ مرض البَرْد :

وكما يصاب الجارح بمرض الحر فإنه يصاب بمرض البرد أيضاً ، وكثيراً ما يحدث ذلك عند الصيد به في يوم شديد البرد .

فإذا عَرَض للجارح مَرَض البرد عمد سائسه إلى بيته فكَنَسَه ونظّفه ودفأه بكانون أو نحوه ، ثم يخرج منه النار ، ويُدْخل الجارح فيه، ويَشُدُّه على كندَرَته .

وإذا أصبح بكّر عليه بالطعام، ولْيَكُنْ طائراً صغيراً سُقِي في الليل نبيذاً فإنه ينفعه ، ولا سيَّما إذا كان قد عَرِق في يوم الصيد .

٣ ـ مَرَض التَّقْليص :

ويلحق بأمراض الحَرّ والبرد مرض التَّقْلِيص ؛ والتَّقْلِيصُ يبس

الرأس بحيث تتعذّر حركتُه على الجارح أو تتعسّر ، فيبدو وكأنّ بـه تشنّجاً .

وعلاجـه : إدامته تنطيله [1] بالشبّةِ والبنفسج ، أو نقيع الذرّة والأول أحسن [2] .

ب – أمراض الضواري :

ألممنا في الفقرة الأولى من هذا الفصل بطائفة حسنة من أمراض الجوارح، وسنقتصر في هـذه الفقرة على مرض واحد من أمراض الضواري ألا وهو الكلب ، وذلك لخطورته من جهة ولكونه لا يقتصر على الكلاب وإنما ينتقل منها في كثيرٍ من الأحيان إلى الإنسان .

وفيما يلي تشخيصٌ لذلك المرض ووصف لعلاجه إذا أصيب به الإنسان :

تتعرّض الكلاب لطائفـة من الأمراض منها : الذّبْحَةُ والجَرَب والنّقْرس غير أن أشدّ أمراض الكلاب خطراً وأفظعها أثراً « داء الكَلَب » .

والكَلَب ـ بفتح اللام ـ مَرَضٌ يشبه الجنون حيث يستحيل مزاج الكلب إلى حالةٍ سوداويّة سُمّيّة ويصاب الكلب بهذا المرض إذا ألمّ بـه حرٌّ شديدٌ في فصل الصيفِ يَحرق أخلاطه فيكلب في فصل الخريف . أو أصابه بَرْدٌ شديدٌ في فصل الشتاء مِمّا يجمّدُ دَمَه فيكلب في فصل الربيع .

وقد يصاب الكلب بهذا الداء الوبيل إذا أكل من الجيف المتفسخَة أو شَرِب من المياه الآسنة ، أو وَلَغَ في الدماء العَفِنَة الفاسِدَة مِمّا يجعل أخلاطه سوداء عَفِنة .

---

(١) يقال : نطل الطبيب رأس العليل إذا صب عليه النطول قليلاً قليلاً ، والنطول : ماء تغلى فيه الأدوية والحشائش ويصب على العضو المصاب .

(٢) انظر في الأمراض السابقة وعلاجها البيزرة : ٧٩ – ٩٤ والصيد والطرد عند العرب: ٥٧ – ٦٧ .

ولداء الكلب أعراضُ لا يخطئها البيزري البصير، وتظهر هذه الاعراض في تغيُّر خِلقة الكلب تبعاً لتغير مزاجه حيث يتورّم بدَنُه، ويتغير لونه، وتحمرُّ عيناه وتعلوهما غشاوة، وتسترخي أذناه، ويندلع لسانه، ويتحدّبُ ظهره ويعوَجُّ صلبه، ويكثر لعابه، ويسيل أنفه، ويُدخِل ذنبه بين رجليه، وينظر شذراً، ويمشي خائفاً مذعوراً مغموماً كأنّه سكران .

ثم إنه يجوع فلا يأكل، ويعطش فلا يشرَبُ، وربما رأى الماء ففزِع منه وعافه، وربّما ارتعش جسمه وارتعد، وأكثر ارتعاده يكون في وجهه وجلده، وربّما مات خوفاً من الماء .

وإذا لاح له شبحٌ حمل عليه من غير نباحٍ، وإذا نبح كان نُباحه أبحّ .

ومن شأن الكلب الكَلِب أن تهرب منه الكلابُ، فإذا دنا من أحدها على حين غرّة خاف منه وخشع بين يديه ورام الهرب منه .

وإذا عقر الكلبُ المصابُ بهذا الداء الإنسان ظهرت عليه أعراض المرض بعد ثلاثة أيام، وهي أحلامٌ مزعجة، وغضبٌ من غير سبب، ووسواسٌ واختلاطٌ في العقل، وقساوةٌ في الأطراف، وهربٌ من الضوء ومَيلٌ الى الوحدة ورغبة شديدة في الماء، لكنه اذا رآه نفر منه ولم يشربه، وربما نبح المصابُ بهذا المرض كما تنبح الكلاب .

ومن شكّ في الكلب الذي عقره أهو كلِبٌ أم غيرُ كلِب ؟ فليأخذ لباب الخبز وليضعه على مكان العضة ثم يرمي به الى الكلاب فإن أعرضت عنه ولم تأكله كان الكلب مصاباً .

أو فليأخذ لوزاً وليضعه على مكان العضة، وليرم به الدّجاج، فإذا عافته ولم تلتقطه كان الكلب كلباً ويعالج الإنسان الذي عقره الكلب الكلب بامتصاص الدم والصديد المتجمعين في مكان العضة بوساطة المحاجم

ونحوها ، ثم يضمد المكان بالثوم أو البصل الممزوجين بالسمن أو بالحليب مع السمن .

واذا اشتهى المصاب بالكلب الماء سقي من أنبوب طويل حتى لا تقع عيناه على الماء فينفر منه .

هذا وقد زعمت العرب ان دماء الملوك تشفي من الكلب ، وهو كما لا يخفى زعمٌ فاسد ، وقد ظهر ذلك الزعم في شعرهم ، وجعلوا منه قول زهير :

وان يقتلوا فيُشتَفى بدمائهم
وكانوا قديماً من مناياهُم القتلُ

على أنّ الأوجه في تفسير هذا البيت : هو أن قتل الملوك يشفي من الثأر لأن الإنسان اذا كان له في قوم ثأرٌ لم يشف صدره الا بقتل الأكفاء من أعدائه [1]

---

(١) انظر في أمراض الضواري وعلاجها المصايد والمطارد : ١٤٨ وما بعدها والبيزرة : ١٤٦ وما بعدها ، والصيد والطرد عند العرب : ١٧٩ وما بعدها .

الفصل التاسع

المَصِيداتُ من الوحوش

الحيوانات المصيدة ضربان: وحشٌ يسير على رجليه وطير يطير بجناحيه، وفي هذا الفصل والفصل الذي يليه تعريفٌ وافٍ بأبرز ما كانت تصيدُه العرب من كلا الضَّربين مع بيانٍ لطرق صيده، فمن أهم المصيدات من الوحوش :

١ – الحمار الوحشي :

الحمار نوعان أهليٌّ ووحشيٌّ، والأول حيوانٌ داجنٌ لا يؤكل لحمه، والثاني وحشي يُصاد ويؤكل [١]، وبه ضُربَ المثلُ؛ فقيل : « كُلُّ الصيد في جوف الفرا »، و « الفرا » من أسماء حمار الوحش [٢].

والحُمُرُ الوحشيّةُ عامةٌ، والأخدرية خاصة أطولُ أعماراً من الحُمُرُ الأهلية، وهي تزيد عليها مراراً في ذلك [٣].

---

(١) الحيوان : ٤/٤٦ والدميري : ١/٢٤٥

(٢) المخصص : ٨/ ٤٦ ولسان العرب : مادة (فرا)

(٣) الحيوان : ١/١٣٩

بـل إن بعضهم غالى في ذلك مغالاة كبيرة فقالوا : إن الحمار الوحشيّ يُعمِّر مائتي سنة وأكثر ، وكلما بلغ مـائة صارت له مَبْولة جديدة وقد شوهد من هذه الحمر ما له ثلاث مباول وأربع [١] .

من أسماء حمار الوحش :

ويُدْعى الذكر من حمر الوحش « عَيراً » وهو يطلق على الأهلي أيضاً وجمعه أعْيار وعُيور وعُيُورَة وعِيارات ومَعْيُوراء ، ويقـال له : الفرأ مقصوراً ومهموزاً وجمعه فراء والمِسحَلُ والوأي والعَضرَسُ والنَّوْصُ ، ويقال للحمار الغليظِ : الجأبُ والعِلجُ كما يقال له مُهصِل وحَزَابية .

ويقال للصلب الشديد من الحمير صُنادل وقُنادل ومِصَك وكُندُر وكُنادِر. ودِفرّ وذِفرّ والتألَبُ .

ويقال للحمار الخفيف الشديد السَّوق لأتنه : القِلو والمِقلاء ، وقيـل : إن القِلو هو الجحش الفتيّ ، ويقـال للمسن من حمر الوحش القَلَخُ ، ويقال للطويل الجسم الحسن الخلقة المِخراق .

ومن شأن حمر الوحش أن يعض بعضُها بعضاً، فيوصف الحمار بأنه شَحيج ومِشحجٌ إذا كان مُعضَّضاً، أما إذا كان عضّاضاًفيقال له: سَحّاح ومِسحاح.

ويوصف الحمـار الوحشي أيضاً بأنه مِفلجٌ إذا كان شلالاً للعانة ، وبأنه زامِل إذا كان يظلَع من نشاطه ، وبأنه مُحنِقٌ إذا كان ضامرا لاحق البطن بالظهر [٢] .

ويقال للأنثى من حمر الوحش : أتان والجمع آتُن ، وأُتُن ، وصعـدَةٌ ، وبيدانةٌ نسبةً إلى البيد، وتوصف الأتان بأنها سمجَحٌ إذا كانت طويلة الظهر ،

---

(١) نهاية الأرب : ٣٢٧/٩

ولا يخفى ما في هذا الكلام من مبالغة لا يسيغها العقل .

(٢) المخصص : ٦/٨ ؛

الحِمارُ الوَحشِي



الحمــار الوحشي من أسرع الحيوانات الصيدة عدواً ، وأشدّها صبراً ، وأكثرها حذراً ومع ذلك فإن العقاب تصيده أحياناً .

وَنجودٌ إذا كانت طويلة العنق ، وَشهير إذا كانت عريضة ، وَقيدُودٌ إذا كانت طويلة، وُقنفُجٌ إذا كانت قصيرة عريضة، وَخذُوفٌ إذا كانت سمينة وُعلنْجومٌ إذا كانت كثيرة اللحم، وإبْـــدٌ إذا كانت وحشية أو أتى عليها الدهر، وَسلوب إذا كانت قد سُلِبت أولادها ، وَمرَاغةٌ إذا كانت لا تمتنع عن الفحولة ولذلك دُعي (جرير) ابن المُراغة [1] .

ويقال لولد الأتان من حين تضعه أمه إلى أن يفصل من الرضاع: «الجحش» والجمع جِحشان ، وجحَشَة ، وجحَاش، والأنثى جحْشة. فإذا تلا أمــه دُعي « تِلوْاً » فإذا استكمل الحول فهو توْلَـبٌ ، ويقال لولد الحمار أيضاً : العَفو ، والعِفو ، والعُفْو ، والعِفا ، والعَفا ، والجمع أعفَاء ، وعِفاء .
ويقال له : الهَنبَر ومن هنا قيل للأتان أم الهنبر ويقــال له : الدَّوْبلُ أيضاً ، واللُّكَع والأنثى لَكَعَة [2] .

ألوان حمر الوحش :

وحمر الوحش ذوات ألوان متعـددة مختلفة فمنها مــا كانت فيه خضرة ويُدعى الأخطَبُ والأنثى خَطْباء وقيــل : إن الأخطب ما كان له خطٌ أسود على متنه ، ومنه ما كان في بطنه بياض ويدعى الأحْقَبُ أما الأنثى فإذا كان في متنها بياض دعيت حَقْبَاء

ومنه ما يَضرِب الى الحمرة ويدعى الأقْمَرُ وقيل إن القُمرَة بياض فيه كُدْرة ، ومنه ما كان في لونه غُبرَةٌ ويدعى الأدْخنُ ، والأنثى دَخنَاء.
ويوجد من الحمر الوحشية « ما تكون شِيَتُه مُعمَّدةً ببياض وسواد في الطول من أعضائه المستطيلة، ومستديرة فيما استدار منها بأدق تناسب وأصح قِسمة .

---

(١) المخصص : ٨/٤٤ وما بعدها .
(٢) المخصص : ٨/٤٤

ومن الحمر «الحمارة العَتّابِيَّة»، وهي حيوانات في صورة البردون موشاة الجلد بالبياض والسواد يروق الناظرَ حسنُها وهناك الحمار الهندي وهو يمتاز من غيره بأن له قرناً واحداً وحافراً واحداً في كل قائمة ، ذلك بأنه لا يوجد بين ذوات القرون حيوان سواه مشقوق الأظافر .

وهناك الحمار الأخدري نسبة إلى أخدر، وهوفرس كان لأزدشير فتوحش واجتمع بعانات فضرب فيها وحماها فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن شكلا وأطول عمراً [١] .

والحمار الوحشي من أشد الحيوانات المصيدة عَدْواً ، وبه تُشبِّه العرب خيلها وإبلها في السرعة والنَّجاء .

كيف تصيد العقاب حمار الوحش :

وهو لا يكاد يتعلق بـه شيء من الضواري والجوارح إلا العقاب [٢] فهي حين لا تجد ما تصيده تنقضُّ على الحمار الوحشي انقضاض الصخرة ثم تقدُّ بالإصبع التي وراء رجلها ما بين عجب [٣] ذنبه إلى مَنسِجِه [٤] .

من صفات حمار الوحش :

وللعقاب طريقة أخرى في صيد حمار الوحش أشرنا إليها عند الكلام على هذا الجارح [٥]. ويوصف حمار الوحش بشدة الغيرة على أُتُنِه حتى قال قوم: إن في حمر الوحش ما إذا وُلد له ذكر كَدَمَ قضيب المولود وخصيته حتى يقطعها وإن الأتان تعمل الحيلة ، فتواري الجحش عن أبيه وتجعله في مكان ناءٍ عنه وتكسر رجله ليستقر في ذلك المكان ، ثم تتعهده وترضعه إلى أن

(١) الحيوان : ١/١٣٩ والدميري : ١/٢٥٤.
(٢) صبح الأعشى : ٢/٤٣.
(٣) العجب : بالفتح أصل الذنب .
(٤) المنسج كمجلس : ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق .
(٥) انظر ص (   ) من هذا الكتاب .

تنجبر رجله ويتمكن من المشي عليها وعند ذلك يبلغ من القوة ما يدفع به عن نفسه شر غيرة أبيه [1] .

وحمر الوحش لا تعيش إلا جماعاتٍ ، ولكل جماعة أميرٌ يقودها فترد بوروده ، وتصدر بصدوره ، وتنهض بنهوضه ، وتقع بوقوعه ، وتروح برواحه ، وتغدو بغدوه [2] .

وقد أكثر العرب من ضرب الأمثال بالحمار الوحشي ، من ذلك قولهم : « كل الصيد في جوف الفرا » . وقولهم : « العير أوقى لِدَمِه » يضرب للموصوف بالحذر ، وذلك أنه ليس شيءٌ من الصيد يحذر حذر العير اذا طُلِب وطُرِد . وقولهم : « الجحشَ اذا فاتتك الأعيارُ » يضرب لمن يطلب الامر الكبير فيفوته فيقال له : اطلب دون ذلك .

وقولهم : « إن ذهب عيرٌ فعيرٌ في الرباط » . يضرب لمن يحض على الرضا بالحاضر وترك الغائب .

وقولهم : « عُيَيْر وحده ، وجُحَيْش وحده » يضربان لمن يستبد برأيه ويعتزل الناس [3] .

ولصيد حمار الوحش طرق متعددة منها استعمال الأشراك الحديدية المستورة والمدسوسة تحت التراب في أماكنَ متفرقةٍ حتى إذا خطا عليها الحمار الوحشي انطبقت على قوائمه وقطعت عصبها فلا يستطيع القيام [4] .

ومنها الرمي بالنشاب وهو أبلغ طريقة في صيد حمر الوحش [5] ومنها

---

(١) انظر المصايد والمطارد : ١٥٧ ونهاية الأرب : ٩/٣٢٧ وصبح الأعشى : ٢/٤٣ والدميري : ١/٢٥٣ .

(٢) انظر الحيوان : ١/١٨ والمخصص : ٨/٤٣ وما بعدها .

(٣) الحيوان: ٢/٢٥٥-٢٥٦ .

(٤) انظر المصايد والمطارد : ٤٧ .

(٥) صبح الأعشى : ٢/٤٣ .

إطلاق الكلاب عليه، وقد أكثر الشعراء الجاهليون من وصف هاتين الطريقتين، هذا وإن الأسد يصيد حمـــار الوحش، فيلقيه على مؤخره ويمسكه بيمينه ويطعن لَـبَّته بمخلب يساره ويفتح فمه فيتلقّى دمَه وكأنه يتدفق من فوارة حتى إذا شربه كله صار إلى شق بطنه وأكل لحمه [١] .

البـّبغاء يصف أتاناً وحشية :

ولأبي الفرج الببغاء رسالة ذكر فيها أتاناً مُعمَمَّدةً ببياضٍ وسوادٍ جـاء فيها: هي أتان ذات إهاب مُسيَّـرٍ[٢] وقُرُبٍ[٣] مُحبَّرٍ، وذنبٍ مُشجَّـرٍ، وَشوىً[٤] مُسوَّرٍ[٥]، ووجه مُمزَجَجٍ[٦] ورأس مُتوجٍ، تكنُفُه أذنان، كأنها زجـان[٧]، سُبْجية[٨] الأنصاف، بلورية الأطراف، جامعة شِيَتَها بالترتيب، بين زمني الشبيبة والمشيب، فهي قيد الابصار، وأمد الأفكار ونهـاية الاعتبار، غنيٌّ عن الحَـلْي عطـلُـها، مُمزْريةٌ بالزهر حللُـها، واحدة جنسها وعالم نفسها، صنعة المنشىء الحكيم، وتقدير العزيز العليم .

---

(١) الحيوان: ٦/٣٨٧.

(٢) مسير : أي أن شيته مستطيلة تشبه السيور .

(٣) القرب : بضم وبضمتين الخاصرة ، وقيل : هو من لدن الشاكلة إلى راق البطن .

(٤) الشوى : اليدان والرجلان .

(٥) مسور : أي محاط بمثل السوار من النقش .

(٦) سياق الكلام يدل على أن المراد بالمزجج هنا : الذي تشبه شيته الزجاج بكسر الزاي وهي نصال السهام واحده زج بضم أوله وتشديد ثانيه .

(٧) الزجـــان : تثنية زج وهو الحديدة التي تركب أسفل الرماح تركز بها في الأرض .

(٨) السبجية : نسبة إلى السبجة بضم فسكون ، وهي بردة من صوف فيها سواد وبياض .

٢ ـ البقر الوحشي

البقر نوعان : أهليٌّ ووحشيٌّ [١] وتمتاز البقرة الوحشية من الأهلية بأن الأولى أضأل جسماً [٢] وأشد قرنـاً ، ذلك بأن قرون البقرة الوحشية مُصْمَتَةٌ بخلاف قرون سائر الحيوانات فإنها مجوّفة [٣] ، وهي إلى ذلك ذوات شعب [٤] وهي تتخذ من قرونها سلاحاً لها تصول به على أعدائها من السباع وتمنع بـه نفسها وأولادها من كلاب القانصين [٥] وهي ذات عينين نجلاوين سوداوين حتى إنـه ليضرب المثل في حسن عيونها وسوادها [٦] وهي أشبه شيء بالمعز الأهلية [٧] .

من أسماء بقر الوحش :

وتطلق كلمة (البقرة) على المذكر والمؤنث فهي اسم جنس جمعي وإنما

---

(١) الحيوان : ١٤٥/٥ ، ٢٣/٦.

(٢) صبح الأعشى : ٤٢/٢

(٣) الدميري : ١٥٢/١

(٤) صبح الأعشى : ٤٢/٢

(٥) الحيوان : ٢٤١/٧

(٦) صبح الأعشى : ٤٢/٢

(٧) الدميري : ١٥٢/١

دخلت عليها الهاء للوحدة ، فإذا أردت التمييز قلت: هذا بقرة للذكر وهذه بقرة للأنثى كما تقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى [1]، وذكورها تدعى بالثيران أيضاً [2] وقد أكثر العرب من أسماء بقر الوحش كثرة تلفت النظر وتشير إلى أهمية هذا الحيوان في حياتهم ومكانه العظيم من عالمهم .

وهذه الأسماء منها ما وضع ابتداءً ومنها ما كان وصفاً ثم غلبت الصفة وصارت إسماً .

فمن أسماء البقرة الوحشية : المهاة ، والجمع مَهاً ، وسُمّيت بذلك لبياضها وإنما المهاة في الأصل البلورة .

والكوْكبُ ، والجمع كواكب . **والقَنَاةُ** ، والجمع قَنَوات. **والنعْجةُ**، والجمع نِعاج ، ولا يقال لغير البقر من الوحش نعاج [3] .

وتدعى البقرة **عَيناء** لسعة عينها **وحَلْنجاء** إذا لم يكن لها قرنان ، **وخنساء** وذلك لما فيها من خَنَس وهو تأخر الأنف في الوجه وقصره .

والمُمرِيَةُ ، وهي التي لها ولدٌ ماريٌّ براق اللون [4] والمُولَّعةُ وهي لُمَعُ ألوان .

ويدعى الثور الوحشي : الناشِط وهو الذي يخرج من بلد إلى بلد ، والمِخْراق لانه يخرق الارض ، والشّاة : وهو الثور من الوحشي خاصةً ، والقَرْهَبُ : وهو الثور المسن ، والعَوْهَقُ : وهو الذي لونه واحد إلى السواد، والأبْرَدُ : وهو الذي فيه لُمَعُ سواد وبياض يَمانِيّة ... والقَضْبُ والشّهَبُ والنَّيّاحُ : وهو الثور الأبيض [5] .

---

(1) المخصص : ٣٥/٨

(٢) المصايد والمطارد : ١٦١

(٣) المخصص : ٣٧/٨

(٤) المخصص : ٣٩/٨

(٥) المخصص : ٤٠/٨

أما ولد البقرة فيدعى حين تلقيه : الطَّلا والطَّلو وجمعه أطلاء ، وهو في أول سنةٍ َتبيعٌ وجمعه أتبِعة ويقال له: التَّبع وجمعه أتباع ثم َجذَعٌ ثم ثِنيٌ ثم رَبَاع ثم َسدَس ثم صالِغ وهو أقصى أسنانه ثم يقال : صالِغُ سنةٍ وصالِغ سنتين وهكذا ...

ويقال له إذا نمت أسنانه َشبَبٌ وُمشِبٌ وَشبوبٌ وقيل : إن هذه الأسماء المسن من ثيران الوحش والأنثى شبوبٌ أيضاً ولا يقال لها شبوبةٌ [1] .

ومن أسماء ولد البقرة اليعفور ، والجؤزر ، والماريُّ وهو الأبيض الأملس [2] والفَرْقَدُ والأنثى َفرْقَدَةٌ ؛ والفَزُّ وجمعه أفزاز [3] .

والعِينُ : اسم جامع للبقر كالعِيس وكذلك الحَورَ اسم للجمع [4] .

ولقطيع بقر الوحش أسماء كثيرة عند العرب منها الرَّبْرَب، والإجْلُ، والجمع آجال والصِّوار والصُّوار والجمع صِيران، والسِّرْب والجمع أسراب[5].

صفات بقر الوحش :

وبقر الوحش من الحيوانات التي تعيش جماعاتٍ جماعاتٍ ويكون لكل جماعة رأس وأمير وتكون الرئاسة لثور القطيع[6] وهي تنقاد له ولا تعصي أمره وتطيعه كطاعة إناث النحل لليعسوب [7] .

فإذا شرب شربت وإذا امتنع عن الماء امتنعت » وكانت العرب تزعم أن

---

(١) المخصص : ٣٣/٨

(٢) المخصص : ٣٤/٨

(٣) المخصص : ٣٥/٨

(٤) لمخصص : ٣٨/٨ ، ٣٩

(٥) المخصص : ٤٢/٨

(٦) الحيوان : ٤١٨/٥

(٧) الحيوان : ١٩/١

الجن هي التي تصد الثيران عن المـاء حتىتمتنع البقر عن الشرب لامتناعه فتهلك » (١) .

وبقرُ الوحش تتخذ لنفسها بيتاً تستكِنُّ فيه وتتقي به حرَّ الصيفوبرد الشتاء وعصف الريح وانهـمار المطر ، ويدعَى بيتُها المَكْنِس والكِنّاس والجمع أكْنِسَة وكُنُس ، والرُبْضُ وجمعه مَرَابِض ، والبَهْوُ وهو كناس واسع يتخِذه الثور والجمع أبهـاء (٢) وثيران بقر الوحش إذا ذُعِرَت غَمْغَمَت ، والغمغمة : صوتها عند الخوف ، أمـا صوتها مطلقاً فيدعى بالخُوَار (٣) .

والبقرةُ الوحشية شديدة الحَدْبِ على ولدها عظيمةُ الرعاية له كثيرة الحرص عليه ، فـإذا أرادت فطامه جعلت ترضعه تارة وتمنعه أُخرى حتى يجوع ويطلب العشب فلا تزال تُنَوِّلُه وتماطله ، وكلما مرّت الأيام كان وقتُ منعِها له أطول حتى إذا قوي على أكل العشب فطمته .

وهي تمنع ولدهـا أشد المنع وتقاتل السباع في سبيله أعظم القتال حتى تنجيَه أو تهلك دونه (٤) .

وجميع إناث الحيوان أرَقُّ صوتاً من ذكورها إلا البقرة فإن الأنثى أفخم صوتاً وأجهر نَبْرَةً من الذكر وهي أقوَى منه قرناً كذلك (٥) .

ومساكن بقر الوحش في الوَهَدَاتِ ومـا استَوَى من الأرض ودنا من ماءٍ وعشب، وهي ليست مما يسكن الجبال، ولذا عيب على محمد بن عبدالملك

---

(١) الحيوان : ١٨/١

(٢) المخصص : ٤٢/٨

(٣) المخضص : /٨

(٤) الحيوان : ١٩٩/٢

(٥) المصايد والمطارد : ١٦٠



الأيَّل

الأيّل صنف من بقــر الوحش قريب الشبه بالظباء إلا أنه يمتاز منهــا بتشعب قرونه ، وهو حيوان طروب فإذا أراد الصيادون اقتناصه شغله بعضهم بالغناء والصفير ووثب عليه بعضهم الآخر من خلفه .

أيّل صغير سينمو قرناه كلمــا ازداد عمره حتى يغدوان كشجرتين فوق رأسه .

الزيات وصفه الثور الوحشي بأنـــه يرعى قلل الجبال مع أن ذلك ليس من شأنه [١] .

وبقر الوحش تشرب الماء في الصيف إذا وجدته أمـا إذا فقدته وعدمته فإنها تصبر عنه وتكتفي باستنشاق الريح [٢] وهي تعاف المـاء الكـَدِرَ ولا تشرب إلا ما صفا وراق [٣] .

ومن طبيعة ثيران الوحش شدة الشَّبَق، وفرطُ الشهوة ، لذا فإن الأنثى تهرب من الذكر إذا حملت خوفاً من عبثه بها وَقْتَ الحمل [٤] .

ومن خصال البقرة الوحشية أنها تختال في مشيتها وتتبختر في سيرها [٥].

أما الثور فإنه يوصف بالكبر والخُيَلاء في حال تَشَرُّقِه وفي حال مشيه في الرياض غِبَّ دِيمَةٍ [٦] .

والبقرة الوحشية من جليل الصيد عند العرب [٧] وهي مما يُصاد بالطرد على الخيل . ويقال : إن أول من طردها ربيعةُ بن نزار بن معد بن عدنان ، فإنه أول من ركب الخيل على قولٍ ، ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت إلى مكان يستطيع أخذها منه فرق لها وتركها .

وهي تُصاد بالكلاب أيضاً وقد تُعان عليها بالعقاب منجوارح الطير [٨]، وكثيراً ما تُستَعمل الأشراك الحديدية في صيد بقر الوحش فتدس في أماكن

---

(١) المصايد والمطارد : ١٦٢ وصبح الأعشى : ٤٣/٢

(٢) الدميري : ١٥٢/١

(٣) الحيوان : ١٤٢/٥

(٤) نهاية الأرب : ٣٢٢/٩

(٥) الحيوان : ٢١٨/٥

(٦) الحيوان : ١٢٣/٦

(٧) صبح الأعشى : ٤٢/٢

(٨) صبح الأعشى : ٤٢/٢ والمصايد والمطارد : ١٦٠ .

متفرقـة تحت التراب حتى إذا خطت عليها البقرة علقت بأرجلها وانطبقت عليها وانقطع عصبها فلا تقوم [1] .

وقـد وصف أحد الكتّاب الأندلسيين المتأخرين قطيع بقر الوحش في رسالة طردية فقال :

لقد « عَنّ » لنا سرب نعاج يمشين رَهْواً كمشي العذارى ، ويَتَثَنَّيْنَ زَهْواً تَثَنّيَ السُّكارَى ، كأنما تجلّل بالكافور جلودها ، وتضمّخ بالمسك قوائمها وخدودها ، وكأنمـا لَبِسنَ الدِّمَقسَ سِرْبالاً واتخذن السُّندُس سِروالاً ... فأرسلنا أولى الخيل على أخراها ، وخليناها واياهـا . فمضت مُضِيَّ السهام ، وهوت هُوِيَّ السَّمَام [2] فجالت في أسرابهـا يميناً وشمالاً فكأنما أهدت لآجالها [3] آجالاً [4] .

---

(١) المصايد والمطارد : ٤٧

(٢) السمام بفتح السين : ضرب من الطير دون القطامي في الخلقة واحدته سمامة

(٣) الآجال : القطعان مفرده إجل

(٤) نهاية الأرب : ٩/٣٢٢ ، ٣٢٤

٣ ـ الأيل واليحمور

الأُيَّل والأِيَّل – بضم الهمزة وفتح الياء المشددة وكسرها[١] – صنفٌ من أصناف البقر الوحشية[٢] قريب الشبه من الظباء[٣] يعتصم بالجبال وقليلا ما يحل السهل ، فإذا فَجَأَهُ الصياد وخاف منه رمىَ بنفسه من حالق الجبل من غير أن يتضرَّر بذلك[٤] وللأيّل قرنان كالظبي إلا أنهما مصمتان لا تجويف فيهما[٥] كقرني الثور الوحشي ، وهما حديدان شديدان يعتدهما للذود عن نفسه إذا رامته السباع ، وهو لا تنبت قرونه إلا بعد أن تمضيَ له سنتان من عمره ، فإذا نبتا كانا مستقيمين كالوتدين ، وفي السنة الثالثة من عمره يتشعَّبان ، ولا يزال التشعب في زيادة إلى تمام ست سنين وحينئذٍ يغدوان كالشجرتين على رأسه ، ثم يُلقي بعد ذلك قرونه كلَّ عام مرة .

وليس شيءٌ من الحيوان يلقي قرونه غير الأيل[٦] ثم ينبت قرناه وعند ذلك يعرضهما للشمس حتى يجفّا ويصلبا .

---

(١) المخصص : ٨/٣٢

(٢) نهاية الأرب : ٩/٣٢٤

(٣) صبح الأعشى : ٢/٤٤

(٤) المصايد والمطارد : ١٤٣

(٥) الدميري : ١/١٠٦

(٦) الحيوان : ٧/٤٣ ، ١١٧ ، ٢٤٧

وإذا ألقى الأيل قرونه علم أنه جُرِّدَ من سلاحه الذي يصول به على أعدائه ويدفع بِشَبَاتِه الأذاة عن نفسه لذلك فهو يستخفي عن السباع ويكمن في المواضع التي لا تقع عليها العيون حتى ينبت قرناه [١] وهو يستخفي أيضاً إذا سمن وعاقته البدانة عن الحركة [٢] .

والأيل مشغوف بالحيّات مولع بأكلها يبحث عنها في كل مكان ويطلبها في أي موضع فإذا لاذت الحية بجحرها واستكنّت فيه أخذ الماء بفمه ونفخه في الجحر فتخرج له ذنبها فيأكلها حتى إذا انتهى إلى رأسها تركه خوفاً من السم ، وربما لسعته الحية فتسيل دموعه إلى نُقرتَين واقعتين تحت محاجر عينيه ، فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع ، وتُتخذ دِرياقاً لسم الحيات [٣] .

والأيّل حيوان صادق الإحساس فهو إذا أكل الحيات اعتراه العطش الشديد فيأتي مواقع الماء ويدور حولها ثم لا يشرب منها على الرغم من شدة ظمئه ، والذي يمنعه من الشرب هو ما يعلمه من أن حتفه كامن في ذلك ، لأنه إذا شرب جرت السموم مع هذا الماء في بدنه ودخلت مداخل لم يكن ليبلغها الطعام [٤] ويبقى على حاله هذه أربعة أيام ، فإن كان اليوم الخامس وذهبت ثورة السم شرب [٥] .

وقد عرف الشعراء من الأيّل ذلك ، وأفاد بعضهم من هذا المعنى فقال :

هجرتُك لاقِلىً مني ولكن	رأيت بقاء ودّك في الصدودِ
كهجر الظامئات الماء لما	تيقّنّ المنايا في الورودِ
تذوب نفوسها ظمأً وتخشى	هلاكاً ، فهي تنظر من بعيدِ

---

(١) نهاية الأرب : ٩/٣٢٤ والحيوان : ٧/٤٣ و ١١٧ و ٢٤٧

(٢) انظر الحيوان : ٤/٢٢٧ ونهاية الأرب : ٩/٣٢٤

(٣) انظر نهاية الأرب : ٩/٣٢٤

(٤) نهاية الأرب : ٩/٣٢٤

(٥) انظر الحيوان : ٧/٢٩ ، ٣٠

وكثيراً ما يصاد الأيل فيجد الصيادون رؤوس الأفاعي والحيات ناشبةَ الاسنان في عنقه وجـلده ، وذلك أنه حين يهم بأكلها يبادره بعضها بالعض فيأكل ما تدَلـّى منها وتبقى رؤوسها معلقة به [1] .

واذا لدغت الأيلَ حيةٌ تداوى من لدغتها بأكل « السراطين » لذلك ظن الناس أن « السراطين » تبرىء اللديغ من بني الانسان [2] .

ويزعم الصيادون أنّ بين الأيل والسمك صداقة ؛ فكلاهما يأنس بالآخر ويرتاح لرؤيته .

وصيادو الأسمـاك يعرفون ذلك ويفيدون منه في صيدهم ، فهم يتخذون من جلد الأيل لباساً لهم ويقفون على الشواطىء فتخرج لهم الأسماك فيصيدون منها ما يشاؤون [3] .

والأيل حيوان طروب يرتاح للصوت الحسن ويُؤْخذ بالنغمة الحلوة ، وهو لا ينام ما دام يسمع مـا يطربه ، لذلك فهو يصاد بالغناء والصفير فإذا أراد الصيادون اقتناصه شَغَله بعضُهم بالتطريب ، وأتاه بعضهم الآخر من خلفه ، فإذا رأوه مسترخي الأذنين عرفوا مدى تأثره بالغناء ووثبوا عليه وأخذوه ، أما إذا كانت أذناه لا تزالان مُنتَصِبَتَيْنِ كفـّوا عنه وعرفو ألا سبيل إلى اصطياده [4] .

اليحمور :

واليحمور نوع من الأيل [5] يشترك معه في جُلّ صفاته له قرنان طويلان

---

(١) انظر نهاية الأرب : ٩/٣٢٤

(٢) انظر الحيوان : ٤/٢٢٧

(٣) انظر الدميري : ١/١٠٦

(٤) انظر الحيوان : ٤/١٩٣ . ونهاية الأرب : ٩/٣٢٥

(٥) المخصص : ٨/٣٢

كأنهما منشاران ينشر بهما الشجر إذا حال دونه ودون شرب الماء ، وقرناه مصمتتان كقرني الأيـــل وهو يلقيهما في كل عام أيضاً ، ولونه يضرب إلى لحمرة [1] وهناك من جعل الأيل واليحمور من أجناس بقر الوحش [2] .

---

(١) الدميري : ٤٨/٢

(٢) انظر نهاية الأرب : ٣٢٤/٩ والدميري : ١٥٢/١

٤ ـــ الظبي

أسماء الظباء :

أكثر العرب من أسماء الظباء كثرةً بالغةً ، فجعلوا لهـــا أسماءً باعتبار أعمارهـــا وأخرى باعتبار أوصافها وثالثةً باعتبار أولادها ورابعةً باعتبار تذكيرها وتأنيثها . وواحد الظباء ظبيٌ والأنثى ظبيةٌ وولدها أول مـا يولد طَلْيٌ وغزال ، فإذا تحرّك ومشى فهو رَشَأ ، فإذا نبت قرناه فهو شَادِن وخِشْف ، فإذا قوي فهو شَصَر والأنثى شَصَرة ، ثم هو جَذَع ثم ثِنْيٌ ولا يزال ثِنياً حتى يموت [١] . وتقول العرب للظبي إذا تراوح عمره بين ستة أشهر وثمانية أشهر وعـــدا ولحق بالظباء : (جَـدَايَة) وهو يطلق على الذكر والأنثى .

وتقول له إذا بلغ أشدّ العَدْوِ وجعل يقرن قوائمه فيرفعها معـاً ويضعها معاً : (بائِع) وجمعه بُوع وبَوَائع [٢] .

ثم إنهم اطلقوا اسم (اليعفور) على الظبي حـــين يكون خِشْناً صغيراً لكثرة لصوقه بالتراب والأنثى يعفورة .

---

(١) انظر المخصص : ٨/٢١ ونهاية الأرب : ٩/٣٣٢

(٢) انظر المخصص : ٨/٢١ وما بعدها

وأطلقوا اسم (الغَادَة) على الفتية من الظباء، و (العَنَبَان) و(العَلْهَب).
على المسن من التيوس ، وأطلقوا (العَنَز) على الأنثى و (التيس) على الذكر
وربما سُمّيت الأنثى (نعجة) أيضاً [١] .

ونظروا إلى الظبية بالنسبة لأولادها فقالوا : ظبية مُشْدِن إذا كانت
ذات شادن ، و (مُغزِل) إذا كانت ذات غزال و (مُطفِل) إذا كان
معها أولادها ، وقد وصف العرب الظبية ، فقالوا : ظبية غيداء وعُطْبُول
إذا كانت طويلة العنق. وظبية عَوْهَج إذا كانت تامة الخَلْق. وظبية عاطِف
إذا كانت تعطف عنقها عند الربوض وظبية عاقد إذا كانت تعقد ذنبها أو
ترفع رأسها حذراً [٢]، ويُدْعى قطيع الظباء : إجْلاً وسِرْباً وصِدْعة [٣].
وتعرف سنّ الظبي بقرنيه ، فيكون لكل عقدة من عقدهما سنة [٤] .

أنواع الظباء :

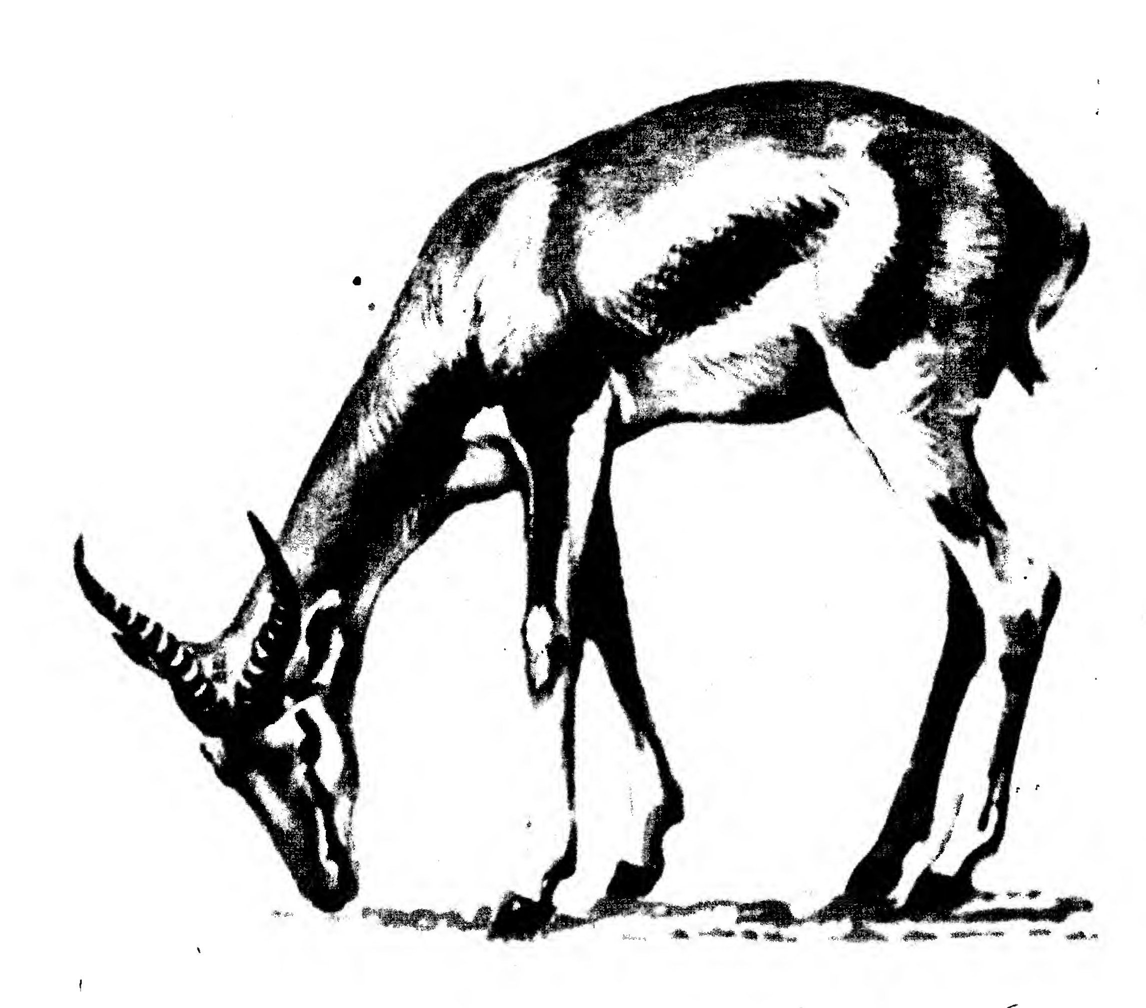
والظباء أنواع تختلف باختلاف مواضعها وألوانها ، فصنف منها يسمّى
الآرام ، وهي ظباء بيضُ الأجسام ، خالصة البياض ، وهي أشد الظباء
حضراً وأكثرها شحماً ولحماً ، ولذا تدعى ضأن الظباء ، ومساكنها الرمل
وهي على لونه [٥]

وصنف يُسمّى الأدْم ؛ وهي ظباء كُحْلُ العيون ، بيض البطون سمر
الظهور مُتْلَعة الأعناق طوال القوائم وهي ظباء الحجاز . ومساكنها الجبال
والشعاب فهي على ألوانها أيضاً [٦] .

---

(١) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها
(٢) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها
(٣) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها
(٤) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها
(٥) انظر المخصص : ٢١/١٨ وما بعدها، ونهاية الأرب : ٣٣٢/٩ والمصايد والمطارد : ٢٠١/١ والدميري : ١٠٢/٢
(٦) انظر المخصص : ٢١/٨ وما بعدها، وصبح الأعشى: ٤٤/٢ ، والدميري : ١٠٤/٢١

الغـَزال



حيوانٌ جميل المنظر ، وأجمل مـا فيه عيناه الواسِعتان اللتان تغنّى بها الشعراء فأكثروا .

وحول عينيه حفرة دمعية سوداء تزيدهما جمالاً .



وصنف يسمى العُفْر وهي ظباء حمر الأجسام ، أو هي بيضٌ تعلوها حمرة، وهي ألأم الظباء طبعاً وأصغرهن أجساماً وأصعبهن عَدْوَاً ومساكنهن القِفار والأراضي الصلبة فهن على ألوانها أيضاً .

صفات الظباء وطباعها :

والظباء من أسرع الوحوش عدواً ، وأخفها حركة ووثباً ، والعرب تدعو وثب الظباء نَزْواً ، والظبي حين يثب يجمع قوائمه ثم ينشرها عند الوقوع ، ويُدعى هذا الوثبُ النَّفْزُ والنَّقْزُ .

والظبي حين يُذْعَرُ أو يطرد يعدو عدواً سريعاً حتى إنه ليخف على وجه الأرض فيقال مَرَّ الظبي يهفو على وجه الأرض ويطفو ويذرو ، وهو عند ذلك يُخلِّي قوائمه ويمضي لا يلوي على شيء فيقال تَطَلَّق الظبي واستطلق [١] .

وعدْوُ الظباء إنما يكون في السهوب المنبسطة ، وليس لها قدرة على العدو والإسراع في الجبال [٢] . والظباء تحيا جماعات جماعات ويقال لجماعة الظباء الأمْعُوز إذا كانت بين الثلاثين والأربعين .

والظبية شديدة الحدب على ولدها كثيرة الرعاية له فهي تنقطع عن السِّرب وتتخلّف عنه لتقيم مع ولدها وترعاه فإذا فعلت ذلك قيل: خَذَلَت الظبية أو الوحشية فهي خاذِل وانفردت عن القطيع فهي فارِد .

وهي تستر خشفها خلف ما يواريه من شجر ونحوه فيقال : خَدَّرَت الظبية خشفها [٣] والظبية تدعو ولدها بأرخم ما يكون من الصوت وأطيبه ويقال لصوتها هذا البُغام ويقال لها ظبية بَغُوم [٤] .

---

(١) المخصص : ٨/٢١ وما بعدها .
(٢) الحيوان : ٦/٣٠٠
(٣) انظر المخصص : ٨/٢١ وما بعدها
(٤) المخصص : ٨/٨٦

والظبية ترفق بولدها أشدّ الرفق عند فطامه وتتأتّى لذلك أحسن التأتّي فهي لا تفطمه عن الحليب دفعة واحدة وإنما تمنعه عنه بعض المنع حين تدرك أنه غدا قادراً على الأكل ثم لا تزال تمنعه تارة وترضعه أخرى وتزيد على الأيام في مدة منعه حتى إذا أصبح في غنىً عنها فطمته فطاماً لا رجعة فيه ومنعته الرضاعة كل المنع [1].

ومن عادة الظباء أن تحرك أذنابها شأنها في ذلك كشأن الكلاب التي تفعل ذلك عند الفرح والتودد ، فيقال عندئذ لألأتِ الظباء بأذنابها وبَصْبَصَتْ .

والظباء تتأذّى من الحر ، فإذا طلعت الجوزاء واشتدت حَمَارّةُ القيظ لجأت إلى مكانسها وقالت فيها .

وللظبي نومتان في مَكْنِسَيْن اثنين مَكْنِس الضحى ومَكْنِس العشي ، ويدعى مكنِس الظبي تَوْلَجاً ويقال : أدْمَجَ الظبي في كِناسه إذا دخل فيه ، واتّلَجَ الظبي في كناسه وأتْلَجَه فيه الحَرُّ [2] .

وحين يشتد الحر تجعل الظباء رَعْيَها في الغدوات حيث يكون الجو لا يزال بارداً وفي الليل حيث تغرب الشمس ، وهي تأكل ما تصل إليه من أوراق الشجر وأغصانها وترعى ما تجده في الأرض من كلأ فيقال عَطَتِ الظبية عَطْواً إذا تناولت الشجر ، وظباء عَوَاطٍ وخَضَعَت الظبية إذا أمالت رأسها في الرعي وظباء خَوَاضِع [3] .

والظباء تُخْرِجُ رأسها من كناسها لتتحسس حالة الجو أو لغرض آخر فيقال : أتلعتِ الظبية بمعنى أخرجت رأسها من كناسها [4] .

والظبي شديد الخوف كثير الحذر فهو لا يدخل كناسه إلا مستدبراً لتبقى

---

(١) انظر الحيوان : ٣/١٦١

(٢) انظر المخصص : ٨/٢١ وما بعدها .

(٣) انظر المخصص : ٨/٢٧

(٤) انظر المخصص : ٨/٢١ وما بعدها

عيناه ترصدان ما يخافه على نفسه فإذا رأى أنّ أحداً أبصره لم يدخل [١] .

وظلف الظبي شديد الأثر فيما يطأ عليه لذا فإن الصائدين يستدلون على الظباء بآثار أظلافها في المواضع الرملية وبأبعارها فيما عدا ذلك من الأرض[٢]، ومن طباع الظباء أنها إذا فقدت الماء استنشقت النسيم واعتاضت به عن الماء، وقيل إن الذي يفعل ذلك منها هو ظباء الدوّ والدهناء والصمّان [٣] .

والظبي إذا طرده طاردٌ لم يُجهد نفسه في العدو لأول وهلة، وإنما يرفق بنفسه ويحتفظ بقواه إلى الوقت الذي تضعف فيه قوى طارده ، فإذا رأى طالبَه قد دنا منه جدّ في العدو وزاد في سرعته حتى يفوته [٤] .

والظباء تستطيب الحنظل – على الرغم من شدة مرارته – فكثيراً ما يُرى الظبي وهو يَخضمُ الحنظل ، وماؤه يسيل من شدقيه – وهي تستطيب ماء البحرِ الأجاج فيغمس التيسُ لحيته فيه ويَكْرَع منه كما تكرع الشاة في الماء العذب [٥] .

والظبيُ يصادق الحجل من الحيوانات ويأنس به ويرتاح إليه [٦] .

الظباء تدجن فتغدو كالشّياه :

والظباء تدجن وتغدو أهلية فتتوالد وتُحْلَبُ ويستفاد من لبنها ولبَئِها وسَمْنِها فقد روى الجاحظ أن الرشيد زار جعفر بن سليمان في البصرة فأحضر على مائدته ألبان الظباء وزبدها وسِلاها ولَبَأها فاستطاب الرشيد جميع طعومها وسأل عن ذلك ، فغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق طائفةً من الظباء

---

(١) الحيوان : ٢١٨/٦ والمصايد والمطارد : ٢٠٦ والدميري : ١٠٢/٢
(٢) انظر المصايد والمطارد : ٢٠٥
(٣) نهاية الأرب : ٣٣٢/٩ والحيوان : ٢٨٢/٦
(٤) نهاية الأرب : ٣٣٢/٩
(٥) الحيوان : ١٤٣/٥ ونهاية الأرب : ٣٣٢/٩
(٦) المصايد والمطارد : ٢٠٩

ومعها خِشْفَانُها ، وضروعُها ثقيلة مغطاة بالخِرَق فمرت في عَرْصَةِ الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها على تلك الحال وهي مُقَرَّطة مخضبة استخفه الفرح والتعجب حتى قال : ما هذه الألبان ؟ وما هذه السُّمْنَان واللبأ والرائب والزبد الذي بين أيدينا ؟ قال : من حَلَبِ هذه الظباء ؟ وهي في أصلها خشفانٌ صغيرةٌ فكبرت وتلاقحت ، وتلاحقت [1] .

سُكْرُ الظِّبَاء :

والظباء تسكر إذا شربت المسكرات وهي أجملُ الحيوان سكراً فقد روى الجاحظ عن النَّظام أنه قال: شهدتُ إسكار الظبي وغيره من الحيوانات فلم أجد في جميع الحيوانات أملح سكراً منه ، ولو لم يكن إسكاره ضرباً من الترَفُّه لاقتنيت الظباء وما زلت أسكرها لأرى طرائف ما يكون منها عند السكر [2] .

والظبي إذا تقدمت به السن وأصابه الهزال ابيضّ شعره ونبتت لقرونه شعب وجعل ينبح [3] .

كيف يصاد الظبي :

ويُصَاد الظبي بالفهد والكلب من الضواري والعقاب من الجوارح . ويصاد أيضاً بالحبائل والنار وذلك بأن تُوَقَدَ النيرانُ في أماكن وجود الظباء فإذا رآها الظبي عشيَت عيناه وَذِهلَ لها ودَهِشَ ولا سيما إذا أُضيف إلى النار جرسٌ يحركه الصائد فإن ذلك يوهن قواه ولا يبقي به حراكاً البتة [4] .

والتيس من الظباء إذا طرده الكلب وعراه الخوف عَرَضَ له سَلَسُ البول والتقطير ولم يستطع البولَ مع شدة الحُضْرِ وقوة النَّفْزِ ووضع القوائم

---

(١) الحيوان : ١٨٧/٧

(٢) انظر الحيوان : ٢٨٢/٦

(٣) انظر الحيوان : ٣٤٩/١ ، ٢٧٠/٤ والمصايد والمطارد : ٢٠٦ .

(٤) انظر الحيوان : ٤٨٤/٤ ونهاية الأرب : ٣٣٣/٩

ورفعها معاً في أسرع من لمح الطرف فيثقل عَدْوُه ويقصر خطوُه ويعتريه البُهْرُ فيلحقه الكلبُ ويأخذه ، أما العنز من الظباء فهي إذا اعتراها البول من شدة الفزع قذفت به من غير عناء وذلك لسعة المسيل وسهولة المخرج فهي لذلك أدْوَمُ من التيس شداً وأصبر منه على المطاولة ، والكلب يعرف ذلك بفطرته فينحو نحو التيس من السرب ويترك العنز [1] كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

وكان الأعراب في الجاهلية لا يصيدون الظبي في أول الليل لأنهم يعتقدون أن الظباء من مطايا الجن [2] . والذئبُ يصيد الظبي ويطلبه [3] .

---

(١) انظر الحيوان : ٢/١١٧ ، ١١٨
(٢) الحيوان : ٣/١٣٩
(٣) الحيوان : ٦/٤٦

٥ ـ الأرنب

الأرنب حيوان من ذوات الوبر [١] صغير الجثة قصير اليدين طويل الرجلين [٢] ضئيل الكعبين [٣] كثير الشعر حتى إنه لينبت في بطون شدقيه وتحت رجليه [٤] .

والأرنب اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى [٥] ويقال لأنثى الأرانب عِكْرِشَة ويقال للذكر : الخُزَز والجمع خزّان . ويقال للأرض الكثيرة الأرانب : أرض مُؤَرْنَبَة ومُرَنَّبَة ومُخِزّة .

ويطلق اسم (الخِرْنِق) على الفتيّة من إناث الأرانب وقيل: إنه للذكر والأنثى ويقال بناءً على ذلك: أرض مُخَرْنَقَة كما قيل أرض مُؤرنبة [٦] .

ويطلق (الجَحْمَرِش) على الكبير من الأرانب وقيل : إنه يطلق على المرضع [٧] . والجاحظ يروي عن العرب أنهم يقولون : هذه أرنب كما يقولون هذه عقاب ولا يذكرون . و (الخِرْنِق) عنده ولد الأرنب [٨] .

---

(١) الحيوان : ٥/٤٨٣
(٢) الحيوان : ١/٢٧٦
(٣) المصايد والمطارد : ١٤٦
(٤) صبح الأعشى : ٢/٤٥
(٥) المخصص: ٨/٧٦
(٦) المخصص : ٨/٧٦ ، ٧٧
(٧) المخصص : ٨/٧٧
(٨) الحيوان : ٦/٣٥٧ ، ٣٤٩

خصائص الأرنب ومزاياها :

من أبرز خصائص الأرنب قصر يديها وطول رجليها ، وذلك يمكنها من الصعود إلى الجبال وييسر لها التوقل في المرتفعات وهي تعرف ذلك من نفسها فإذا طردها كلب أو نحوه يممت نحو الجبل وجعلت تجري فيه صعداً ولذلك يُحْمَدُ في الكلاب قصر اليدين وطول الرجلين لأن الكلب إذا كان كذلك كان جديراً بألا تفلت منه الأرنب [1] ومن هنا قيل للأرنب حُذَمة لُذَمَة ، تسبق الجميع في الأكمة [2] والأرنب حيوان سريع العدو حتى إن الكلاب لتنبهر أنفاسها من كثرة جريها وراءها ولذلك قيل للأرنب (مُقَطِّعة النِّياط) لسرعتها فكأنها تقطع عِرقاً في جسم طالبها من شدة عدوها .

ويقال للأرنب حين تقارب خطوها : دَرَمَت الأرنب تَدْرِمُ دَرَماناً ، أما إذا بلغت أقصى ما تستطيعه من العدو فيقال : إنها دَمَكَتْ تَدْمُك دُموكاً [3] .

والأرنب سريعة الوثبة حتى إنه ليُضْرَب المثل بسرعة وثبتها فقد ورد في الأثر « ما الدنيا عند الآخرة إلا كنَفْحَة أرنب » أي إن مدة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كوثبة أرنب [4] .

ومن خصائص الأرنب التي تنفرد بها عن سواها من الحيوانات « التَّوْبير » وذلك أنها إذا خشيت على نفسها من الصائدين وخافت أن يتتبعها الكلب ويَقُصُّ أثرها جعلت تضم براثنها ولا تطأ على الأرض إلا ببطن كفها حتى لا يُرى لها أثر براثن وأصابع ، وبعضها يطأ على زَمَعَاته — والزمعاتُ : الشعرات المُدَلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب — وهي إنما تفعل

(١) انظر الحيوان : ٦/٣٥٦

(٢) المخصص : ٨/٧٧

(٣) المخصص : ٨/٧٧

(٤) لسان العرب ، والحيوان : ٦/٣٥٢

ذلك في الأرض اللينة فإذا خشيت أن تدركها الكلاب انحرفت إلى ما ارتفع من الأرض وصلب[1] وهذا المشي الذي أشرنا إليه يدعوه العرب « تَوْبيراً ».

وأنثى الأرنب قليلةُ الدَّرّ حتى إنه ليضرب المثـــل بقلة حليبها ، ولبن الأرانب ثخين غليظ [2].

وفي الارانب من العجب أنها تحيض ، وأنها تنام مفتوحة العينين وسبب ذلك أن حجاجي عينيها لا يلتقيان [3] .

والأرانب إذا فقدت الماء استغنت عنه باستنشاق الهواء وبَلّ صداها بمـا فيه من رطوبة . ويكون ذلك عند أرانب الدَّوّ والدَّهناء والصَّمّان حيث يندر الماء [4] .

وقـــد كانت للعرب الجاهليين طائفةٌ من المعتقدات الفاسدة التي تتعلق بالأرنب من ذلك أنهم كانوا يقولون : « من عَلَّقَ عليه كعبَ أرْنـَبٍ لم [5] تصبه عين ولا نَفْسٌ ولا سحر وكانت له واقية». وأن الجن تهرب من الأرنب لأنهـا تحيض ولا تغتسل [6] وأن الأرنب من مطايا الغيلان وليست من مطايا الجن للسبب الذي أوردناه آنفاً [7] .

وكان العرب إذا دخل أحدهم قرية خـافَ من جِنّها ومن وباء الحاضرة، وكان لا يزول خوفه عنـه إلا إذا وقف على باب القرية ونهق عشراً كما تنهق الحمير وعَلّق عليه كعبَ أرنب وقد أشار الشعراء الجاهليون إلى هذه المعاني كثيراً [8]

---

(١) انظر الحيوان : ٦/٣٥٣ و ٣٥٧

(٢) انظر الحيوان : ٢/٢٢١ ، ٦/٣٥٦

(٣) انظر الحيوان : ٣/٤٠٦ و ٥٢٩ – نهاية الأرب : ٩/٣٣٥

(٤) انظر الحيوان : ٦/٢٨٢

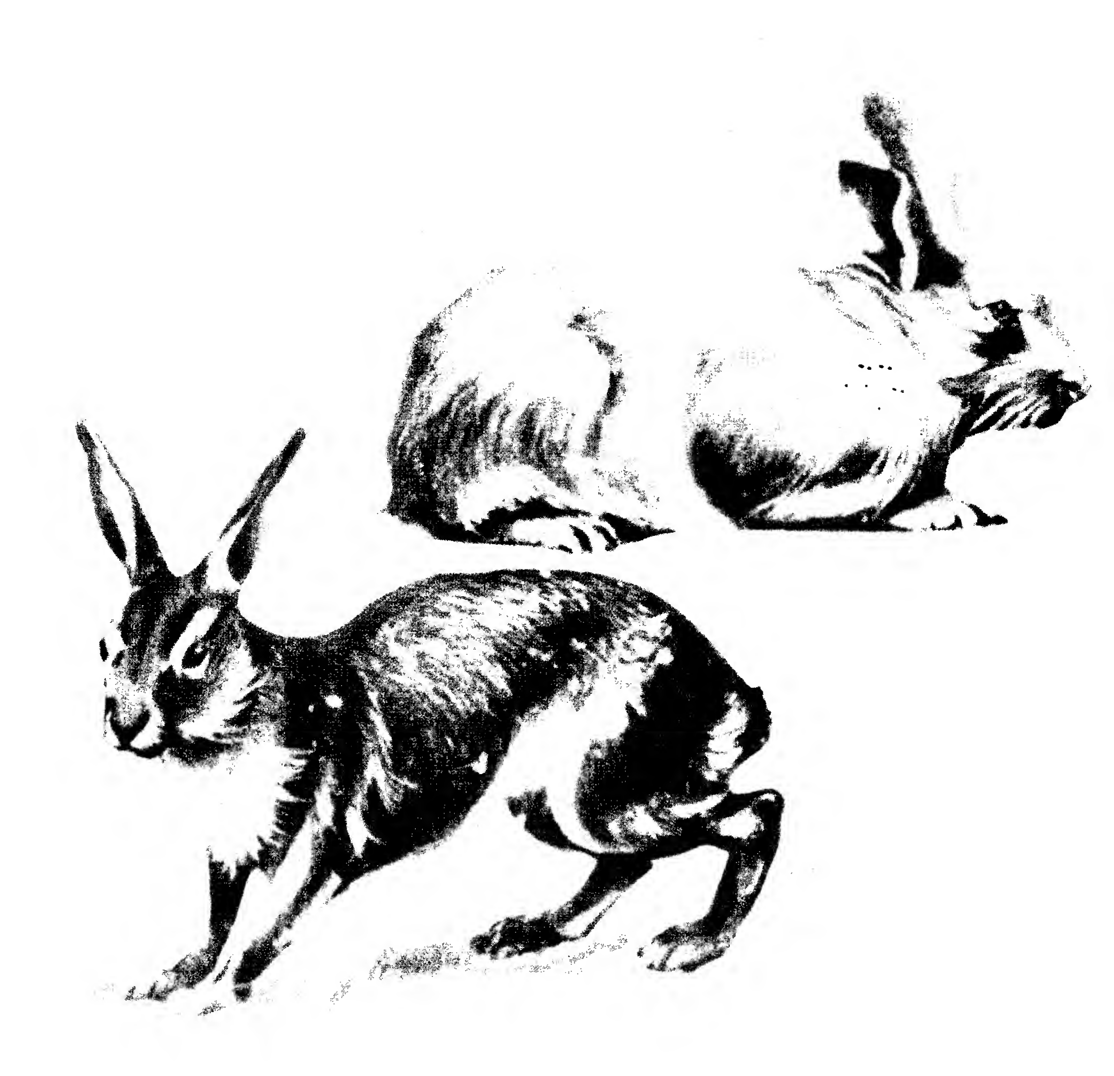
(٥) الحيوان : ٦/٣٥٧

(٦) الحيوان : ٦/٤٦

(٧) الحيوان : ١/٣٠٩

(٨) الحيوان : ٦/٣٥٨

الأَرْنبُ البرّيّ



خلق الله الأرنب قصيرة اليدين طويلة الرجلين ممـا يساعدها على الصعود إلى المرتفعات ، فإذا طردَها الكلب أو غيره اتجهت نحو الجبل ونجت منه .

وكانت العرب تعتقد أيضاً أن الأرنب إذا رأت البحر ماتت [1] .

كيف يصاد الأرنب ؟

ويُصاد الأرنب بالضواري والجوارح على حد سواء وأفْرَهُ الضواري على صيده الكلب وبخاصة ما كان منه قصير اليدين فهو الذي يستطيع اللحاق به إذا نحا نحو الجبل وطفق يصعد فيه ، وللكلب حين الصعود خلف الأرنب في الجبل الشاهق من الرفق وحسن الاهتداء والتأنـّي ما لا يخفى مكانه على البيازرة والكلاّبين [2] .

والكلب لا تخفى عليه جحور الأرانب في الأراضي المثلوجة التي تراكم عليها الجليد – كما أشرنا من قبل – فهو لا يزال يتشمم الأرض ويتبَصَّرُ حتى يقف على أفواه جحورها ، وهو يستدل عليها بأنفاسها وبخار أجوافها ، ويفيد في اهتدائه إليها من الحرارة التي تنبعث من أجسادها فتذيب الثلج الجامد وتجعله رقيقاً ولو لم يثقب [3] .

أما الجوارح فأفرهها على صيد الأرنب الصقرُ والبازي والزمّجْ والعقاب [4].

وكثيراً ما يعبث العقاب بالأرنب عند صيدها عبثاً ممزوجاً بالسخر من ضعفها مثيراً للحسرة والألم في نفس الأرنب .

فهو يصيد الأرنب ثم يخلـّي سبيلها ويظهر التغافل عنها فتلوذ بالفرار وتمعن في الهرب حتى إذا ظنت أنها نجت منها وثبت عليها .

وهي لا تزال تفعل ذلك المرة بعد المرة شأنها في ذلك شأن من يريد أن يسخر من صاحبه وأن يخدعه وأن يأخذه وهو أقوى ما يكون طمعاً في

(١) المصايد والمطارد : ١٤٦

(٢) انظر الحيوان : ٢/١٢٠

(٣) انظر الحيوان : ٢/١١٨

(٤) المصايد والمطارد : ٥٧ و ٨٤ و ١٠٣

السلامة وذلك ليتلذذ بتنغيصه وتعذيبه [1] .

والصائدون ينتفعون من جلود الأرانب وأوبارها ولحومها .

ولحم الأرنب طيب ولا سيما إذا أُكِلَ مشوياً فهو يجمع لذة الطعم مع حسن المنظر [2] .

---

(١) انظر الحيوان : ٢٨٢/٦

(٢) الحيوان : ٣٥٩/٦

الفصل العاشر

المَصِيداتُ من الطَّير

لم يقتصر العرب على صيد الوحوش وإنَّما صادوا الطيور أيضاً ، وأولعوا في جاهليتهم بصنف منها ولعاً شديداً هو النَّعام ؛ فكثر ترداد هذا الطائر في أشعارهم ، واستفاض وروده في أخبارهم .

ثم إنَّهم – لمَّا أكرمهم الله بالإسلام ، وحملهم هـذا الدين العظيم على جناحيه إلى آفاق جديدة عديدة من الأرض – جعلوا يصيدون ضروباً أخرى من الطير مما يكثر في تلك البلاد .

وفيما يلي تعريفٌ وافٍ بأهم ما كانت تصيده العرب من الطير في جاهليتها وإسلامها :

١ – النَّعـام

النَّعام – ومفرده نعامة – اسم جنس جمعي مثل حمـام وحمامة ، ويقال في جمعه : ثلاث نعامات، وثلاث نعائم إلى العشر ، كما يقال في الحمام : ثلاث

حمامات وثلاث حمائم إلى العشر ، فإذا كثرن فهن الحمام [1] .

وُيسمّى ذكر النعـام الظّـليم ، ويُسمّى ولدُه الرّألُ ، والأنثى رألة ، ويسمّى صغاره الَحفّان .

وقيل : إنّ أولاد النعام أوّل ما تخرج يقال لهـا : الحِسْكِل ما دام عليها الزّغَب ، فـإذا ألقت الزغب واكتست الريش فهي الَحفّان ، فإذا ارتفعْنَ عن الَحفّان فهنّ الرّئْلات ، والرّئال ، والأرْؤل .

والذكر رَأل والأنثى رَألة .

فإذا ارَتفعْن عن الصّغار ، ولم يَبْلغْنَ المسانّ فهن القِلاصُ وواحدها قلوص [2] .

ويقال للنعام : الصمل لصغر رأسه ، ويقال له : الأَسكُّ والمَصْلوم لأنه لا أذن له ، ويقـال لِموْضِعِه : الادْحى والأفْحُوص والقُرْموص والجمـع الأداحي والأفاحيص والقراميص ويقـال لفم النعام : منقار ، ولصدرها اللّبـان والجؤجؤ ، وللأظفار المتقدمة إلى قـدم رجليها مناسِم كما للبعـير خف [3] .

صفات النعام وخصائصه :

والنعامة طائر مركب من صورتي جمـل وطائر ولذا يسميه الفرس « اشتر مرغ » ومعناه الجمل الطائر .

ففيـه من البعير المنْسِم والوَظيف [4] والخزْمَة [5] والشق الـذي في

---

(١) انظر لسان العرب مادة « قلص » ، والمصايد والمطارد : ٥٧ و٨٤ و١٠٣

(٢) المخصص : ٨/٥٥

(٣) انظر المصايد والمطارد : ٢١٧ وما بعدها

(٤) الوظيف : مستدق الذراع من الخيل والأبل

(٥) الخزمة : موضع الخزم من الأنف

أنفه ، وفيه من الطائر الريش والجناحان والذنب والمنقار [1] .

وتزعم العرب أن ذكر النعام سمي ظليماً لان « النعامة ذهبت تطلب قرنين فرجعت مقطوعة الاذنين » [2] . فكأنهم ظلموها حين لم يعطوها سؤلها وقطعوا فوق ذلك أذنها .

ويقال للنعامة : « صَمْعاء » [3] بمعنى أنها صغيرة الرأس ملصوقة الأذنين بالصدغين [4] « ومن خصائص النعامة آنها مع فخامة عظامها وشدة عدوها لا مخَّ فيها » [5] .

« لذا فهي إذا انكسرت إحدى رجليها لم تستطع الاستعانة بالأخرى وإنما تبقى جاثمة في مكانها حتى تهلك جوعاً » [6] .

وهي على الرغم من عِظم بيضها تكثر منه كثرة كبيرة فتبيض ثلاثين بيضة في كل أوان ، لذلك قيل لها أم البيض وأم الثلاثين [7] .

وهي تضع بيضها سَطْراً مستطيلاً بحيث لو مُدَّ عليه خيط لم تخرج واحدة منه عن الاخرى ثم تعطي كلَّ بيضة نصيبها من الحضْن لانها لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها [8] .

وإذا غادرت النعامة بيضها التماساً للطعام فوجدت بيض نعامة أخرَى

---

(١) انظر الحيوان للجاحظ : ٣٢١/٤ والمعاني الكبير : ٣٣٦

(٢) الحيوان : ٣٣٢/٤

(٣) يقال أماما شديدة متصممة إذا كانت دقيقة محددة الرأس وسميت صومعة الراهب كذلك لأنها دقيقة في أعلاها، ويقال للرجل أصمع والمرأة صمعاء إذا كان قصير الأذنين وكانتا ملصوقتين بالرأس، وبنو أصمع قبيلة من العرب منهم الأصمعي.

(٤) الدميري : ٣٥٦/٢

(٥) الحيوان : ٣٢٦/٤

(٦) نهاية الأرب : ٣٤٠/٩

(٧) الدميري : ٣٥٥/٢

(٨) الحيوان : ٣٢٧/٤ والمعاني الكبير : ٣٥٧ وصبح الأعشى : ٧٠/٢

فقد تحضنه وتنسى بيضها وبسبب من ذلك ربما حضنت هذه النعامة بيض تلك وحضنت تلك بيض هذه، وربما ضاع البيض بينهما ولذا وُصِفت النعامة بين الطير بالحمق [١] .

وقيل إنها وُصِفت بالحمق لأنها إذا أدركها القانص دَسَّت رأسها في الرمل وهي تظن في نفسها أنها استخفت منه واستترت عليه [٢] .

وللنعامة على حمقها الذي وصفوها بـه تدبيرٌ عجيب في أمر بيضها فهي تقسمه أثلاثـاً : ثلثاً تحضنه وثلثاً تتخذ من محّه [٣] غـذاء ، وثلثاً تفتحه وتعرضه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفونته دود ونحوه فتتغذّي بـه فراخها إذا خرَجت [٤] .

والظليم يـدفع عن فراخه الأذَى ويصونها ممـا يضرُّ بها ومن هنا قـال الحجاج لأهل الشام : « إنما أنا لكم كالظليم الرَّامح عن فراخه ، ينفي عنها المـدَر ، ويباعـد عنها الحجر ويكِنُّها من المطر ويحميهـا من الضِّباب ويحرسها من الذئاب » [٥] .

والنعامة لا تشرب المـاء فإن رأته شربته عبثاً ولذلك ضرب بهـا المثل فقيل : أروَى من النعامة ، لانها لا تحتاج إلى الماء ولا تشربه .

وهي حيوان شديد العدو ، وأشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح فتضع عند ذلك عنقها على ظهرها وتخترق الريح .

والقانصون يعرفون هذا من النعام فيأخذون عليها طريق الريح، والعرب تضرب بسرعة النعام الأمثال فتقول : فلان أشْرَد من نعامة ، وأعدى من

---

(١) الحيوان : ٤/٣٢٧ وصبح الأعشى : ٢/٧٠

(٢) نهاية الأرب : ٩/٣٤٠

(٣) المح : صفرة البيضة

(٤) نهاية الأرب : ٩/٣٣٩

(٥) الحيوان : ٦/٣٥٣

نعامة ، وركب فلان جناحي نعامة إذا جـدّ في أمره ، وتقول للقوم إذا ظعنوا مُسْرِعين َخفَّتْ نعامتهم وشالت نعامتهم ، ويقال للفرس: له ساقا نعامة [1] . والعرب تشبه مراكبها بالنعام إذا وصفتها بالسرعة والنَّجاء .

والنعامة تسكن الرمل ولا تؤم الجبال بخلاف الأرْوَى فإنه يسكن الجبال ولا يؤم السهل ، لذلك يقال لمن جمع بين كلامين متناقضين في حديثه : فلانٌ تكلم فجمع بين الأروَى والنعامة ، وهما لا يجتمعان [2] ، وجاء في الامثال أيضاً قولهم: ما يجمع بين الأروى والنعام؟ وليس للنعامة حاسة سمع ولكِنَّ لهـا شماً بليغاً فهي تدرك بالشم مـا تحتاج فيه إلى السمع فربما شمت رائحة القناص من بعد ، لذلك تضرب العرب المثل بشمها فتقول : فلان أشمُّ من النعامة كما يقال : أشم من الذر وقد قيل : « ليس في الدنيا حيوانٌ لا يسمع ولا يشرب إلاّ النعام » .

وللنعامة قدرة عجيبة على الهضم والاستمراء فهي َتبْتلِع العظم الصلب ، والحجر الصلد، والحديد المحْمِيَّ، فتذيب ذلك كله وتميعه وتجعله كالماء [3].

ومن عجائب النعام أنـه يبتلع الجمر فبدلاً من أن يعمل الجمر في جوفـه فيحرقه نجده قد أطفأ الجمر ، فلقد رَوَى الجاحظ عن النظَّام أنه شهد محمد ابن عبدالله يلقي الحجر في النار فإذا عاد كالجمر قذف بـه قدام النعامة فإذا بها تبتلعه ... والحجر أشدُّ احتفاظاً بالحرارة من الجمر وأبطأ انطفاءً »[4].

والنعام إذا أكل َنبْتَ الربيعِ أحمرَّ ظنبوباه أو اصفرّا فيوصف بأنـه خاضِب وهو نعتٌ يُعرَف به وإذا أطلق انصرف إليه [5] .

---

(١) لسان العرب : ٦١/١٦ والمعاني الكبير : ٣٤١

(٢) انظر لسان العرب : ٦١/١٦ ونهاية الأرب : ٢٤٠/٩ وحيـاة الحيوان : ٣٥٩/٢ والمصايد والمطارد : ٢٢٢

(٣) انظر المصايد : ٢٢١ ونهاية الأرب : ٢٤٠/٩ والدميري : ٣٨٥/٢

(٤) انظر الحيوان : ٣٢٠/٤

(٥) المخصص : ٥٢/٨

كيف يصاد النّعام :

ولصيد النعام طريقتان : إحداهما استعمال النار وذلك بأن توقد أمامه النيران فإذا رآها دَهِشَ وتَسمَّر في مكانه فبدا وكأنه لا يستطيع حراكاً فيتمكن منه الصائد وهو على هذه الحال [1] .

والثانيه بنشر الخرق السود في مرابضها ومراتعها حتى إذا أَلِفَتْها وأَنِسَت بها لبسها القانص وأخذها حيةً [2] .

وحكم لحمه الحل بالإجماع [3] إلا أن لحمه بطيء الانهضام مسبِّب للتخمة [4] .

وقد أكثر الكتّاب والشعراء القول في النعام من ذلك قول أحد المتأخرين في رسالة نثرية : «فمن نعام خُضِبَ ظليمها لمّا أكل ربيعاً، واحمرت أطراف ريشها فكأنها سهام أصابت نجيعاً ، طالت أعناقها الناحلة فكأنها خطيّة ، واشتدت قوائمها الحاملة فكأنها مطيّة ، شاركت الطير في وجود الجناح وفارقتها في كثافة الأشباح ، وأشبهت الوحش في سكنى القِفار وشدة النفار » [5] .

---

(١) نهاية الأرب : ٣٤٠/٩

(٢) المصايد والمطارد : ٢٢٣

(٣) الدميري : ٣٥٨/٢

(٤) المصايد والمطارد : ٢٢٢

(٥) صبح الأعشى : ١٧٠/١٤

النَّعَامَة



طائرٌ سريعُ الجري يساعده على ذلك فخذاه العاريان وخُفّاه الخشنان الراسخان . تبيض النعامة كل يومين بيضة كبيرة جداً ، ويتعاون ذكر النعامة مع أنثاه على حضن البيض .

الكُركي



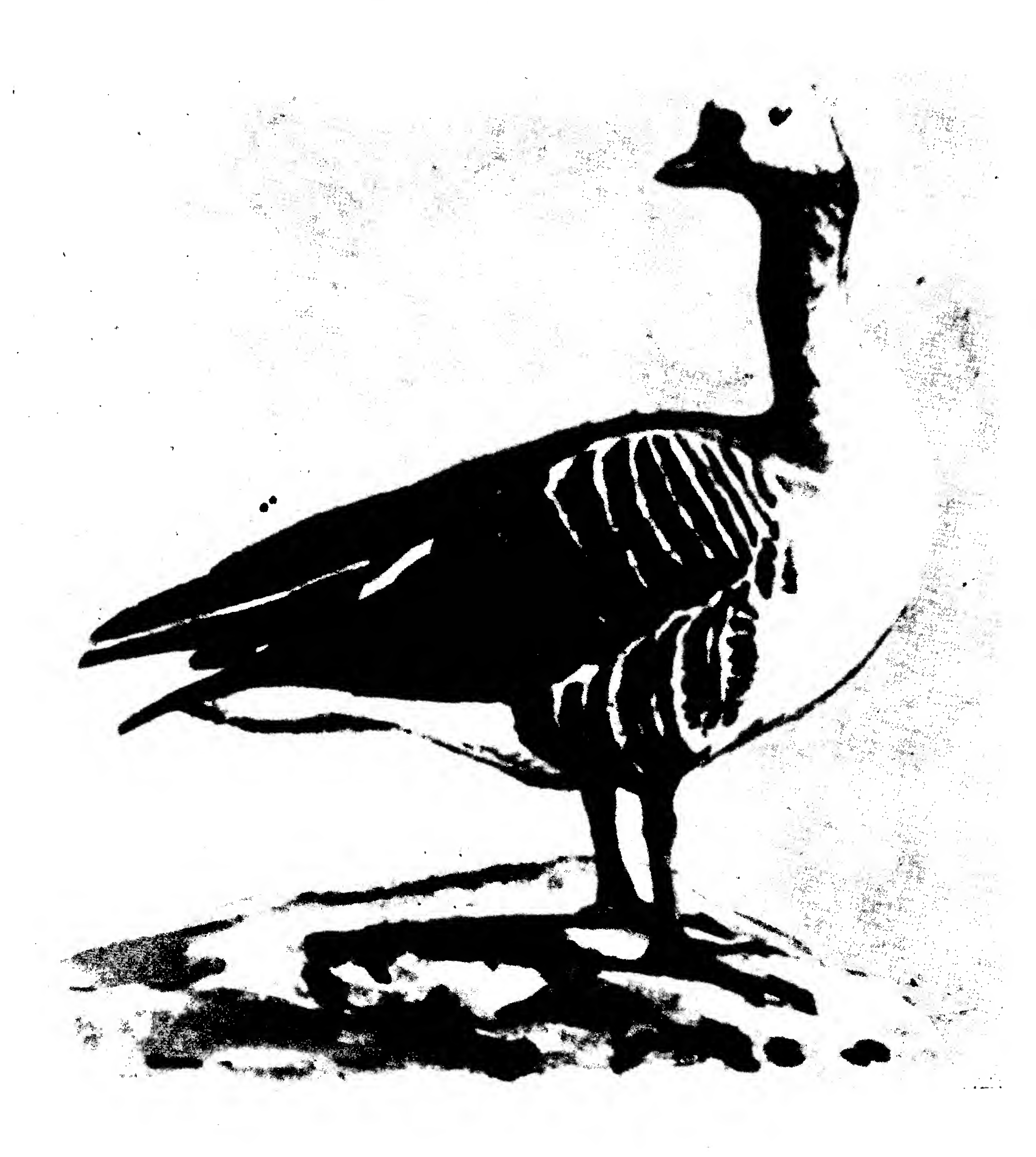
طائر شديد الحذر، يبني عشّه في أماكن خفية، ويحيا جماعات جماعات، ويقوم على حراسةِ الجماعة واحدٌ منها بالتناوب .

الكُرّكي



طائر شديد الحذر، يبني عشه في أماكن خفية، ويحيا جماعات جماعات ، ويقوم على حراسةِ الجماعة واحدٌ منها بالتناوب .

الإِوَزَّة البَرِّيَة



الإوزةُ البرية طائر يسعى إليه الصائدون لطيب لحمه ، وهي حيوان يجيد السِّباحة ، ويمشي بِخِفَّة ورشاقة . يبني الإوز البري أعشاشه في الأماكن البعيدة لفرط حذره .

وذكور هذا الطائر شديدة الغيرة على الإناث .



٢ ــ الكركي

الكركي طائرٌ « من أعظم الطير »[١] أغبرُ اللون طويل الساقين ذو منقارٍ عريضٍ غاية في العرض طويلٌ ، غـاية في الطول ، بشعٌ غاية في البشاعة [٢] وهو في حجم الإوزة .

ويجمع الكركي على كراكي ، وذهب بعض علماء الحيوان إلىأنه الغُرْنـُوق وقيل : إن الغرنوق هو الأخضر من الكراكي [٣].

وهو طائرٌ شديد الجبن كثير المخـاوف عظيم الاحتراس لنفسه لذا فهو لا يعيش إلا على شكل جماعات .

والكراكي لشدة خوفها وعظيم احتراسها لا تنام إلا في أبعد المواضع عن الناس وأشدها احترازاً من صغار سباع الأرض كالثعلب وابن آوى وغيرهما ، وهي مع هذا لا تنام أبـــداً حتى تقيم على نفسها حارساً من بينها يحرسها بالتناوب فإذا قضى الواحد من الحراس نوبته انضم إلى القطيـع وقـام كركي آخر مقامه وهكذا .

---

(١) انظر الحيوان : ١٤٩/٥

(٢) انظر الحيوان : ١٨٨/٣

(٣) انظر المخصص : ١٦٣/٨ والمصايد والمطارد : ٢٦٥

ومن شأن الحارس إذا خشي على نفسه النوم أن يرفع إحدى رجليه ليكون ذلك أدعى ليقظته . ثم هو لا يزال يهتف بصوتٍ خفيٍ ما دام حارساً كأنه يشعر الكراكي بيقظته ويسبغ عليها الطمأنينة والأمن [1] ومن هنا ضُرِب به المثل فقيل : فلان أحرص من الكركيّ لأنه يقوم الليل كله على إحدى رجليه [2] .

وإذا أحس الكركي الحارس بعدوٍّ صَوّت بصوته الشديد الذي يُسمع من مسافة بعيدة فينبه بذلك أصحابه [3] .

والكراكي لشدة خوفها وعظيم حذرها تعتمد التناصر والتآزر في حياتها فلا تطير الجماعة منها متفرقة وإنما تكون صفاً واحداً يتقدمها رئيس منها ، له عليها السمع والطاعة وتكون الرئاسة فيما بينها بالتناوب أيضاً فإذا انتهت نوبة رئاسة أحدها عاد إلى السرب وحل محله رئيس آخر وهكذا .

والكركي بَرٌّ بأبويه فإذا بلغ عنده الكبرَ أحدُهما أو كلاهما سعى عليه وعاله .

وللكراكي مشاتٍ ترحل إليها في الشتاء إذا استعر البرد، ومصايف تلجأ إليها في الصيف إذا آنست الحر .

فإذا تقدم مجيئها في فصل الشتاء عن موعده استُدِلّ بذلك على قوة الشتاء وشدة برده [4] .

والكراكي تأتي مصر في فصل الشتاء قادمة من بلاد الترك حيث يدهمها البرد، وقد كانت ملوك مصر تتغالى في طلب الكراكي وصيدها تغالياً شديداً وتنفق في سبيل ذلك الأموال الجمة الوفيرة ، وكان لهم في صيدها شأن [5] لا يدانيهم فيه غيرهم ، أما أكلها فحلال بلا نزاع .

---

(١) انظر الحيوان : ٣/٤٠٦ وصبح الأعشى : ٢/٦٣

(٢) انظر الحيوان : ٧/١٩٤ وعجائب المخلوقات : ٢/٢٨٧

(٣) انظر الحيوان : ٧/١٩٤ وعجائب المخلوقات : ٢/٢٨٧

(٤) نهاية الأرب : ١٠/٢٣٥ وصبح الأعشى : ٢/١٤

(٥) صبح الأعشى : ٢/٦٤

٣ ـ الإوَزُّ

الإوز بكسر الهمزة وفتح الواو واحدته إوزة وجمعوه على إوَزُّون ، والمراد به الإوَزُّ المعروف بالتركي لا الإوز البلدي .

وهو طائر في قدر الإوَز البلدي أبيض اللون ذو منقار يشبه الملعقة وهو يتبختر في مِشْيَتِه ويحب العوم .

والسباحة في الإوَز فطرة وسجية فإذا خرَج فرخه من البيضة سبح لتوه دون تعليم ، والأنثى منه لا تقبل أن تحضن بيض غيرها وإنما تختص بحضن بيضها هي ولا تقبل من البيض الا تسعاً أو احدى عشرة .

واذا حضنت الأنثى بيضَها قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين.

والإوزة تُخرج أفراخها يوم التاسع عشر فإن أبطأ خروج الفراخ امتد إلى آخر الشهر .

وهو معدود في جملة طير الماء وأكله مباح قطعاً [1] .

---

(١) انظر صبح الاعشى : ٦٤/٢ والدميري : ٤٥/١ وعجائب المخلوقات ٥٠٢/٢

٤ ــ الحبارى

الحُبَارى ـ بضم الحاء وفتح الباء ـ طائر «في قدر الديك كثير الريش، طويل العنق، رمادي اللون، في منقاره شيء من الطول [١] وتدعى بدَجاجة البر» [٢] .

والحبارى اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى وواحده وجمعه سواء وإن شئت قلت في الجمع حُبارِيات، وهي من أشد الطير طيراناً ، وأطولها شوطاً؛ وذلك أنها تصاد في البصرة فيشق عن حواصلها فتوجد فيها الحبة الخضراء من البُطْم غضة لم تتغير ولم تفسد ، ومنابت أشجار البطْم في جبال الثغور الشامية [٣] ، ولذلك قيل في المثل : فلان أطلبُ من الحبارى [٤] .

ويقال لذكر الحبارى: الخَرَب ويجمع على خِراب وأخْرُب وخِرْبان [٥] ويقال لفرخ الحبارى : (النَّهار) .

وقد وصفت الحبارى بالحمق والغفلة فقالوا : « مـــا في الطيور أشد بلهاً

(١) الدميري : ١/٢٢٦

(٢) المصايد والمطارد : ٢٦٧

(٣) انظر الحيوان : ٥/٤٥٢ ونهاية الارب : ١٠/٢١٥ .

(٤) الدميري : ١/٢٢٦

(٥) انظر الحيوان : ٥/٤٤٩ وصبح الاعشى : ٢/٦٥

منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها [1] وقد ضرب بها عثمان بن عفان رضي الله عنه المثل فقال : « كل شيء يحب ولده حتى الحبارى » [2] .

وسلاح الحبارى الذي تدافع به عن نفسها هو سُلاحها فقد رأينا من قبل أن لها خزانةً بين دبرها وأمعائها تحتفظ فيها دائماً بِسَلْحٍ رقيق لزج فإذا هاجمها الصقر يريد اقتناصها جعلت تعلو وتنزل وتتيامن وتتياسر حتى تجد فرصة فترميه بذرقها فإذا أخطأته قضَى عليها وإذا أصابته غدا كالمكتوف المقيد وعند ذلك تجتمع عليه الحَبَاريات فينتفن ريشه كله ويكون في ذلك هلاكه [3] وكذلك قالت العرب : « سلاح الحبارى في سلاحها » وقالت : « فلان أسلح من حبارى » .

ومن شأن الحباريات أن تموت كمداً إذا تحَسَّر ريشها وتساقط في موسم سقوطه ثم أبطأ نباته فطارت صُوَيْحِباتها وبقيت هي عاجزة عن الطيران ومن هنا ضُرب بها المثل فقيل « مات فلان كَمَد الحبارى » [4] .

وحكم لحم الحبارى الحل لكنه مما يعافه بعض الناس لانها تأكل كل شيء حتى الخنافس [5] .

---

(١) عجائب المخلوقات : ٢/٢٥٨

(٢) الحيوان : ٥/٤٤٦ .

(٣) انظر الحيوان : ٥/٤٤٦ وعجائب المخلوقات : ٢/٢٥٨ والمعاني الكبير : ٢٩٤

(٤) انظر الحيوان : ٤٤٥

(٥) الدميري : ١/٢٢٦ والمصايد والمطارد : ٢٦٧

٥ ـ القطا

القطا وواحدته قطاة والجمع قَطَوات وقَطَيَات [١] . وهو معدود من الحمام وسمي « قطا » لحكاية صوته لانــــه يصيح « قطا قطا » ولذلك تصف العرب القطا بالصدق [٢] والقطا نوعان كُدْرِيٌّ وجُوني أما الكدْري فغبر الألوان رُقْشُ البطون والظهور صفر الحلوق قصار الاذناب.

والجوني سود بطون الاجنحة والقوادم، وظهورُها أغبرُ أرقط تعلوه صفرة وهي أكبر من الكدري بحيث تعدل كل جونية كدريتين [٣] .

وإنما سميت الجونية كذلك لانها لا تفصح بصوتها إذا صوتت وإنما تغرغر بصوت في حلقها . وأما الكدرية فهي فصيحة تنادى باسمها [٤] .

ومن شأن القطاة ألا تضع بيضها إلا أفراداً وأنهـــا تبيض في القفر على مسافة بعيدة من المـــاء ، فإذا أرادت الماء خرجت من أفاحيصها أسراباً وجماعات ـ لا متفرقةً ـ عند طلوع الفجر فتقطع إلى حــــين طلوع الشمس

---

(١) لسان العرب : قطو

(٢) لسان العرب : « قطا » وصبح الاعشى : ٧٢/٢

(٣) صبح الاعشى : ٧٢/٢ حياة الحيوان : ٢٠٢/٢

(٤) حياة الحيوان : ٢٠٢/٢ . (الافضل أن تكون التسمية ذات صلة باللون لا بالإفصاح فالكدرية ذات لون فيه كدرة والجونية ذات لون فيه سواد) .

مسيرة سبع مراحل[1] فإذا وقعت على الماء شربت نهلا ثم أقامت عليه مقدار ساعتين أو ثلاث ساعات ثم تعود إلى الماء ثانية فترتوي منه ثم تؤوب إلى أماكنها وفي حواصلها الماء فتسقى منه أولادها ، والجونية تخرج إلى الماء قبل الكدرية ، وتوصف القطاة بالهداية وذلك لانها تبيض في القفر حيث لا شجر ولا مدر ثم تعود في الليلة المظلمة بعد ورود الماء إلى أماكنها فإذا صارت حيال أولادها صاحت (قطا قطا) من غير أن تخطىء أو تستدل بعلامة أو إشارة ؛ لذا ضربت العرب بها المثل فقالت : « أهدَى من القطا » .

والعرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها ، ومشيها يشبه مشي النساء الخفرات ، وقد أكثرت العرب من ضرب الامثال بالقطا فقالت : فلان أنسب من قطاة ، وذلك أنها اذا صوتت فإنها تنتسب لانها تصوّت باسم نفسها « قطا قطا » وقالوا : لو تُرِك القطا ليلا لنام ؛ وسببه أن عمرو ابن ماجه نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأته طائرة فنبّهت زوجها فقال : انما هذه القطا ، فقالت : لو ترك القطا ليلا لنام ، ويضرب هذا المثل لمن حُمِل على مكروه من غير إرادته .

وحكمها حل الاكل بالإجماع[2]

---

(١) المرحلة من ٢٨ إلى ٣٣ كم ، ومتوسطها ٣٠٥٠٠ كيلومترا (انظر الطريق المدائن ص ١٤٤ ، دار النفائس)

(٢) انظر صبح الاعشى : ٧٣/٢ وحياة الحيوان : ٢٥٣/٢



الفصل الحادي عشر

آدابُ الصَّيْدِ عِنْدَ العَرَبِ

(قبل الإسلام وبَعْدَه)

كانت لَدَى العرب في الجاهلية آدابٌ للصيدِ يتأدَّبون بهـــا ، وتقاليد يرعونها ، ثم جاء الإسلام بِهَدْيِه العظيم فأضاف إلى هذه الآداب ما هو أكرم للإنسان الصائد وأرحم بالحيوان المصيد .

غير أنّ العرب لم يقتصروا على مـــا ورثوه عن آبائهم ، وما أخذوه عن نبيّهم من آداب الصيد ، وإنّما نظروا إلى تقاليد الصيد وآدابـه عند الأمم الأخرى — وبخاصّة الفرس — وَضمُّوه إلى مـــا عندَهم ، فكان لهم من ثمرة ذلك طائفة من الآداب: بعضُها جاهليٌّ ، وبعضُها إسلاميٌّ وبعضُها فارسي.

وكان من أقدم هــذه الآداب الكفُّ عن صيد الحيوانات التي تلجأ إليهم بسبب شِدّة الجوع أو حِدّة العطش أو قسوة البرد ، فكأنّها عاذت بهم ؛ وليس من المروءة أن يُنَالَ عائذٌ بسوء ، فكثيراً ما كانت تتراكم السُّحُبُ وتجري الأودِيَةُ ويتتابع السيل ، وَتَثْلُجُ الصحراء حتى يعم ذلك معاقل الأروى [1] ومرابض المهـــا ، ومفاحص القطا ، ومسالك الطير في الهواء

(١) الأروى جمع أروية وهي أنثى الوعل

فتلجأ الحيوانات إلى العمارة ويغدو في مُكْنَة الناس أن يأخذوها قبضاً [١].

وكم من أناس « أمكنهم أخذُ الحيوانات على هـذه الحال فآثروا تركها وقالوا : إنما لجأت إلينا وعاذت بجوارنا فنؤمنها ولا نروعها ولا نجور عليها».

وممن فعل ذلك « مجير الجراد » واسمه الحارثة بن حنبل من طيء ، وكان الجراد قد وقع في أرضه ، فبدأ بالوقوع حول خبائه ، فخرج أهـل الحي ليصيدوه فركب فرسه وأشرع إليهم صدر قناته وقال : ما كنت لأمكنكم من جاري ، وقد افتخر قومه بذلك فقال شاعرهم هلال بن معلوية التغلبي :

ومنـا الكريمُ أبو حَنْبَلٍ أجار من الناس رِجْلَ الجراد
وزيدٌ لنـا ولنا حـاتمٌ غياثُ الورى في السنين الشداد [٢]

وظل هذا الأدب من آداب الصيد مراعىً إلى ما بعد الإسلام يأخذ الناس أنفسهم به ويجدون في المحافظة عليه مَحْمَدَةً ومأثرة .

فقد حدث صاحب البيزرة قائلا : أخبرني من وثقت بصدقه عن رجل من جِلّة أهـل همذان أن الثلج كثر في ضياعه حتى لجأت إليها عاناتٌ كثيرة فأخذها وكلاؤه ولم يحدثوا فيها حدثاً وأخبروه بخبرها فكتب إليهم أن أقيموا لها قضيماً [٣] وعلفاً إلى أن ينحسر الثلج ، فإذا انحسر فخلوا سبيلها واحموها حتى تبلغ مأمنها ففعلوا [٤] .

ومن ذلك ما فعله رجل من بني عبدالله بن كلاب يقال له همام وقـد بات بأرض خلاء ليس معه أحد فأوقد ناراً وكان قد صاد صيداً فلما رأى الذئبُ النارَ أتاها ، فلما قَرُب منه وهو غرثان [٥] أقبل يَتَقَرْش [٦] مـا يرميه همامٌ من العظام وهو لا يراه فلمـا تبينه رمى إليه بقيةَ صيده ولم يَرُعْه وأنشأ يقول :

---

(١) البيزرة : ٣٧ ، ٣٨
(٢) البيزرة : ٣٧
(٣) القضيم : شعير الدابة
(٤) المصدر السابق
(٥) غرثان : جائع
(٦) تقرش الشيء : أخذه أولاً بأول

يا رب ذئبٍ باسلٍ مقدام ... مُنْجَرِدٍ (١) في الليل والإظلام
عاود أكل الشاء والأنعام ... قد ضافني في الليل ذي التمامِ
في ليلة دانية الإرْزَام (٢) ... يَقْرِشُ ما ألقي من العظامِ
فبات في أمني وفي ذمامي ... مستدفئاً من لهب الضرامِ
آثرته بالقسم من طعامي ... ولا يَخَفْ نبلي ولا سهامي
ولو أتَى غيري من الأقوام ... من اللئام لا من الكرامِ

إذَنْ للاقى عاجل الحمام

واستضافة الذئب كثيرةٌ في الشعر العربي ، وهي مأثرة من المآثر التي يعتدُّ بها الرجال ، فها هو ذا النجاشي الحارثي يستضيف الذئب ويذكر ذلك مفتخراً به فيقول :

وماءٍ كلون الغِسْلِ قد عاد آجِناً ... قليلٌ به الأصوات في بلد محلِ
وجدت عليه الذئب يعوي كأنه ... خَليعٌ خلا من كل مال ومن أهلِ
فقلت له : يا ذئب هل لك في فتىً ... يواسي فلا مَنٌّ عليك ولا بخلُ (٣)
فقال : هداكَ الله للرشد إنما ... دعوتَ لما لم يأته سَبُعٌ قبلي
فلست بآتيه ولا أستطيعه ... ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فضلِ
فقلت عليك الحوضَ إني تركته ... وفي صَفْوِهِ فضلُ القَلُوص من السَّجْل
فطَرَّبَ يستعوي ذئاباً كثيرة ... وعدتُ فكلٌّ من هواه على شغلِ (٤)

وها هو ذا الفرزدق أيضاً ينزل بالغريين فيَعْرُوه على ثاره ذئب ، وكان

---

(١) المنجرد : قصير الشعر

(٢) الإرزام : شدة الرعد

(٣) في البيت إقواء حيث ضم قافية هذا البيت مخالفاً بذلك سائر القوافي التي جاءت مجرورة. والبيت يصاع لو قيل : بلا من عليك ولا بخل

(٤) حماسة الشجري : ٢٠٧

مع الفرزدق مَسلُوخةٌ فرمى إليه بيدها ثم بما بقي منها وقال مفتخراً بذلك :

وليلة بتنا بالغُرِيَّيْن ضافَنَا ... على الزاد مُوشِيُّ الذراعين أطلَسُ
تلَمَّسَنا حتى أتانا ولم يزل ... لَدُنْ فطمته أمه يتلمسُ
فلو أنه إذ جاءنا كان دانيا ... لألبسته لو أنه كان يلبسُ
ولكِنْ تنحّى جنبه بعد ما دنا ... فكان كقاب القوس أو هو أنفسُ
فقاسمته نصفين بيني وبينه ... بقيةَ زادي والركائب نُعَّسُ (١)

وللفرزدق قصيدةٌ أخرى يفخر فيها بمثل هذا الموقف من الذئب فيقول :

وأطلسَ عَسَّالٍ وما كان صاحباً ... رفَعْتُ لناري موهناً فأتاني
فبتُّ أقُدُّ الزادَ بيني وبينه ... على ضوء نارٍ مرَّةً ودخانِ
وقلت له لما تكَشَّر ضاحكاً ... وقائم سيفي من يدي بمكانِ
تَعشْ فإن واثقتني لا تخونني ... نكن مثلَ من يا ذئبُ يَصْطَحِبانِ
وأنت امرؤ يا ذئبُ والغدرُ كنتما ... أُخَيَّيْن كانا أرْضِعا بلبانِ (٢)

ومن آداب الصيد الكريمة عند العرب أن يكون سبيلُه الطراد والمنازلة والظفر بعد الطلب والجهد ، لذا يُعاف عند الصائدين المتأدبين بآداب الصيد فعلُ « من عجز عن رمي الطير بسهامه وقصرت حيلتُه عن اصطيادها بشباكه فألقى في ملاقطها ومراعيها سِمَاماً مخدرة مُهَوِّسة حتى إذا تناولتها جرت فيها مجرى الدم وقطعتها عن الحراك ، وطال بذلك تعذيبها فيضطرب ذو الجناح الاضطراب الشديد ، وينقلب ذو القوائم فتندق قوائمه وتترضَّضُ أعظمه فيكون قد قتل بذلك قتلاً » .

---

(١) حماسة الشجرى : ٢٠٨

(٢) حماسة الشجرى : ٢٠٩

ومثله الذي يسدُّ على الوحش مذاهبها إلى المشارب فيجهدها العطش حتى تتخاذل أعضاؤها وتهن قواها وتسقط على الأرض من شدة الإعياء فـلا تريم عن مواضعها ، ثم تؤخذ وهي على هذه الحال [1] .

ومن آداب الصيد تهادي لحمه وبَذْله للطاعمين وجَمْع الصّحاب والأتراب على قديره أو شوائه ، وقد كانَ الصائدون يفخرون بذلك فامرؤ القيس وأبو النجم العجلي والشمردل اليربوعي ذكروا هذا المعنى في شعرهم وافتخروا بـه « وكان الأشراف يتهادون القطيعة اليسيرة من لحم الصيد لا قيمة لهـا » [2] ويجدون في ذلك متعة ومسرة .

ومن آداب الصيد التي التزمها العرب في الجاهلية وظلوا يلتزمون بها بعد الإسلام التغليس في التماس الطرائد لأنهـا تكون في وقت الغلس قـد هدأت وربضت للنوم فتُستثار وفي عيونها سنة الكرى فلا تقوى على المقاومة [3] .

ومن هنا كثر في شعر الصيّد عند الجاهليين وفي شعر الطرد عند الإسلاميين ومن تـــلاهم افتتاح القصائد والأراجيز بقولهم : « وقد اغتدي والطير في وكناتها » [4] وقولهم : « قـد اغتدى والليل في جلبابه » [5] ، وقولهم : « قد اغتدي والطير في مثواتها » [6] وما شاكل ذلك من العبارات التي تدل على التبكير .

ومن آداب الصيد أن تُختار له الأيامُ الغائمة التي لا مطر فيها ، وذلـك أن الضواري أفره ما تكون في يوم الغيم ، وأن الطرائد أشغل ما تكون في هذا اليوم بطلب المرعى والمداومة عليه ، وفي اشتغال الطريدة فرصةٌ للصياد والضواري ، وقد كانت الملوك تقسم أيامها فتجعل يوم الغيم للصيد [7] .

---

(١) المصايد والمطارد : ١٥
(٢) المصايد والمطارد : ٩
(٣) أنس الملا : ٢٢
(٤) ديوان امرىء القيس : ١٩
(٥) التشبيهات : ٤٩
(٦) الحيوان : ٢/٣٦
(٧) أنس الملا : ٢٢

ومن آداب الصيد التي جاء بها الإسلام وأخذ المسلمون أنفسهم بها عدم تعذيب الطريدة والإحسان إليها فقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب على نفسه الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة وَلْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرته وَلْيُرِحْ ذبيحته » ومن هنا حضَّ علماء الصيد القانصين على أن يتخذوا سكينين حادتين للذبح وثالثة للسلخ وقالوا في تعليل ذلك أنه ربما انكسرت إحدى السكينين قبل إتمام الذكاة فتألم الطريدة وتصير الذبيحة ميتة [1] .

كما حضوا على اتخاذ القوس الجيدة والسهام النافذة والفرس الخفيف السريع [2] .

ومن آداب الصيد التي تظهر فيها روح الإسلام ألا يركب الصائد فرسه إلا على طهارة ، وأن يوقر من هو أكبر منه سناً أو أعلى رتبة ، وذلك بألا يطرد صيداً عرض له كبير ، أو ركض خلفه ، وألاّ يزاحمه إلا إذا أذن له بذلك ، وإذا رمى صائدٌ آخرُ غيرُه طريدةً بسهم فلا يرمي معه إلا إذا فات سهمُه وأخطأ هدفه .

وعلى الصائد أن يتجنب دوس الزرع وإتلافه [3] .

ومن آداب الصيد أيضاً أن يتناول القانص قبل ركوبه الى الصيد ما يصلح له من طعامٍ خفيفٍ وشرابٍ مُباحٍ وألا يملأ معدته ليكون أخف حركةً وأقدرَ على الصيد وأنشط له [4]، وأن يستصحب معه الملح والإشْنان والخلال والسفود لشيّ اللحم [5] .

ومن آداب الصيد أن يتخذ الصائد جواداً خفيفاً سريعاً ليتمكن من اللحاق بالطرائد ، وأن يتقلد سيفاً ماضياً حتى اذا رمى الطريدة وأخطأها

---

(١) أنس الملا : ١١ (٢) أنس الملا : ١٥
(٣) انظر أنس الملا : ٩ ، ١٠ ، ٢٠
(٤) أنس الملا : ٢١ (٥) أنس الملا : ١٠

فربما رجعت اليه بسرعةٍ وأعجلته عن أن يُفوّق اليها سهماً جديداً فيبادرها عند ذلك بضربةٍ من دبوسه فإذا أخطأها ضربها بسيفه [1] .

ومن آداب صيد طير الماء وتقاليده أن يستصحب البيازرة معهم الطبول حتى اذا ما وقعوا على أسراب الطير أحاطوا بها من كل جانب وتقدم حَمَلَةُ البزاة وتأخر عنهم حملة الشواهين الكُوهِيَّة ثم تُدقُّ الطبول لإثارة طيور الماء فإذا هبَّت للطيران أُرسلت عليها البزاة فتصيد منها ما تصيد وتخطىء منها ما تخطىء وعند ذلك يتقدم حملة الشواهين ويطلقونها على ما أخطأته البزاة فتلحق به وتصيده لأن الشواهين الكوهية أسرع طيراناً وأبعد مدىً.

فإذا صادت البزاة والشواهين ما يجب أن تصيده أُطعِمت وأُشبِعت وأُتي بغيرها حتى اذا انتهى الصيد وأُشبِعت الجوارح كلها وَرَدُوا بها الماء لتشرب وتستحم [2] .

ومن آداب الصيد التي أخذها العرب عن الفرس امساك الجوارح فقد أشرنا من قبل الى ما ذكره كشاجم من أن ملوك فارس كانت تحمل الجارح على اليسار، وكان الآيين في ذلك أن يأتي البازيار والجارح على يساره فيعارض الملك ورأسُ كلّ واحد منهما الى كفل الآخر ثم يحوله البازيار – من يساره الى يسرى الملك – ثم أردف يقول وهذا مذهب العرب في امساك الجوارح [3].

ومن هذه الآداب أيضاً ما يتعلق بما يُهدى الملوك من الصيد فقد تُعُورف على أن تُهدى الى الملوك الوحوشُ دون السباع «والآيين [4] في ذلك ما كانت عليه الحال أيام ملوك فارس، فقد كانوا اذا أُدخلت عليهم هذه

---

(١) أنس الملا : ١٥ ، ١٦

(٢) الاعتبار : ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٣) المصايد والمطارد : ٦١

(٤) الآيين : كلمة فارسية معناها الدين والمذهب والطريقة وقد أطلقت في العصر العباسي على ما أخذه العرب عن الفرس من الطرائق والمذاهب والأنظمة فقالوا : آيين الوزارة كذا وآيين الصيد كذا وآيين الحرب كذا ، وهم يقصدون بذلك ما نقلوه عن قدماء الفرس في هذه الأمور .

الأصناف صيداً أو هديةً وعرضت عليهم أن يسنح بهـــا عن يسار الملك الى يمينه... أما الرقيق والسباع وما يركب فيسنح بها عن يمينه الى يساره »[1].

وقـد قسم العرب الأيام الى أيام يحسن فيها الصيد وأخرى يـذم فيها ، وجعلوا يتفاءلون في الصيد ببعض الطوالع والنجوم ويتشاءمون ببعضها الآخر ويرجعون في ذلك الى آل نوبخت وغيرهم من أهل فارس ممن لهم علم بالكواكب والطوالع .

وقد تناولتْ جلُّ كتب البيزرة التي وقفنا عليها هذا الأمر تناولاً يسيراً أو كثيراً ، وعقد له صاحب المصايد والمطارد بابـاً خاصاً جاء فيه : (أن الملوك جعلوا أوقاتـاً محمودةً للصيد وأُخرى مذمومة وحددوا أياماً خاصةً من الأسبوع يُستحسنُ فيها الصيد وهو يوم السبت دون غـيره من الأيام وقـاسوا أمر الطالع في الصيد على الحرب لأن كُلّاً منها كرٌّ وفرٌّ ودرك وفوت)[2] .

ولأبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي[3] طرديةٌ يصف فيهـــا يوم صيدٍ مسعوداً جاء فيها :

وصاحب الطالع فيه الزهرة والمشتري يسعدها بنظرة[4]

هـذه هي جملة الآداب العامة التي تأدب بها الصائدون العرب وأخذوا أنفسهم بها . وهناك آدابٌ خاصةٌ تتعلق بمعاملة بعض الطيور ألممنا بهـا عند الحديث عن الجوارح والضواري .

---

(١) سنح الطير أو الظبي : مر من الميامن إلى المياسر .

(٢) المصايد والمطارد : ٢٤٠

(٣) المصايد والمطارد : ٢٣٨

(٤) انظر في ترجمته الأغاني : ١٨/١٧٠ وتاريخ الحكماء للقفطي: ١٦٥ ، ٤٠٩ والمصايد والمطارد : ٢٣٨ حيث قال عنه كشاجم : وهذا الرجل معدن من معادن علم النجوم لا يتكلم إلا عن أصل صحيح .

المصايد والمطارد : ٢٣٧ ، ٢٣٨

الفصل الثاني عشر

الصَّيدُ في العصر الحديث

لم يفتر ولعُ الإنسان بالصيد في العصر الحديث عما كان عليه في العصور القديمة .

إذ ما فتىء هواة هذه الرياضة يبذلون في سبيلها مُنْفَسَ المال ، وثمينَ الوقت ، بل ربما بذلوا في سبيلها نفوسَهم أيضاً .

ذلك لأن الميدان الأكبر للصيد قد غدا اليوم في أعماق الغابات العذراء المُتْرَعة بعجائب الأسرار ، الحافلة بفوادح الأخطار .

على أن الذين يمارسون الصيد في هذا العصر ليسوا جميعاً من الهواة وإنما وجد إلى جانبهم فريقان آخران :

أحدهما : التجار الذين رأوا في الصيد تجارة رائجة تدرُّ عليهم الربح الوفير والمال الكثير ، حيث أخذوا على عاتقهم تزويد حدائق الحيوان المنتشرةَ في أرجاء المعمورة بعجائب المخلوقات ، وسدَّ حاجات حدائق الحيوان والملاهي التي تعرض على النظّارة الحيواناتِ المدربةَ وتخلب ألبابهم بألعابها الرائعة ، وتلبيةَ الطلب المتزايد على الفراء الثمينة ، والجلود البديعة ، وأنياب

بعض الحيوانات وعظامها التي تُستعمل في صنع الحليّ وأدوات الزينة .

وثانيهما : تلك الشعوبُ البدائيةُ الفقيرة المنتشرة في أجزاء متفرقة من القارّة السوداء .

وكثيرٌ من السكان الأصليين في الأمريكتين وأوستراليا والملايو والهند والأسكيمو وشرقيّ سيبريا ممن أخذ المستعمرون أراضيهم الصالحة للسكن والزراعة ، ودفعوهم إلى استيطان الأدغال الموحشة أو الأراضي المقفرة ؛ مما حملهم على اعتمادِ الصيد وسيلةً لسدّ حاجتهم من الغذاءِ والكساء .

ومن هنا كان الممارسون للصيد في عصرنا الحديث أصنافاً ثلاثة : فهم إمّا **هواةٌ مترفون ، وإمّا تجارٌ محترفون ، وإمّا شعوبٌ متبدية فقيرة .**

ثم إن الصيد قد اتجه في هذا العصر نحو اقتناص الوحوش الكاسرة والحيوانات الضخمة الرهيبة كالفيل، ووحيد القرن ، والكَرْكَدَنّ والدبّ الأبيض ، والجاموس الهندي ، والحصان البري ، والنمر ، والأسد ، بينما كان الصيد في القديم يتجه نحو الطيور والغزلان وحمر الوحش والنعام وغيرها مما لا يبلغ في قوته وخطورته تلك الحيوانات الآنفة الذكر .

وقد أدّى هذا الاتجاه الجديد الى تجديدٍ في طرق الصيد ، وأدواته .

طرق صيد الوحوش :

تختلف طرق صيد الوحوش باختلاف المنطقة التي يجري فيها الصيد من جهة ، وباختلاف الحيوانات المطرودة من جهة أُخْرَى .

فالمناطق المكشوفة العارية من الأشجار تختلف عن الأخرى المكسوّة بالغابات اللّفّاء .

والحيواناتُ الشرسة المفترسة تصاد بطرق غير الطرق التي تصاد بها الحيواناتُ التي لا تسبب خطراً للإنسان .

ومع ذلك ففي وسعنا ان نوجز أهمّ طرق صيد الوحوش فيما يلي :

١ – طريقة التَّسَلُّل :

وتُستخدَمُ هذه الطريقة في المناطق العارية من الاشجار بحيث يستطيع القانص رؤية الطريدة من مسافات بعيدة كما تستطيع الطريدةُ أن تراه أيضاً فتولّي هاربة منه أو تُقبِلُ هاجمةً عليه . وعلى الصائد في أمثال هـذه المناطق أن يتذرَّع بالحذر وأن يتحلّى باليقظة وأن يحسب لكل خطوة حسابها .

وأن يتخذ من كل حفرة أو صخرة ستاراً يُخفيه عـن عيون فريسته ، وأن يهتم باتجاه الريح ؛ فلا يقبل على الحيوان إلا من الجهة المخالفة لهبوبها حتى لا يشمّ الحيوانُ رائحته فيولّي هارباً منه وتدعى هـذه الطريقة بطريقة التَسَلُّل .

٢ – طريقة المباغتَة :

وتتحتّم هـذه الطريقة في المناطق المكسوّة بالأدغال العامرة بباسقات الأشجار ، مما يجعل ساحة الرؤية أمـام الصائد ضيقة بالغة الضيق بحيث لا تتجاوز بضعة أمتارٍ مربّعة ومما يتيح للطرائد أن تختفي عن عينيه على الرغم من شِدّة قربها منه .

وفي هـذه الحالة يجب على الصائد أن يتنبّه إلى أمرين أولهما قوّة حاسة الشم عند فريق كبير من الحيوانات ، وقوّة حاسة السمع عند فريق آخر ، وقوّة الحاستين معاً عند جُلّ الحيوانات .

ومن هنا وجب على الصائدين أن يستخدموا الإشارات بدلاً من الكلام ، ويُنصَحُ لهم أن يطلوا ثيابهم بالطين أو ببعض عصارات أعشاب الغابة حتى لا تنذر بهم الحيوانات [1] .

---

(١) بعض الدول ، كالولايات المتحدة ، تحرم تلك الطرق في قوانينها كيلا يصيد الصائدون بعضهم بعضاً . لذلك يجب الحذر الشديد عند اللجوء الى مثل هذه الطرق .

فليس هناك صوتٌ يثير الوحوش كصوت الإنسان ، ولا رائحة تحركها كرائحته .

وعلى الصائد في هـذه الحالة أن يكون مرهف الأعصاب ، شديد اليقظة مستعداً في كل لحظة لأن يباغِتَ الحيوان أو يباغته الحيوانُ .

٣ – طريقة اقتفاء الأثر :

وإذا كانت الطريقتان السابقتان قد اقتضتهما طبيعة منطقة الصيد ، فهذه الطريقة تقتضيها طبيعة الحيوان المطرود .

فالأفيال وما شاكلها من الحيواناتِ الضخمة التي تسير عـادةً على شكل قطعان ، تَتْرُكُ في الأرض آثار أقدامها .

فإذا كانت الأرضُ رطبة كانت هذه الآثار واضحةً لا تخطئها عينٌ ، أمّا إذا كانت جافة صلبة فتحتاج إلى خبيرٍ بقَصّ الأثر ، ويكثر هؤلاء الخبراءُ بين سكان الغابات .

لذا كان لا بُدّ للصائدين الطارئين من الاعتماد على السكان الأصليين إذا لم تتوافر لديهم هذه الخبرة .

ومن شأن الصائِدِ أن يقتفي آثار هذه الحيوانات حتى يصل إليها وتصبح في مجال رَمْيِه ، وعند ذلك يسدّد سلاحه إليها .

٤ – طريقة قرع الطبول :

هناك أصناف كثيرة من الحيوان تَتّخِذ من الأماكن الخفيّة بين الأدغال سكناً لها ومخبأ يسترها عن أعين الوحوش الأخرى ، ويخفيها عن الصائدين .

ولا يمكن صيدُ هـذه الحيوانات إلا إذ أُخْرِجت من مخابئها وبرزت للناظرين .

ولذا يعمد الصائدون في أمثال هـذه الحالات إلى قرع الطبول حيث يستعينون بطائفة من السكان للقيام بهذه المهمة فيملؤون أرجاء الغابة بضجيج

طبولهم ، مما يثير هذه الحيوانات ويخرجها من مكانها . وعند ذلك يستتر عنها الصائدون بين الأدغال ويرمونها من حيث لا تدري ولا تَحْتَسِب .

٥ – طريقة الطَّرْدِ :

وتقوم هذه الطريقة على استخدام الفِيَلَةِ المُسْتَأنِسَةِ بحيث يجند الصائدون طائفة منها ، ويدفعونها إلى السير في الغابة في صفٍّ كأنَّه البنيان المرصوص ، فإذا سمعت الحيوانات المختبئة في داخل الأدغال صوتَ أقدامها انطلقت من مخابئها خوفاً منها ، وعند ذلك تبرز للصائدين الكامنين لها في كلّ اتجاه فيبادرون إلى رَمْيها .

٦ – طريقة استخدام الأصوات :

وهي طريقة قديمة اهتَدَى إليها الإنسان مبكّراً ، ولكنَّه حذقها في العصر الحديث وأتقنها بسبب اختراع آلات التسجيل . وتُسْتَخْدَمُ هذه الطريقةُ في أوقات تزاوج الحيوانات ، وهي أوقاتٌ محدَّدةٌ معروفةٌ لدى الصائدين من كُلّ عام .

وتقوم هذه الطريقة على تقليد أصواتِ أناث هذه الحيوانات فإذا سمعتها الذكور هَبَّت من مراقدِها واتجهت نحوها .

وقد تقوم على تقليد أصوات الذكور ، فإذا سمعتها الذكور المعتصمة بالغابة هَبَّت مَغيظةً مُحْنَقة لِتواجه الغزاةُ الذين اقتحموا حرَمَها وراموا إناثها .

وعند ذلك يكون الصائدون لها بالمرصاد .

وقد غدت هذه الطريقة متقنةً محكمة بفضل التسجيلات التي يحتفظ بها الصائدون لأصوات الحيوانات ، وإمكان إطلاقها في الوقت الذي يريدون ، وبالقوة التي يحتاجون إليها ، بينما كانوا يعتمدون في الماضي على تقليد الإنسان لصوت الحيوان .

٧ – طريقة التربُّصِ والختل :

وتقوم هذه الطريقة على أن يكمن الصائد في أحد المكامن المَصْنُوعة أو

الطبيعية القريبة من المشارب التي ترد عليها الحيوانات لإرواء ظمئها ، أو المالح التي تَؤُمُّها لِتَلْعَق منها حاجتها من الملح الذي لا غنًى لها عنه .

فإذا انهمكت في شرب الماء أو لَعْقِ الملح سدّد إليها الصائد سلاحَه ورماها به .

وهي طريقة لا يَنظر إليها الصائدون بعين الرضا وخاصة إذا كانوا من الهواة ؛ لأنّها تقوم على الغدر بالحيوان ، ولا تعطيه أيّ فرصة للدفاع عن نَفْسِه .

عتاد الصائد :

لا بُدّ للصائد من أن يوفّر لرحلة الصيد ما يحتاج إليه في أيّ رحلة أخرى من وسائل الحياة الضرورية التي لا غنى عنها ، ويوُصى خاصّة بالأشياء التالية وهي [1] :

١ – الملابس الخاصة بالصيد المصنوعة من قماش خفيف متين مخيطٍ على وجهٍ ملائمٍ للصيد ؛ فالقميص – مثلاً – يجب أن يخلو من الجيب العلوي الأيمن حتى لا يعوق حركة البندقية عند إطلاق النار ، والسروال يجب أن يكون ضيق الأكمام من الأسفل حتى لا يقيّد حركة القدمين . كما يجب ان يكون حذاؤه من النوع الذي يلصح للسير في الأراضي الوعرة .

٢ – بندقيتان : إحداهُنّ حربيةٌ ذاتُ سبطانة واحدة والأخرى صيدية ذاتُ سبطانة مزدوجة مع قطع التبديل الكافية .

٣ – قدرٌ وافٍ من الذخيرَة المتنوعة الأحجام لتلائم الطرائد المختلفة .

٤ – مسدّسٌ حربي سريع الطلقات للطوارىء مع الطلقات اللازمة له .

٥ – نظارة ميدان للرؤية البعيدة .

---

(١) الملابس والعتاد المذكور ضروري لصائد الوحوش ، الذي يضرب في الادغال ، أما من يخرج في رحلة صيد عادية، لصيد الطيور مثلاً ، فله أن يختار ما يناسب كل رحلة .

٦ – سكين حادّة في غمد من الجلد .

٧ – مصباح يضاء بالمدّخرات الكهربائية .

٨ – قربة ماء سهلة الحمل أو نحوها .

٩ – معطف مشمّع يمنع من البلل ، ذو لونٍ مائلٍ إلى الخضرة حتى لا يجذب أنظار الحيوانات .

١٠ – مُطهّرات للجروح ، وذلك بالإضافة إلى صيدلية صغيرة تحوي الأدوية الأساسية ، وخاصة ما يتعلق بالاسعافات الأولية .

١١ – إبرة مغناطيسية (بوصلة) لتحديد الجهات .

١٢ – إحدى وسائل إشعال النار أو أكثر (كبريت أو نحوه) .

١٣ – آلة تصوير لالتقاط المناظر النادرة الفريدة .

بعض التوجيهات للصائدين :

يحرص خبراءُ الصيد على أن يُسدوا للصائدين بعض الإرشادات التي هدتهم إليها تجاربُهم الطويلة ، ومن أهمّها :

١ – إذا تعرّض الصائد لهجوم مفاجيء من قبل قطيع من الحيوانات ، ولم يجد لنفسه ملاذاً يحتمي به ، فعليه أن يستلقي على الأرض حتى إذا أصبحت الحيوانات قريبة منه قفزَ في وجهها وصاح بأعلى صوته ، ولوّح بيديه في الهواء بشدّة ، فلا تلبث أن تجفل الحيوانات منه ، وتنقسم إلى شطرين يسير كلُّ شطرٍ منها في طريق ، وعند ذلك ينجو الصائد بنفسه .

٢ – إذا فوجيء الصائد بحيوان مفترس فعليه أن يعاجله بطلقات مسدّسه ، على أن يحاذر من استنفاد جميع ما معه من الذخيرة دفعة واحدة من غير وعي ، وأن يحرص أشدّ الحرص على الطلقتين الأخيرتين .

٣ – إذا نفد الماء الذي يحمله الصائد ولم يجد ماءً في المكان الذي هو فيه ، فعليه أن يقتفي آثار الحيوانات التي تقصد إلى موارد المياه ، أو أن يحفر في

الأماكن المنخفضة من مجاري الأنهار الصغيرة التي تجف في الصيف ، فإنه لا يلبث أن يجد فيها ما يكفيه من الماء على عمق غير بعيد .

كما أن النباتات الشديدة الخضرة في مكانٍ مقفر دليلٌ على وجود ماء جَوْفيٍّ قريب .

٤ ـ إذا ضَلَّ الصياد مخيَّمَهُ ، وجنَّ عليه الليل ، وَجبَ عليه أن يلزم مكانَه ، وأن يوقد النيران حولَه حتّى يصبح ؛ ذلك لأن النيران الساطعة تدل عليه رفاقه من جهة ، وتمنع الحيوانات المفترسة من الدنو منه ، من جهة أخرى .

فإذا طلع عليه النهار وجب عليه أن يلقي فوق النيرانِ بعض الحشائش الخضر لِتُدخّن ؛ فإنَّ الدخان يمكّنُ الباحثين عنه من الاهتداء إليه .

٥ ـ ثم إنه لا بُدَّ للصائد من أن يعرف مقاتل الحيوانات ، وهي تختلف أحياناً من حيوان لآخر ، حتى لا يبدّد طلقاته سدىً ، وحتى لا يعرّض نفسَه لثورة الحيوان الجريح . وأفضل الأماكن التي يجب أن يتوخاها الصائد بشكل عام هي : المخ ، والقلب ، وجهاز التنفُّس .

٦ ـ وأخيراً فإن نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه يقول الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب ، ومن هنا وجب على الصائد أن يكون مع غيره فريقاً لا يقل عن ثلاثة لدفع الأخطار والتعاون في مجال الصيد .

اقتناصُ الحيوانات حيَّةً :

يحرص كثيرٌ من الصائدين على اقتناص الحيوانات حيةً سليمةً بغيةَ بيعها لحدائق الحيوانات أو الملاهي (السيرك) بأثمان باهظة لما يترتب على إمساكها حيَّةً من أخطارٍ لا يتعرّض لمثلها الصائدون الآخَرون.

وقد ابتكر أرباب هذه الحرفة طرقاً مختلفة لصيد الوحوش حية أهمُّها الحَظائر ، والحفائر ، والتخدير :

فالفيلة ونحوها تصاد بالحظائر ، حيث يعمد الصائدون إلى إقامة حظيرة كبيرة دائرية الشكل ، قطرُها نحو مئة وخمسين ذراعـاً في مكانٍ مناسب من الغابة .

وتُستَعمل في بنائها جذوع الأشجار التي تغرس في الأرض وتدعَّم بجميع وسائل التدعيم .

ثم تقام عند بابها حظيرةٌ أخرى على شكل القُمْعِ ينتهي طرفُها الضيقُ عند باب الحظيرة الدائرية ، وتكون فتحتها الكبيرةُ في الخارج .

فـإذا شاهد الصائدون قطيع الفيلة جمعوا له حشداً كبيراً مـن سكان الغابـة ، وساروا وراءه على شكل نصف دائرة ، وجعلوا يضربون خلفـه بالطبول ويحُوشونه حتى يدخل في الحظيرة القُمْعيّةِ ، ثم ما يزالون يوجّهونَـه ، ويدفعونـه ، حتى يجتاز أفـرادُه بابَ الحظيرة الدائرية ، وهنـاك يوصدون وراءه بابها الفولاذي المعلّق بحبل أو نحوه .

وعند ذلك يُطِلّون على الحظيرة من مَراقِبَ عاليـةٍ ويتخيّرون الفيلة الصغيرة الفتية ، ويطلقون النار على مـا عداها ثم يضعون أمام باب الحظيرة الأقفاص الضخمة ويفتحون بابها فإذا خرج الفيل منها وَجدَ نفسه في القفص.

وما يزالون يفتحونها أمام كل فيل على انفراد ويغلقونها وراءه حتى يتم لهم أخذ ما اختاروه منها .

ثم هناك طريقة الحفائر وهي أقل كلفةمن الحظائر . وتقوم هذه الطريقة على أن تُحْفَر في الطرق التي تسلكها الحيوانات إلى المشارب أو الممالح حُفَرٌ مناسبة ثم تُغَطّى بالأغصـان والأعشاب وأوراق الشجر ، فإذا مرّ فوقها الحيوان سقط فيها وهو لا يدري .

وعند ذلك يوثق بالحبال ويُخْرَجُ منها ، ولكنّ هـذه الطريقة كثيراً ما تؤدّي إلى إصابة الحيوان المصيد بكسر أو تشويهٍ يجعل صيدَه عبثاً .

ثم تلي هاتان الطريقتان طريقة ثالثة تقوم على إلقاء المخدرات عند المشارب والممالح بحيث توضع على أصنافٍ من المطاعِمِ تحبُّها الحيوانات ، فإذا أكلت منها أصيبت بالخَدَرِ وأُخِذَتْ حية (*) .

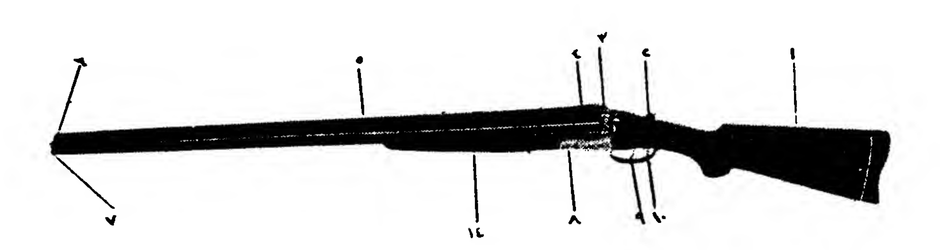
أدوات الصيد في العصر الحديث :

آلات الصيد التي تستعمل في العصر الحديث منها القديم الموغل في القدم كالقوس والرمح والحربة والمقلاع والشبكة والفخ ، ومنها الجديد كالبندقية وما شاكلها .

وعلى الرغم من أن الأدوات القديمة قد أُدْخِل عليها شيء من التطوير والتحسين فهي ما تزال محتفظه بجوهرها الذي ألممنا به في أماكن سبقت من هذا الكتاب ؛ لذا رأينا أن نقصر كلامنا في هذا الفصل على البندقية التي أصبَحَت اليوم أداة الصيد الأساسية :

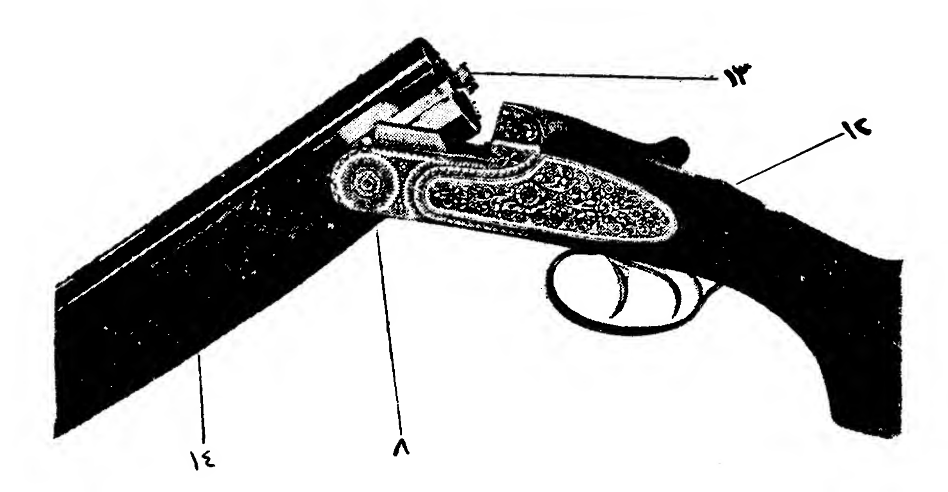
تتألّف البندقية بصورة عامة من قسمين متمايزين رَئيسَيْن :

قسم أمامي وهو عبارة عن أنبوب فولاذي، اصطلح على تسميته في بعض

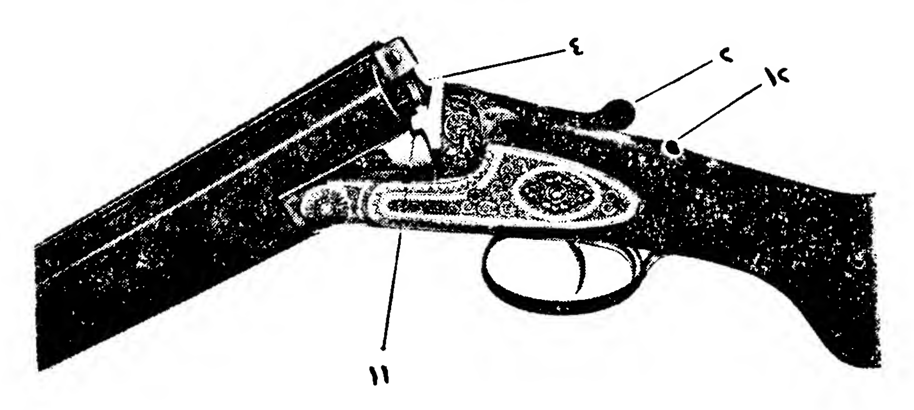


صورة فوتوغرافية لجفت الصيد عيار ١٢ ملم
(يلاحظ أن السبطانة مؤلفة من «ماسورتين» متوازيتين متجانبتين)

(*) انظر كتاب صيد الوحوش من تأليف الدكتور حسين فرج زين الدين .



جفت « بماسورتين » فوق بعضهما في حالة الفتح
(لاحظ النازع رقم ١٣)



جفت « بماسورتين » وزناد واحد في حالة الفتح

١ – الأخمص
٢ – مفتاح التثبيت
٣ – فرضة التسديد
٤ – غرفة الانفجار
٥ – السبطانة أو الماسورة
٦ – الشعيرة (القمحة)
٧ – فوهة السلاح
٨ – برغي التثبيت (يثبت القسم الأمامي على القسم الخلفي)

٩ – زناد الطلقة اليمنى
١٠ – زناد الطلقة اليسرى
١١ – فرضة تثبيت القسم الأمامي على القسم الخلفي
١٢ – مفتاح الأمان
١٣ – النازع (عند فتح السلاح ينزع الطلقة بسحبها من مكانها)
١٤ – واقية اليد (من الخشب)

الأقطار العربية « سبطانة » وفي بعضها الآخر « ماسورة » ، يخرج المقذوف من مقدمته .

وقسم خلفي ، ويتألف في معظمه من الخشب ، يسند الرامي مؤخرته الى كتفه . ويتصل القسمان مع بعضهما ببرغي تثبيت فولاذي . وعند التقاء القسمين تقع غرفة الانفجار التي تكون لبّ السلاح ، ثم تأتي تبعاً لذلك طائفة من الأجزاء الثانوية التي سنُلِمُّ بها بقدر الامكان .

١ ـ الأخمص : ويراد به القسم الخشبي من البندقية الذي يسنده الرامي إلى كتفه عند الإطلاق ، ويشكل قسمه العلوي الأمامي الفولاذي مؤخرة غرفة الانفجار ويلاحظ عليها من الداخل ثقبان تخرج من كل منهما الإبرة عند الاطلاق . ويتصل بالقسم الأمامي بواسطة برغي تثبيت فولاذي متين (انظر الشكل) .

٢ ـ السبطانة أو الماسورة : وهي تشكل القسم الأمامي من السلاح وتُصْنَعُ عادَةً من الفولاذ المتين ، وفي طرفها الملاصق للأخمص تقع غرفة الانفجار .

وقد يكون للبندقية ماسورتان اثنتان إمّا متجاورتان أحداهما بجانب الأخرى ، وإمّا متراكبتان إحداهما فوق الأخرى ، وعند ذلك تُدْعى البندقية « جفتاً » و « الجفت » لفظةٌ تركية معناها الزوج ويختلف جف بندقية الصيد (داخل السبطانة) عن جف البندقية الحربية من حيث أن جف بندقية الصيد أملس من الداخل بينما يكون جف البندقية الحربية حلزونياً ليساعد على توجيه الرصاصة وزيادة سرعتها .

٣ ـ غرفة الانفجار : وهي غرفة فولاذية ذات جدران سميكة صلبة تقع في مؤخرة السبطانة ويشكل القسم الفولاذي في الأخمص جدارها الخلفي وفيها تُوضَعُ الطلقة ، وإذا كان السلاح « جفتاً » كانت له غرفتا انفجار .

ويوجد في مؤخرة غرفة الانفجار النازع الذي ينزع الطلقات عند فتح السلاح . ويركب على السباطة من الداخل بينما تكون الإبرة، أو الإبرتان، في مقدمة الأخمص (الجدار الخلفي لغرفة الانفجار) ويلاحظ في اسفل السبطانة قطعة خشبية تدعى واقية اليد تحمي اليد من الحرارة الناشئة عن الانفجار .

٤ ـ الزناد : وهو لسان فولاذي مدلىّ اسفل غرفة الانفجار يَضغَط عليه الرامي فينطلق منه المقذوف .

وإذا كان السلاح « جفتاً » كان له زنادان ، زناد أمامي للطلقة اليمنى وزناد خلفي لليسرى ، ونادراً ما يكون له زناد واحد ، عند ضغطه الضغطة الأولى يرمي الطلقة اليمنى وعندالضغطة الثانية يرمي الطلقة اليسرى.

مفتاح التثبيت : وهو مفتاح مُتصلٌ بمُثبِّت إذا ضغِط عليه نحو اليمين أدّى إلى فتح السلاح ، وذلك لوضع الطلقات في غرفة الانفجار أو إخراجها منها .

وفي وسع القارىء أن يلقي نظرة على الشكل (ص ٢٥٠ – ٢٥١) ليزداد تصوراً لأجزاء هذا السلاح .

خطُّ التسديد : هو خط وهمي بين ثلاث نقاط الأولى : فرضة التسديد الواقعة فوق غرفة الانفجار ، والثانية : الشعيرة (القمحة) وهي النتوء البارز فوق فوهة السبطانة ، والثالثة : الهدف المراد رميه .

الطلقة :

بعدان ألممنا هذه الإلمامة الموجزة بسلاح الصيدسواء أكان بندقية أم«جفتاً» لا بُدَّ لنا من أن نلقي نظرة عجلى علىالطلقة التي تُستَعمَل في هذا السلاح لنقف على أجزائها من جهة ، وطريقة سيرها من جهة أخرى . وسيكون كلامنا على طلقة الجفت ذي الرقم (١٢) لأنه أكثر أدوات الصيد استعمالاً في بلادنا وهي مشابهة تماماً للطلقات المستعملة في معظم أسلحة الصيد مع اختلاف في العيار فقط .

تتألف الطلقة بصورة عامّة من أربعة أجزاء هي : الغلاف ، والطُّعْم ، والحَشْوَة ، والمقذوف .

أما الغلاف : فيتألف في الغـالب من جزء معدني في أسفله لا يتجاوز ارتفاعه « سنتيمتراً » واحداً يليه قسمٌ من المُقَوَّى ـ ونادراً مـا يكون من المعـدن ـ طولُه خمسةُ « سنتيمترات » تقريباً ، ووظيفته حماية محتويات الطلقة من بارود وغيره .

الطعم : أو الكبسولة وهو وعـاءٌ مَعْدَنِيٌ صغيرٌ مملوء بمادّة شديدة الانفجار سريعـة الاشتعال تنفجر بالطَّرْق والاصطدام . فهي تشتعل بمجرد اصطدام الإبْرَة بها ، ثم تقوم هي بإشعال البارود .

الحشوة: وهي في العادة كمية من البارود تنفجر لدى اشتعال الطعم فتدفع المقذوف بقوّةٍ فيخرج من فوهة الأنبوب باتجاة الهدف .

المقذوف : ويتكوّن عادَةً من كرات رصاصية صغيرة تسمى «الخردق» والخردق ذو أحجام متعدّدة؛ فمنه الصغير ومنه الكبير ومنه ما هو بين ذلك .

ويتناسب حجم الخردق عكساً مع رقمه فكلما كبر الرقم صغرت الخردقة ، ومن هنا كانت الخردقة ذات الرقم عشرة أصغر من ذات الرقم خمسة ، وهذه أصغر من ذات الرقم ثلاثة وهكذا ... ويُختـار حجم الخردق حسب صغر الطريدة وكبرها وقوتها وضعفها .

سير الحركة في السلاح :

يبـدأ الرامي بالضغط على الزّنادِ فتتحرّر بسبب ذلك الإبرَة ، وتصدم الطعم بقوّة ، فَيَشْتَعِلُ ، ثم يشعل هو بدوره البـارود . فإذا اشتعل البارود ضغط على الخردق بعنف فيخرج من فوهة الأنبوب باتجاه الهدف .

هذا ويخرج الخردق من فوهـة الأنبوب على شكل حزمة أسطوانية ثم تأخذ بالتباعد تدريجياً كلما ابتعدت عن فوهة السلاح .

والطريدة التي تقع في نطاق الحزمة تصاب بعدة حبّات من الخردق، فإن كانت الطريدة ضمن المدى المناسب ُصرِعت .

ويقدر هذا المدَى بنحو سبعين ذراعاً تزيد أو تنقص حسب نوع السلاح وطبيعة الطريدة .

على أن إصابة الهدَف تعتمد على صحة التسديد ، ويكون التسديد صحيحاً إذا َوضَعَ الرامي هدفَه على خطٍ مستقيم يمر بنقاط ثلاث اشرنا اليها سابقاً هي : فرضة التسديد ، والشعيرة ، والطريدة .

آداب الصيد عند الصائدين المحدثين :

رأينا من قبل آدابَ الصيد عند العرب في القديم ، وَنعرض الآن لأهَمّ آداب الصيد عند الصائدين المحدثين .

وتتلخّص هـــذه الآداب في ثلاث كلمات هي : حسن الصحبة ، وعدم الإضرار بالناس والأرض ، والرفق بالحيوان المطرود .

وفيما يلي شيء من التفصيل لهذا الذي أجملناه :

١ – إذا اشترك صائدان في الصيد ، وانطلقت الطريدة أمامهما غـــيرَ منحرفة إلى جهة أيٍّ منهما كان لكل منهما الحق في أن يرميها ، أما إذا اتجهت نحو أحدهما فقد أصبح له الحق برميها دون صاحبه .

٢ – إذا اشترك في الرمي على الطريدة صائدان أو أكثر وسقط الطائر فهو لمن رمى أولاً وإن رماه احدهما فلم يصبه وكان سلاحه بندقية بطلقة واحدة أصبحت الطلقة الثانيـــة من حق زميله أما إذا كان سلاحه جفتاً أو بندقية «اوتوماتيكية» فهو صاحب الحق بالطلقة الثانية ، وإن رماها زميله واسقطها فهي لمن رماها أولاً .

٣ – إذا انطلقت أمـام صائدَيْن عِدّة طرائد كان لكلٍّ منهما الحقُّ في رمي الطريدة التي تقع في جهته فقط .

٤ – يمتنع الصائدون عن الصيد في الأراضي المملوكة للآخرين إلا بإذن من أصحابها .

٥ – يمتنع الصائدون عن الرمي إذا كان أمامهم سياج أو نحوه لاحتمال أن يكون وراءه أشخاص غير مرئيين ، كما لا يطلقون النار في الأماكن الآهلة بالسكان لما ينشأ عن ذلك مما لا يجهله عاقل .

٦ – يلتزم الصائدون في أثناء تجوالهم بحثاً عن الطرائد بألا يؤذوا شجراً ، أو يقطفوا ثمراً ، أو يعبثوا بزرع ، وهي تقاليد معروفة عنهم لذلك يرحّب بهم أصحاب الأراضي ويكرمونهم في كل مكان يمرّون به .

٧ – وهم لا يرمون طائراً واقفاً أو حيواناً نائماً وإنما يثيرون الواقف ويوقظون النائم بحجر أو نحوه ثم يرمونه .

٨ – وهم لا يصيدون الطيور في أوقات بيضها وتفريخها ولا يطردون الوحوش في أثناء حملها ، كما لا يرمون حيواناً مصاباً ، أو طائراً مغرّداً أو وحشاً لا يُستفاد من لحمه .

٩ – وهم لا يمنعون أبناءهم من إشباع رغبتهم في إمساك السلاح الخالي من الذخيرة ، وينصحون بتدريب الفتيان على الرماية تحت إشراف أهليهم ، مبتدئين ببندقية الضغط ، ثم بالبندقية ٩ مم (الفلوبر) وهكذا .

وهم في الوقت نفسه يحذرون من ترك الذخيرة بين أيدي الصغار أشد التحذير .

الفصل الثالث عشر

التَّعْرِيفُ
بأَهَمِّ كُتُبِ الصَّيْدِ والبَيْزَرَةِ

رأيت أن أختم الكتاب بِعرْض لأبرز مصادره أخـــذاً بالمنهج العلمي الحديث من جهة ، ورغبةً في إيقاف القارىء على أهم كتب التراث في الصيد والطرد والبيزرة من جهة أخرى .

ومصادر هذا الكتاب ضربان : ضربٌ لا يحتاج إلى تعريف لأنـه ذائع متداول معروف كالحيوان للجاحظ ، وحياة الحيوان للدميري، ونهاية الأرب للنويري ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، وعجائب المخلوقات للقزويني .

وضرب يحتاج إلى تعريف إما لقلة تداوله وندرة وجوده ، وإما لكونه ما زال مخطوطاً لم يظهر عليه أحد إلا خزنته ، وفـيما يلي عرض لأهم كتب الضرب الثاني :

١ – المصايد والمطارد :

وهو كتاب أصدرته دار اليقظة في بغداد سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف في خمسين وثلاثمائة صحيفة .

حققه وعلق عليه المرحوم الدكتور محمد أسعد طلس ، وقد عثر المحقق على مخطوطة الكتاب في إحدى مكتبات طهران عام ١٩٤٦ م .

والمخطوطة كما يصفها المحقق جد نفيسة مكتوبة على ورق عادي بقلم نسخي جيد مضبوط في الغالب ، وعدد أوراقها مئتان وثمانون ورقة [١] ، فرغ ناسخها من كتابتها في يوم الثلاثاء الثالث من شوال سنة سبع عشرة وستمائة للهجرة الطاهرة ، وقد نسخها عن نسخة أكلت الأرضة كثيراً من حروفها [٢] .

وقاسى ناسخها كثيراً من العناء في إصلاح نسخته ، على أنه ترك بعض المواضع خالياً من الكتابة . فجاء في النسخة بعض الخروم .

أما مؤلف الكتاب فهو الشاعر الكاتب الاديب أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم المتوفى سنة ٣٥٨ هـ .

ونسبة الكتاب إلى كشاجم صحيحة فقد جاء في شذرات الذهب عند الحديث عن كشاجم أن « شعره أنيق وأرج مُدَوَّناته فتيق ، منها كتاب المصايد والمطارد » [٣] .

وقد أورد صاحب كشف الظنون كتابَ المصايد والمطارد في ثبت مؤلفات كشاجم [٤] . ولعل كتاب كشاجم هذا هو أجل وأقدم ما ألف في هذا الفن .

---

(١) المصايد والمطارد : ٤
(٢) المصايد والمطارد : ٤
(٣) شذرات الذهب : ٣/٣٧
(٤) المصايد والمطارد : ٤

والكتاب يشتمل على مقدمة المؤلف يتلوها فصل ضاف عن أحكام الصيد في الإسلام وتذكية الطريدة والتسمية عليها وحد تعليم الجارح وأقوال العلماء في صيد المُحرِم ومـــا إلى ذلك ، ثم فصلٌ عن طبائع الحيوان ووسائله في الدفاع عن نفسه .

ثم يتلو ذلك باب المكائد التي يُتوَصَّلَ بهـا إلى الصيد والآلات المتخذة لذلك ، ثم باب الجوارح وهي عنده أربعة : البازي ، والشاهين ، والصقر ، والعقاب .

وهو يورد عقب الحديث عن كل جارح أجودَ مـا قيل فيه من أراجيز ، ثم تحـدث عن إطعام الجوارح ، وحسن سياستها وعلامـات صحتها ومرضها وأدوائها وعلاج كلٍّ منها .

ثم يتلو ذلك بابُ « الكلب » .

وهو باب يتحدث فيـه المؤلف عن خصائص الكلب ومنافعه وأمارات فراهته وألوانه وأدْوائه .

ثم يسوق الحديث عن الحيوانات التي يصيدها الكلب وهي الأيّل والأرنب والثعلب وحمار الوحش وبقر الوحش، ويورد أجود ما قيل في هذه الحيوانات وصيدها من شعر .

ويعقد فصلاً لآلات الصيد من نشاب ونبل وقِسِيٍّ وسهام .

ويتحدث عن الاسد وصيده ومنافعه ويورد ما قيل فيه من شعر .

ثم يتحدث عن طائفـــة من الحيوانات المصيدة كالظبي والنمر والخنزير والسنور البري والنعام .

---

(١) حسن المحاضرة ، الطبعة الحجرية : ٢٥٧/١

(٢) شذرات الذهب لابن العماد : ٣٧/٣

ويتحدث عن (عناق الارض) وابن عرس ، ثم يعقد باباً لصيد البحر وما قيل فيه من شعر وباباً آخرَ لاوقات الصيد المختارة .

كما يتحدث عن صيد الضب .

ويعقد باباً للصيد بالجُلاَهِق ويورد ما قيل فيه من شعر ثم يختم الكتاب بباب الطير .

وتبدو أهمية الكتاب من ناحيتين اثنتين أولاهما ما اشتمل عليه من معلومات في فن البيزرة تُبيِّنُ مدى ما وصل إليه المسلمون في القرن الرابع في هذا الفن من دراسة طبائع الحيوان وسياسته وأمراضه وعلاجها .

وثانيهما ما حفل به من مختار الشعر الذي قيل في الطرد ، غير أن المحقق غفر الله له لم يول هذا الكتاب ما يستحقه من عناية فجاء محرف الكلمات مشوه الابيات محشواً بالخطأ حتى إن القارىء البصير ليعجز أشد العجز عن قراءة قصيدة كاملة مما ورد فيه قراءة صحيحة .

والكتاب على أي حال يعد ديواناً لشعر الطرد في العصر العباسي جمع فيه مؤلفه خير ما قاله هو في هذا الباب وأجود ما اختاره من شعر أبي نواس والرقاشي وابن أبي كريمة وابن المعذل وابن المعتز والناشىء وغيرهم من فحول شعراء الطرد .

وهو سفر جليل حَرِيٌّ بأن يعاد تحقيقه بعد أن وُجِدَت منه نسخ أخرى غير التي وقف عليها الدكتور أسعد طلس لانه يحتوي على مجموعة طيبة من شعر طائفة من الشعراء الذين لا دواوين لهم . ولانه يعد نواة مصغرة لديوان شعر الطرد .

٢ – البيزرة :

وهو كتاب نَشرَه المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ثلاث وخمسين

وتسعمائة وألف ، وذلـك قبل صدور كتاب المصايد والمطارد في بغـداد بسنة واحدة .

وهو يقع في مائتين وثلاث عشرة صحيفة ، وقد حققه وعلق عليه المغفور له الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق .

أما مؤلف البيزرة فنترك المغفور له الاستاذ محمد كرد علي الحديث عنه قـال في مقدمة الكتاب : « لم نعرف اسم صاحب هذا الكتاب لان سُرّاق الكتب في العـادة ينتزعون الصحيفة الاولى من الكتب المسروقة ويستحلون ذلك خاصة في كتب الوقف .

وقـد ظهر من صفحات أُلحقت في آخر الكتاب أن المؤلف كان بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي المتوفى سنة ست وثمـانين وثلاثمائة وكان الخليفة الفاطمي هـذا مغرماً بالصيد ... حتى يصح أن يسمى الخليفة الصياد وهو الذي رَبّي المؤلف منذ كان له من العمر إحـدى عشرة سنة وخرّجه في صناعته وغذاه بنعمته وعلمه [1] .

وقـد كتب المؤلف مؤلّفه في مصر ، وهو مصري عـاش في ظل ملك مصري وربي في نعمته حتى أثرى وفاق أقرانه [2]... ويرى بعض أصدقائنا من العراقيين كالاستاذ عباس العزاوي أن المؤلف ربما كان أبا عبدالله الحسن بن الحسين البازيار الذي وَزَرَ للخليفة الفاطمي سنة ونصف السنة ه [3] .

وترجح لدى بعض الدارسين أن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم نفسه ، وأن كتاب البيزرة هذا لا يبعد أن يكون أصلاً لكتاب المصايد والمطارد ثم شاء المؤلف أن يوسعه ويزيد فيه فوضع كتاب المصايد والمطارد .

---

(١) مقدمة البيزرة : ٦

(٢) مقدمة البيزرة : ٨

(٣) مقدمة البيزرة : ٨

والذي جعلهم يذهبون هذا المذهب الامور التالية :

١ – يورد المؤلف أبياتاً لشاعر يصف فيها مشهداً من مشاهد الطبيعة اجتمعت فيه مصايد البر والبحر ثم يردف قائلا ولي في نحو هذا المعنى، وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير على ذروة جبل المقطم مطل على النيل فهو سهلي جبلي بحري :

سلامٌ على دير القصير وسفحِه فجنات حلوان إلى النخلات

والخبر موجود في كتاب المصايد والمطارد بنصه [١] والابيات مثبتة في ديوان كشاجم [٢] ، وفي غيره من المصادر كمعجم البلدان [٣] ، ومن غير المعقول أن ينتحل المؤلف شعراً لغيره وأن يسرق قصيدة لشاعر معروف معاصر له ؛ إذ أن المدة بين تأليف الكتابين لا تزيد على ثلاثين إلى أربعين سنة كما يقرر الاستاذ كرد علي .

٢ – أن أبواباً برمتها وفصولاً بتمامها قد تطابقت في الكتابين لفظاً ومعنىً وذلك كباب الكلاب وباب الظباء وباب من كان مشتهراً بالصيد من الاشراف.

٣ – أن كلا من الكتابين حفل بطائفة كبيرة من المختارات الشعرية في الطرد ووصف الحيوان مع أن المبحث مبحث علمي طبي لا مجال فيه للشعر والادب، ومع أن كتب البيزرة الاخرى قد اقتصرت في الغالب على النواحي العلمية المتصلة بحياة الجوارح وطباعها وخصائصها وتربيتها وحسن سياستها وأدوائها وعلاجها وما إلى ذلك مما يتصل بالحيوانات المصيدة .

٤ – ثم إنَّ جل المختارات الشعرية التي وردت في المصايد والمطارد وردت في البيزرة .

---

(١) المصايد والمطارد : ٦

(٢) ديوان كشاجم

(٣) معجم البلدان

٥ – يضاف إلى ذلك أن جميع كتب البيزرة المتداولة من مخطوطات ومطبوعات تنقل عن المصايد والمطارد بينما لم ينقل عن كتاب البيزرة ناقل ولم يُشِر إليه مؤلف .

ونحن مع تسليمنا بجميع ما أورده أصحاب هذا الرأي من حجج لا نميل إلى القول بأن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم ، وذلك للفرق الواضح بين عبارتي الكتابين حين لا تتطابق الفصول والمباحث .

وللاختلاف الظاهر في تقسيمات الجوارح وتقويمها وتفضيل بعضها على بعض في كلٍّ من الكتابين .

وللتباين الجلي في تشخيص أمراض الجوارح ووسائل علاجها .

ولو كان المؤلف واحداً ما وقع شيء من ذلك ، وكلُّ ما في الامر هو أن أحد النساخ أو طلاب المعرفة بهذا الفن أخذ فصولاً وفقرات من كتاب كشاجم وأضافها إلى نسخته المدعوة بالبيزرة فوقع هذا الاشتباه .

وهذا ما جعلنا نطمئن إلى أن كتاب البيزرة الذي نشره المجمع العلمي العربي في دمشق وعلق عليه الاستاذ محمد كرد علي في أخريات حياته إنما هو لمؤلف آخر غير كشاجم .

والكتاب يشمل على مقدمة للمؤلف ، وسبعة أبواب لكلٍّ من الباشق ، والبازي ، والصقر ، والشاهين ، والسُّقْناوات ، والعقبان ، والزُّمامِجة .

تحدث فيها عن ألوان هذه الجوارح وأوزانها وطريقة تضريتها وعلامات فراهتها وما يعتريها من أمراض وعلاجها ، ثم انتقل إلى الضواري فخصَّ الفهد بباب تحدث فيه عن طريقة اقتناصه وكيفية تضريته والصيد به وما يستحسن منه وما كانت تبذل الملوك من نفوسها لمباشرة الصيد به .

ثم عقد بعد ذلك باباً خاصاً بالظباء أتى فيه على أوصافها ومواضعها وأسنانها وصيدها ومنافعها وما قيل في ذلك من الشعر .

وأتبع هــذا الباب بباب خاصٍّ بالكلاب تحدث فيه عن كلاب سلوق وخصائصها وصيدها وما قيل في ذلك من الشعر، ثم عَقّبَ على ذلك بفصول تتعلق بهرم الكلب وفتائه وأمارات فراهته وأدوائه وعلاجها وصيده .

ثم أورد بعد ذلك ما قيل في الجوارح من شعر مُستحسن ثم ختم الكتاب ببابين أحدهما في صيد طير المــاء في ضوء القمر ، وثانيهما في شَدّ الجوارح على الكنادر .

والكتاب على الجملة خير من المصايد والمطارد تحقيقاً وطباعةً وإخراجاً وإن كان لم يبلغ الغاية ؛ فقــد حققه المغفور له كرد علي في أخريات حياته الحافلة بالمآثر العلمية واستعان ببعض أعوانه على شرح الغامض من ألفاظه ولم يخرج الكتاب إلى النور إلا بعد أن غيب الثرى محققه ، فسحَ الله له في جناته .

٣ - الصيد والطرد عند العرب :

وهو كتاب أصدرته دار النشر للجامعيين سنة إحــدى وستين وتسعمائة وألف أي بعد صدور المصايد والمطارد بسبع سنوات . وهو يقع في مائــة وخمس عشرة صحيفة . حققه وشرحه وقــدم له وزينه بالصور الدكتور ممدوح حقي .

وقد وقع المحقق على مخطوطة الكتاب في إحدى مكتبات المغرب الخاصة ثم وقف على نسخة ثانية من الكتاب في مكتبة الاوقــاف في ليبيا موسومة برقم ثمانمائة وأربعة وتسعين وهي من بقــايا المكتبة السنوسية المشهورة في الجغبوب والكفرة .

وتأكد لديه بمضاهاة خطي النسختين أن الثانية منقولة عن الاولى وأنهــا جاءت مع الطلاب المغاربة إلى ليبيا كما جــاء كثيرٌ من الكتب التي هُرِّبَتْ بعــد نكبة الأندلس إلى الشمال الافريقي وهي مكتوبــة بخط مغربي نصف مقروء تنقصها الورقة الاولى وعددٌ من الاوراق في آخرها ، ولم يكتب عليها اسم المؤلف، ويبدو للمحقق بمضاهاة هذه المخطوطة مع غيرها من المخطوطات

الاثرية أنهـــا كتبت حوالي القرن التاسع أو العاشر ، وَوَسَمها المؤلف باسم شعري طريف مطول على عادة المؤلفين في العصور المتأخرة فسماها « نزهـة الملوك والسادات بالطيور والجوارح والجياد الصافنات» ونَسّقها تنسيقاً حسناً في أبواب وفصول ، ورجع كل موضوع إلى قائله وكل فكرة إلى صاحِبها ، وتخلص من الاسلوب الكشاجمي في الاستشهاد بالشعر بمناسبة وغـير مناسبة مـع إقراره له بالسبق ؛ فجاء كتابُه حسنةً من حسنات العلم في القرون المتأخرة. وإذا تجاوزنا مقدمة الكتاب التي التزم فيها المؤلف السجع إلى متنه طالَعنا أسلوبٌ سمحٌ وتعبير واضح مشرق مما يَسَّرَ الكتاب للقراءة .

والكتاب يمتـاز عن المصايد والمطارد والبيزرة بحسن العرض والإيجـاز والوضوح والإفادة من التقدم العلمي الذي أصابه َفنُ البيزرة خـلال القرون التي انقضت بين تأليفه وتأليف كلٍ من المصايد والبيزرة .

ولقد بـذل المحقق جهـده للعثور على نسخة أُخرى من هـذه المخطوطة ليتعرف وجه مؤلفها ويتأكد من عصره ومكانه ، واستعان بكل َقيّم نحرير على المكتبات الكبرى في العالم عامة واستعان في العراق خاصة بعالمين كبيرين في الموصل همـا الدكتور داود الجلبي وسعيد الديوجي وبكوركيس عوّاد قيم مكتبة بغداد ، وهم أشهر من توسم وجوه المخطوطات ، وبسوى هؤلاء مـن المشهورين والمغمورين فلم يجد لهذه النسخة الفريدة صنواً .

ولمـا يئس من ذلك وخشي أن تضيع النسخة التي بـين يديه ، كما ضاع كثير غيرها من آثارنا الثمينة ، عزم على تحقيقها وطباعتها ، وأعد لهـا من الصور الموضحة ما وصلت إليه يـده وأوجز عنوان الكتاب المطول فأسماه « الصيد والطرد عند العرب » .

وقـد أفاد المحقق كثيراً من كتاب المصايد والمطارد في تحقيق مخطوطته وشرحها والتعليق عليها .

والكتاب يشتمل بعد المقدمة على ثلاثة مطالب .

المطلب الاول في قوله عزّ من قائل «وما علّمتم من الجوارح مكلبين».

والمطلب الثاني في الجوارح وهي من الطير أربعة : العقاب ، والبازي ، والصقر ، والشاهين .

ومن الضواري : الفهد ، والكلب ، والنمر ، وعناق الارض .

وقد تحدث في هذا المطلب عن كلٍّ من هذه الجوارح من حيث أنواعه ، وألوانه ، وصفاته ، وفراهته ، وأدواؤه ، وعلاجها .

أمـا المطلب الثالث : فهو في الخيل والمشهورِ منها عند العرب وصفاتِها المحمودة ، وأحسن أوصافها ، وشرفهـا ، وطبائعِها ، وأولِ من ركبها ، وخيلِ السَّبْقِ ، وعددِ خيل الرسول عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام .

٤ – الاعتبار :

وهو كتاب أصدرته مطبعة جامعة برنستون فيالولايات المتحدة الامريكية عام ثلاثين وتسعمائة وألف. وهو يقع في مائتين وأربعين صحيفة . وقد حققه الاستاذ فيليب حِتّي .

ومخطوطة كتاب الاعتبار هـذا وَحِدةٌ لا ثانية لها على مـا وصل إليه المحقق ، وهي محفوظة في مكتبة الإسكوريال باسبانيا وتقع في سبع وستين ورقة غير أنها مخرومة الاول حيث ضاع منها إحدى وعشرون ورقة .

والمخطوطة مكتوبة بالحـبر الاسود بالخط الشامي الذي يرتقي إلى القرن الثالث عشر الميلادي ومن هنا تعد من أقدم المخطوطات العربية .

وقـد تم نشر هذه المخطوطة على يد الاستاذ هارتوغ دربنورغ في مطبعة ليدن عام ١٨٨٤ ، ثم أعاد الاستاذ فيليب حِتّي نشرها .

والمحقق يعترف بـأن الاستاذ دربنورغ جاهد قبله جهاد العلماء الابطال في حل ألغاز المخطوطة العربية المحشوّة بالاخطاء وكشف معمياتها ، وأنـه مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءةُ الاصل وفهمُ المراد منه .

وكتاب الاعتبار هذا تُرجم إلى الفرنسية والالمانية .

أمـا مؤلف الكتاب فهو مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن منقذ ، عاش فارساً شهماً ، وَزهـا مجاهداً مقاتلاً ، ولمع أديباً وشاعراً ، وتلهّى صائداً وقضى الكثير من سنيّ حياته جوّاباً ، وصرف معظم شبابه في بلاط نورالدين زنكي بدمشق ، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة – ثم آل إلى بـلاط صديقه صلاح الدين في دمشق ، فقضى فيه أواخر حياته ينعم بكريم شمائله ويسعد بعطفه ووداده .

عاشر فرسانَ الفرنجـــة في أيام السلم ، وقاتلهم أشد القتال في ساحات الحرب ، جاهد الإسماعيلية ، وصارع الوحوش وقاتل الأسود ، ثم دَوّنَ في أخريات حياته أروعَ تجاربه في مذكرات شخصية رائعة شائقة عَزّ نظيرها في الآداب العربية من حيث الأمانة في النقل والصدق في الرواية والدقـة في الملاحظة .

وقد ولد المؤلف في قلعة شيزر ، وقلعة شيزر هذه تقع على أكمة صخرية منتصبة على ضفة نهر العاصي الغربية علىبعد عشرة أميال إلى الشمال من حماة ، يكللها حصن لم يزل قائمـــاً إلى اليوم معروفٌ باسم « سيجر » وهو تحريف لكلمة « شيزر » التي وردت في بيت امرىء القيس حيث يقول :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وَشَيْزرا

وفي بيت آخر لعبيد الله بن قيس الرقيات ، حيث يقول :

َفوَا َحزَنَاإذ فارقوناوجاوروا سِوىقومهم أعلىحماةَ وشَيْزرا

في هذه القلعة ، وفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وُلد لأمرائها بني منقذ مولود هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقـــلد بن نصر بن منقذ مؤلف كتاب الاعتبار . وتوفي سنة أربـع وثمانين وخمسمائة [1]

(١) الأعلام : ١/٢٨٢

والكتاب يشتمل على ثلاثـة أبواب ، الأول والثاني منها يرويان حروب أسامة وأسفاره وطرائفه وأخباره .

أمـا الثالث فيتحدث فيه عن الصيد في سورية والجزيرة العربية ويروي أخبار صيده وصيد والده .

ويصف مـا لدى أسرته من أفـرَه الجوارح وُحذَّقِ البيازرة ، وهو باب قيّمٌ يقـــع في قرابة أربعين صحيفة يروي تجارب شخصيةً تتسم بالواقعية والصدق .

٥ – الجمهرة في علوم البيزرة :

وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة أيا صوفيا في القسطنطينية رقمها ثلاثة عشر وثمانمائة وثلاثة آلاف ، وعـدَّةُ ورقاتها سبـعٌ ومائتنا ورقة ، في كلّ ورقـــة صفحتان ، وفي كلّ صفحة سبعة وعشرون سطراً ، وفي كل سطر خمس وعشرون كلمة تقريباً .

وقد ُكتِبت المخطوطة بخط نسخي جلي جيد وُضبِطت بالشكل ضبط لا يخلو أحياناً من خطأ .

وهي خالية من الخروم محفوظة من فتك الأرضة مما ُييسّر قراءتها وُيعين على تحقيقها والإفادة منها .

نسخ المخطوطة (العبد الفقير إلى رحمـة الله العظيم « القـلـَيم بن علي بن عمران » غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين)[1] .

وكان الفراغ من نسخها في شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بعد أن قوبلت على نسخة أخرى .

---

(١) الجمهرة في علوم البيزرة : ٢٠٧

أمـا مؤلف الكتاب فهو « الشيخ الاجل الاوحد العالم عيسى بن حسان الأسدي »[1] .

وقـد رجعت إلى كتب التراجم ومعجمات المؤلفين والمؤلّفات واستعنت بذوي الخبرة لأعرف شيئاً عن المؤلف فلم أفلح .

ثم وقع في يدي كتاب أنس الملا في وحش الفلا لمحمد بن منكلى من أهل النصف الاول من القرن الثامن الهجري ، وهو مطبوع في باريس سنة ثمانين وثمانمائة وألف، وفي دار الكتب في القاهرة نسخة منه موجودة في المكتبة التيمورية تحت رقم ثمان وستين «فروسية» ، فألفيت صاحب أنس الملا يكثر من النقل عن صاحب الجمهرة كثرة تلفت النظر ، ويخلع عليه أجلّ النعوت من مثل قوله : « قال عيسى الأسدي ، وكان عالمـاً بأمور الصيد لم يكن مثله »[2] وما شاكل ذلك مما يدل على مكانة الاسدي في عالم الصيد والبيزرة، ومنزلته في نفس المنكلي، فعزمت على أن أتتبع الكتاب كله لعلي أجد فيه ما يزيدني معرفة بالأسدي، فما لبثت أن وقعت على بغيتي وذلك عند حديث المنكلي عن الفهود حيث قال : « وأما الإقليم الذي ينعدم فيه هـذا الجنس فهو الإقليم الشمالي ممـا يلي بلاد العجم إلى بلاد الترك فالكرج ، ذكر ذلـك الاستاذ أبو الروح عيسى الأسدي وكان عالماً بأمور الصيد مُتَبَصِّراً – رحمه الله – وكان في زمن الأيوبية في سني شيء وخمسمائة رأيت ذلك مؤرخاً»[3].

وعلى هذا فمؤلف الجمهرة في علوم البيزرة هو «عيسى بن حسّان الاسدي» وكنيته أبو الروح ، وعصره القرن السادس الهجري .

وقد جعل المؤلف كتابه في جزأين عددُ ورقات الاول ثلاثٌ وعشرون ومائة ورقة ، أما الثاني فأربع وثمانون ورقة ، وقـد افتتح كتابه بحمد الله

---

(١) الورقة : ١٢٣

(٢) أنس الملا : ٢٠ و٨١ و٨٦ و١٢٦ و١٣٣ و١٤٣

(٣) أنس الملا : ٦٥

والثناء عليه ثم أتبَع ذلـك بالحضّ على التعلم ، ثم أورد آيات حِلّ الصيد وعلق عليها بقوله «وأعلم أيّدك الله أن الله تعالى أحل لخلقه صيد البر والبحر وأنه لن ينالـه الراغبُ فيه إلا بشِقّ النفس لان من الحيوانات ما يصاد بالشباك ومنها ما يطرح بالسهام ومنها ما يصاد بالدفائن في الارض ، ومنها ما يصاد بالضواري كالفهود والكلاب وسباع الطير ، ومنها ما يصاد بالبندق.. وقد جمعتُ في هذا الكتاب من كل فن ما يرضي أرباب المصايد والمطارد مما يحتاج إليه المبتدي ولا يستغني عنه المنتهي ونظرت إلى جُـلّ من يرغب في الصيد فوجدت أكثرهم يعمل بغير علم فأفردت لكل أمر ما ينبغي أن يكون له من الآلة والعدة ومـــا يُفـْعَل فيه ، ولم أغادر أمراً إلا ذكرته ولم أترك أحداً ممن لها بالصيد إلا أوردت خبره ، فَمَنْ كان منهم على الصواب أجريته على ما هو فيه ، ومن كان على خطأ أريته ما يقتدي به وأوضحت له السبيل[1].

ولم يكن الأسدي مُتَزَيِّداً حين أدعى لكتابه مـا أدعاه له من السَّعَة والشمول ، فهو في الواقـــع لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الصيد إلا تناولها بالبحث وأفاض فيها إفاضة العـــالم المتبحر ، ولم يترك شيئاً يتعلق بالحيوان الصائد أو المصيد إلا وَفـّاه القول وبلغ فيه الغاية .

وقـــد تناول في الجزء الأول آلات الصيد وأدواته وطرقه وأساليبه وجوارحه وضواريه فتحدث عـن طرق اقتناصها وكيفية تأنيسها وتعليمها وتضريتها وآداب معاملتها ومظاهر نجابتها وعلامات عتقها وألوانها وأوزانها وأماكن وجودها ومن أولع بهـا وما إلى ذلك حتى بلغت عـدة أبواب هذا الجزء مائة وستة وأربعين باباً [2] .

أما الجزء الثاني فخصصه المؤلف لطب الجوارح والضواري ، وتحدث فيه

---

(١) الورقة : ٣

(٢) الورقة : ٥

عن أمارات صحتها وعلامات مرضها ، وأنواع عللها ، وما يصيب كل حيوان من الأدواء وما يصلح له من الدواء .

والمؤلف واقفٌ على فن البيزرة عند الفرس والروم ، مطلع على ما كتبه كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد » ؛ فهو في أكثر أبواب الجزء الثاني من كتابه يورد المبحث على الوجه الذي يراه ، ثم يتبعه بقوله : « باب ما قالت الفرس بذلك » ثم يتبعه بباب « ما قالته الحكماء في ذلك » ثم يتبعه بباب « ما قاله كشاجم في ذلك » فكأنه يعرض الموضوع أربع مرات واحدة من عنده وثلاثاً من عند الفرس والروم وكشاجم . وهو كثيراً ما يناقش هؤلاء وهؤلاء فيما قالوه ، ثم يرفض ما ذهبوا إليه أو يقبله .

ومنهج الأسدي في كتابه قائم على التجريب والحس فهو يقول : « وكل ما لا يشاهد بالعين لا يجوز أن يؤخذ بالقبول »[1] وهو يكثر من إيراد الشعر في كتابه حتى لا تكاد تخلو ورقة من قصيدة أو أرجوزة ، وهو شديد الحفاوة بأبي الطيب وأبي فراس كثير الرواية لشعر امرىء القيس والشماخ ورؤبة وأبي نواس والناشىء وابن المعتز وغيرهم ممن ذكر أسماءهم أو لم يذكرها.

والكتاب جدير بأن يحظى بعناية الأدباء وأطباء الحيوان وعلمائه ، حريٌ بأن يتوفر أحد الباحثين على تحقيقه وإخراجه للناس .

---

(١) أنس الملا : ٨٦



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة